الدكتور ناجي التكريتي
استاذ الفلسفة المساعد - جامعة بغداد

الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع

مع تحقيق كتابه

سلوك المالك في تدبير الممالك



دار الأندلس

الفلسفة السياسية

عند ابن أبي الربيع

مع تحقيق كتابه

سلوك المالك في تدبير الممالك

الدكتور ناجي التكريتي
استاذ الفلسفة المساعد - جامعة بغداد

الفلسفة السياسية

عند ابن أبي الربيع

مع تحقيق كتابه

سلوك المالك في تدبير الممالك

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ١١ ٤٥٥٣ - تلكس ٢٣٦٨٣

١

تمهيدٌ أوّلي في دراسة الكتاب

لم يذكر مؤرخو الفلسفة الإسلامية القدماء ـ كابن النديم أو ابن أبي أصيبعة أو القفطي مثلاً ـ اسم شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، مؤلف كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك. أما المؤرخون المحدثون[1]، فقد ذكروا اسم المؤلف بعد اطلاعهم على طبعة حجرية قديمة[2]، حيث جاء في الصفحة الأولى وفي الصفحة الخمسين بعد المائة أنه من تأليف العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع.

الشيء الذي يثير الانتباه أنه كتب في الصفحة الأولى من هذه الطبعة الحجرية، أن المؤلف كتبه للخليفة المعتصم العباسي[3] (المتوفى سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م)، فاختلف المؤرخون المحدثون حول زمن وضع الكتاب. فقد أرجع جرجي زيدان[4] تاريخ كتابة الكتاب إلى عهد الخليفة العباسي المستعصم (المتوفى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، والأسباب التي حدت به إلى هذا الرأي، أن أسلوب الكتاب ونضجه الفلسفي يبعد احتمال أن مؤلفه

١ ـ انظر:

حاجي خليفة: كشف الظنون، طبعة استانبول ١٩٤٣م جـ٢ ص ١٠٠٠

جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة ١٩١١ جـ٢ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

الزركلي: الأعلام، القاهرة جـ١ ص ١٩٥.

عمر كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ٩٥٧ ـ ٩٦١ جـ٢ ص ١٠١

يوسف اليان سركيس. معجم المطبوعات ص ٣٠.

Brockelmann, Geschichte Der Arabischen Literatur, (2nd. ed. and Supplements), Leiden 1937-1949 GAL., I. 209, S., I, 372.

H.K. Sherwani, A Muslim Political Thinker of the Ninth Century A.D. Ibn Abi al-Rabi, (Islamic Culture), Hyderabad Deccan, 1941, pp. 143-156.

D.M. Dunlop, the Fusul al-Madani of al-Farabi, Cambridge 1961 (introduction p. 6).

N. A. al-Takriti, Yahya Ibn Adi, A Critical Edition and Study of his Tahdhib al-Akhlaq, Ph. D. Thesis, Cambridge 1971, pp. 274-275. , Editions Oueidat, Beirut - Paris, 1978, PP. 227-229.

٢ ـ طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦هـ على الحجر في ١٥٢ صفحة من القطع الكبير.

٣ ـ يخيل إلي أن الصفحة الأولى من إضافة الناسخ، الذي يشير إلى أن المؤلف ذكره في الفصل الأول. انظر ورقة ٣ أ.

ولقد ورد اسم (المستعصم) واضحاً في مخطوطة باريس التي اعتمدناها أساساً في تحقيق هذا الكتاب، انظر ورقة ٣ أ.

٤ ـ تأريخ آداب اللغة العربية جـ٢ ص ٢١٤.

عاش قبل الكندي والفارابي. كما أن الكتاب ـ برأيه ـ كامل الوجود في تخطيطه المشجر، إضافةً إلى أن اسم المؤلف (شهاب الدين) ولا يوجد مثل هذا الاسم في زمن المعتصم كما تشهد بذلك كتب التأريخ التي أرخت تلك الفترة. وأن الاسمين (معتصم ومستعصم) متشابهان في الكتابة، ولا بد أن الاسم المذكور هو (المستعصم)، وقد أخطأ الناسخ فجعله (المعتصم) أما شيرواني[1] فيرد على جرجي زيدان بحجة أن الفلسفة اليونانية قد انتقلت وأثرت في الفكر الإسلامي منذ زمن الرشيد والمأمون، بالإضافة إلى أن عصر المستعصم كان وقت استعداد وتأهب للحرب ضد هولاكو، ولهذا فهو يرى أن الكتاب قد كتب في زمن المعتصم. أما بروكلمـان فقد ذكـر في مكان من كتابه[2]، أن الكتاب كتب للخليفة المعتصم. ثم يتراجع بعد ذلك ليقول في مكان آخر[3] إن الكتاب كتب للخليفة المستعصم.

لا شك أن وجهة نظر جرجي زيدان أقرب إلى الحقيقة. فبروكلمان ناقض نفسه ولم يثبت على قرار علمي معين. أما حجة شيرواني القائمة على أن البلاد كانت في حالة تأهب لحرب هولاكو، فأظن أن ذلك لا يمنع من بزوغ كاتب بارع في الفلسفة أو في أي فرع آخر من فروع المعرفة(*). أما الفلسفة اليونانية قد انتقلت في زمن الرشيد والمأمون فهذا مما لا شك فيه فقد كان عصر ترجمة. أما أثرها فقد جاء بعد ذلك كما نقرأ في مؤلفات أبي بكر الرازي (المتوفى سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م) والفارابي (المتوفى سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م) وابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م)، وغيرهم. كما أن أخطاء النساخ شائعة، فلا يستبعد أن ناسخ طبعة القاهرة الحجرية قد أخطأ فكتب المعتصم بدلاً من المستعصم. ومن تحليل الكتاب ومقارنته بكتاب آخر هو كتاب تهذيب الأخلاق لمؤلفه يحيى بن عدي (المتوفى سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) سنرى كيف أن ابن أبي الربيع قد تأثر بآراء من سبقه من فلاسفة الإسلام وكيف أن فقرات وأفكاراً كثيرةً من تهذيب الأخلاق نقلها ابن أبي الربيع وكتبها بطريقة الجداول والتشجير.

يقسم المؤلف الكتاب إلى أربعة فصول[4]: الفصل الأول كمقدمة، والفصل الثاني

---

١ ـ IslamicCultur P., 46-148.

٢ ـ Brockelmann, GAL., I, 209.

٣ ـ Brockelmann, S., I, 372.

* ـ لعل ذكر مثلين علميين يدحض حجة شيرواني هذه، إذا ما علمنا أن نصير الدين الطوسي الفيلسوف والعالم المشهور، وإن ابن الطقطقى مؤلف كتاب الفخري، قد عاشا في نفس الفترة التي دخل فيها هولاكو بغداد.

٤ ـ سلوك المالك في تدبير الممالك ورقة ٢ أ.

في أحكام الأخلاق وأقسامها، والفصل الثالث في أصناف السيرة العقلية وانتظامها، والفصل الرابع في أقسام السياسات وأحكامها.

يبدأ الكتاب بالحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ورفعه على ممن خلق بالتكريم وفضله وأمره بمكارم الأخلاق وتزكية النفس(١). يذكر بعد هذا فصل الإسلام والحث على مكارم الأخلاق، ويذكر فصل الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم الشريفة المتمثلة بالأخلاق(٢).

نلاحظ الروح الإسلامية واضحة جداً في أسلوب المؤلف، فبعد أن حمد الله تعالى في أول الكتاب، أضاف أن الله أمر الإنسان بمكارم تزكية لنفسه التي خلقها فسواها حيث قال: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها(٣). فهو يستشهد بالآيات القرآنية ويمزجها بأسلوبه، بالإضافة إلى أن الفكر اليوناني واضح في ثنايا الكتاب. ولعلني لا آتي بجديد إذا ما ذكرت أن الفلاسفة المسلمين بصورة عامة يكون إنتاجهم حصيلة دراستهم للقرآن الكريم وتأثرهم بالفلسفة اليونانية إضافةً إلى إبداعهم الذاتي.

يذكر ابن أبي الربيع أن سببين دفعاه على تأليف هذا الكتاب: الأول أنه وقف على كتاب مشجر في حفظ صحة البدن مختصر، ذكر فيه أن النفس أشرف من البدن. فرأى أن إصلاح أخلاق النفس وتزكيتها بالعلم(٤)، والسبب الثاني أنه أطاع من أشار إليه بذلك من

١ ـ سلوك المالك ورقة ١ ب.
٢ـ نفسه ورقة ١ ب.
٣ ـ نفسه ورقة ١ ب.
٤ ـ نفسه ورقة ١ ب. لم يذكر ابن أبي الربيع، مؤلف هذا الكتاب ولا عنوانه بالضبط، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أغلب الكتب الإسلامية التي تناولت فلسفة الأخلاق تشير إلى أن النفس أشرف من البدن، وكأمثلة على ذلك انظر: الكندي: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق أبي ريدة، القاهرة، مطبعة الاعتماد جـ ١ ص ٢٧٧.
الرازي: رسائل فلسفية تحقيق بول كراوس، القاهرة، ١٩٣٩ جـ ١ ص ١٥ ـ ٩٦.
الفارابي: الثمرة المرضية تحقيق ديتريصي، لندن، ١٨٩٠ ص ٧٥.
ابن سينا: أحوال النفس، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة ١٩٥٢ ص ١٨٣.
وبلا شك أن فكرة النفس أشرف من البدن هي فكرة يونانية، انظر مثلاً:
هيراقليطس: (ترجمة وتقديم الدكاترة علي سامي النشار وأبي ريان وعبده الراجحي)، القاهرة، ١٩٦٩ ص ٧٦ ـ ٨٨.
- Plato, Phedo, (English Translation) by B. Gowett, New York 1937, Vol. I. 79-80.
- Aristotle, De Anima, (English Translation) by G. Smith, Oxford 1931, II. i. 412 ab.
«المؤسف أن ابن أبي الربيع لم يذكر اسم هذا الذي أوامره مطاعة ـ حسب تعبيره ـ وإلا لسهل علينا معرفة زمن كتابة الكتاب».

ذوي المقام الرفيع[1].

يشير المؤلف في مقدمة الكتاب إلى شيئين مهمين: الأول أنه يسمي دراسة السلوك البشري بعلم الأخلاق[2]، والثاني أنه يذكر صراحةً أنه تأمل ما وجد من الكتب في هذا العلم تأملاً شافياً وانتزع منها ما كان قابلاً للتشجير والتقسيم[3]. فالمؤلف إذن هنا يعترف بصراحة أنه (انتزع) من الكتب فقرات وشجرها، وهذا ما سنلاحظه من الفقرات الكثيرة التي أخذها عن مؤلفين سابقين ورتبها وشجرها. ويقول إنه جمع في كتابه بين كلام الحكماء المتقدمين والعلماء المتأخرين[4]. وأظنه يقصد بالحكماء فلاسفة اليونان، وبالعلماء فلاسفة الإسلام.

يبدأ الفصل الأول بتذكير الإنسان أن يعلم ويعتقد بأن لهذا العالم صانعاً[5]، وأن أفضل جزء في العالم من هو ذو نفس، وأن أفضل ذوي الأنفس الذي له الاختيار والإرادة والحركة عن روية، وأفضل ذوي الإرادة والحركة عن روية، الذي له النظر البديع في العواقب، وهو الإنسان الفاضل[6]. وأن هناك تفاضلاً بين الناس في عقولهم وقوى نفوسهم، حيث أن الواحد منهم يفوق بالفن الواحد جميع ذوي جنسه ويعجز الباقون عنه، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل فيهم من أفضلهم واسطةً بينه وبينهم يلقي إليه ما ينتظم به أمر معاشهم وتقديره على إبلاغهم حتى يقوم بتبليغ ما يلقى إليه وبقدر تلك القدرة وذلك الإلهام على إيضاح السبيل الداعية إلى الحق[7]. ولذا فعلى الإنسان أن يهتدي بنور الله وهديه الذي اهتدى بمعرفته رسول الله ﷺ، وعليه أن يقدم على سياسة أحواله بقلب قوي ونية صادقة وصدر واسع، ويثق بأن ما يأتيه، وإن قل، يجدي عليه نفعاً كبير[8]. وأن الغرض من هذا الكتاب، الإبانة عن الكمال الإنساني الحاصل باستعمال الفضائل والمأمور بها واجتناب الرذائل المنهى عنها[9].

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ١ ب.
٢ ـ نفس المصدر ورقة ١ ب.
٣ ـ نفسه ورقة ١ ب.
٤ ـ نفسه ورقة ٢ أ.
٥ ـ نفسه ورقة ٢ أ.
٦ ـ نفسه ورقة ٢ أ.
٧ ـ نفسه ورقة ٢ أ.
٨ ـ نفسه ورقة ٢ ب.
٩ ـ نفسه ورقة ٢ ب.

نلاحظ أن شهاب الدين يستعمل كلمة (صانع) لهذا العالم ولم يستعمل كلمة (خالق)، والغالب أنه تأثر بهذه الفكرة بأفلاطون في كتابه تيماوس الذي يستعمل كلمة (صانع) لهذا العالم[١]. كما نلاحظ أن الإنسان الكامل عند ابن أبي الربيع، هو الإنسان الفاضل الذي يسوس نفسه ويصلحها بطاعة أوامر الله ورسوله وعمل الفضائل واجتناب الرذائل. فنرى كيف يمزج بين أوامر الدين وتوجيه الفلسفة. ومما تجدر الإشارة إليه أن الإنسان الكامل عنده يختلف عن الإنسان الكامل عند متصوفة الإسلام، فابن عربي ـ مثلاً ـ يرى أن الإنسان الكامل هو النبي والولي فقط[٢]. بينما الإنسان عند ابن أبي الربيع، يحصل على كماله عند طاعته للشريعة، وعند استعماله الفضائل واجتنابه الرذائل.

يختتم ابن أبي الربيع الفصل الأول ناصحاً بسياسة الناس بالدين القيم والسنة العادلة[٣]، وتوجيه رئيس واحد تكون له أكمل المراتب الإنسانية، ويعدد له ثلاثة عشر فضيلة يجب أن تتوفر فيه: الأولى أن يكون له قدرة على جودة التخيل والثانية أن يكون صحيح الأعضاء، والثالثة أن يكون جيد الفهم، الرابعة أن يكون جيد الحفظ، الخامسة أن يكون جيد الفطنة ذكياً، السادسة أن يكون حسن العبارة، السابعة أن يكون محباً للعلم، الثامنة أن يكون محباً للصدق، التاسعة ألا يكون شرهاً على الشهوات، العاشرة أن يكون كبير النفس، الحادية عشر أن يكون محباً للعدل، الثانية عشر أن يكون قوي العزيمة، الثالثة عشر أن يهون عنده الدينار والدرهم وسائر الأعراض الدنياوية الفانية[٤]. وأن من تفرد بهذه الصفات انتشرت محاسنه أطراف مهاد الأرض. ولم ينس ابن أبي الربيع أن يضيف بأن الذي ملك هذه الخصال في زمنه هو خليفة الله في العباد والسالك سبيل الرشاد المعتصم بالله[٥]، حيث اجتمعت فيه الخصال الموجبة للخلافة والإمامة فنشر العدل وتتبع المعروف فانتشر العدل وزال الظلم .

يمزج ابن أبي الربيع الأخلاق بالسياسة، كمزجه للدين بالفلسفة، فبعد أن ينصح باتباع الفضائل واجتناب الرذائل واتباع السنة العادلة، نراه يذكر صفات رئيس المدينة. لا شك أن فلاسفة الإسلام اطلعوا على الفكر الإغريقي فوجدوا أن اليونان درسوا السياسة

---

١ - Plato, Temaeus (English Translation) by H. Lee, Penguin 1965, 28.

٢ ـ ابن عربي: فصوص الحكم، القاهرة ١٩٤٦ ص ٢٥٢.

٣ ـ سلوك المالك ورقة ٢ ب.

٤ ـ نفسه ورقة ٣ أ.

٥ ـ نفسه ورقة ٣ أ الذي نلاحظ من الجملة أعلاه أن أغلب الكتاب يذكرون الخليفة أو السلطان القائم بكل صفات العدل والإحسان والكرم والأخلاق النبيلة.

كجزء من الأخلاق، وكذلك فعل المسلمون، ولم يفصلوا السياسة عن الأخلاق. والواقع أن دراسة السياسة لم تنفصل عن الأخلاق إلا بعد مكيافلي، فمنذ ذلك الوقت حتى الآن تدرس السياسة كعلم مستقل عن علم الأخلاق. كذلك نرى أن الصفات التي اشترطها ابن أبي الربيع للرئيس لا تختلف في عددها ولا في محتواها عن الصفات التي أوجب توفرها أفلاطون في جمهوريته[١] للحاكم الفيلسوف، والفارابي[٢] في ذكره خصال رئيس المدينة الفاضلة.

يبدأ الفصل الثاني بتذكير الإنسان أنه من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز[٣]، ولهذا يجب أن يروض نفسه على مكارم الأخلاق، ويتحلى بالصفات الحسنة، ويجتنب الصفات القبيحة. وأن على الإنسان أن ينمي الأخلاق الجميلة، أما إذا وجد عنده خلقاً قبيحاً فعليه أن يعترف به ويقف ضده، كالطبيب الذي متى صادف البدن أزيد حرارةً أو أنقص رده إلى التوسط من الحرارة[٤]. حتى نعود أنفسنا على الوسط لأن الخلق برأي ابن أبي الربيع لا يخلو من ثلاثة أحوال: الوسط والمائل عنه والمائل إليه[٥]. ولما كان الغرض هو السعادة الخلقية فعلينا أن نوازن أفعالنا، فكلما وجدنا أنفسنا مالت إلى جانب عودناها الجانب الآخر، ولا نزال نفعل ذلك حتى نبلغ الوسط أو نقاربه[٦].

قبل أن نترك هذه الفقرة أود أن أشير إلى أن ابن أبي الربيع بدأ الفصل الثاني من كتابه بفقرة تشابه ما بدأ به يحيى بن عدي كتابه «تهذيب الأخلاق»[٧]. وعند قراءتنا للفقرتين التاليتين من كلا الكتابين نرى كيف أن ابن أبي الربيع قد أخذ عن تهذيب الأخلاق، ولا

---

١ ـ Plato, the Republic, (English Translation) by G. Gowett, Oxford 1888, VI, 485.

٢ ـ الفارابي: كتاب أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت ١٩٥٩، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

٣ ـ سلوك المالك ورقة ٣ ب.

٤ ـ نفسه ورقة ٤ ب.

٥ ـ نفسه ورقة ٤ ب.

٦ ـ نفسه ورقة ٤ ب.

٧ ـ أنظر رسالتنا للدكتوراه الموسومة:

N.A. al-Takriti, Yahya Ibn Adi, A Critical Edition and Study of his Tahdhib Al-Akhlaq, Ph. D. Thesis, Cambridge 1971.

«الذي أود أن أشير إليه هنا أن تهذيب الأخلاق ليحيى بن عدي قد طبع عدة طبعات، ولكن التحقيق العلمي الوحيد للكتاب، هو الذي قمت به في جامعة كامبردج حيث حققته على سبع مخطوطات بالإضافة إلى مقارنة بكل النسخ المطبوعة، والإشارة إلى الأخطاء التي وقع فيها طابعو الكتاب. الشيء الثاني الذي أود ذكره أنني هنا سأعتمد على كتاب تهذيب الأخلاق المحقق في رسالتي كمصدر فقط عندما أشير إلى رقم الصفحات».

أريد أن أكرر ما قلته في صفحة سابقة أن ابن أبي الربيع قد اعترف بأنه (انتزع) فقرات من كتب المتقدمين:

يحيى بن عدي

بدأ كتابه قائلاً[1]:

اعلم أن الإنسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز وهو أبداً يحب من الأمور أفضلها ومن المراتب أشرفها ومن المقتنيات أنفسها إذا لم يعدل عن التمييز في اختياره ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه وأول ما اختاره الإنسان لنفسه ولم يقف دون بلوغ غايته ولم يرض بالتقصير عن نهايته تمامه وكماله، ومن تمام الإنسان وكماله أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها ومتنزهاً عن مساوئها ومقابحها آخذاً في جميع أحواله بقوانين الفضائل عادلاً في كل أفعاله عن طريق الرذائل وإذا كان ذلك كذلك كان واجباً على الإنسان أن يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب ويصرف همته إلى اقتناء كل خلق كريم خالص من الشوائب وأن يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة دنيئة ويستفرغ وسعه في اطراح كل خلة مذمومة دنيئة حتى يحوز الكمال بتهذيب أخلاقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله.

ابن أبي الربيع

بدأ الفصل الثاني من كتابه قائلاً[2]:

قد ثبت بالبرهان الصادق، أن الإنسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز فهو أبداً يختاره من الأمور أفضلها ومن المراتب أشرفها ومن المقتنيات أنفسها إذا لم يعدل عن التمييز في اختياره ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه وأول ما اختاره الإنسان لنفسه ولم يقف دون بلوغ غايته ولم يرض بالتقصير عن نهاية تمامه وكماله إذ هو من تمام الإنسان وكماله أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها متنزهاً عن مساويها ومقابحها آخذاً في جميع أحواله بقوانين الفضائل، عادلاً في أفعاله عن طريق الرذائل وإذا كان ذلك كذلك فقد وجب عليه أن يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب ويصرف همته في اقتناء (خيم) كريم خالص من الشوائب وأن يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة ويستفرغ وسعه في إطراح كل خلة مذمومة حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله.

١ ـ المصدر السابق ٤٧ ب ـ ٤٠٨ أ.

٢ ـ سلوك المالك ورقة ٣ ب.

أما فكرة الوسط التي نصح بها ابن أبي الربيع، فقد عالجها كثير من مفكري الإسلام[١]. وبلا شك أن الفكرة يونانية، فأفلاطون[٢] قال بأن العدالة وسط بين طرفين، وأرسطو[٣] قرر أن الفضيلة وسط بين رذيلتين فالشجاعة عنده - مثلاً - فضيلة بين رذيلتين هما الجبن والتهور.

يعرف ابن أبي الربيع الخلق فيقول[٤]: «إن الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من فكرة وروية». ثم يقول بعدها إن الخلق إما أن يكون طبيعياً من أصل الخلقة أو مستفاداً بالعادة. ثم ينصح بعدها بأن يتبع الإنسان قواه العقلية ويضعف من قواه البهيمية حتى تصلح نفسه. ثم يقول إن الفلاسفة[٥] قد أجمعت على أن جميع أجناس الفضائل التي لا نحتاج في اقتناء كمال النفس إلى غيرها هي أربعة: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة.

من الجدير بالملاحظة أن تعريفه للخلق قد سبقه إليه فلاسفة آخرون فابن مسكويه يقول[٦]:

«الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية».

ويحيى بن عدي[٧]:

«الخلق حال للنفس بها يفعل الإنسان بلا روية ولا اختيار».

ويبدو لي أن تعريف الخلق عندهم جميعاً أخذ عن جالينوس الذي حدّه[٨]:

---

١ - انظر مثلاً:

- رسالة في السياسة، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١١، ص ٣٠
- ابن سينا: كتاب في السياسة، تحقيق لويس معلوف، بيروت ١٩١١، ص ١٠
- ابن حزم: فلسفة الأخلاق، القاهرة - بدون تاريخ - ص ٥٨.
- الغزالي: إحياء علوم الدين، القاهرة ١٢٨٢هـ جـ ٣ ص ٤٧.
- مسكويه: تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت ١٩٦٦ ص ٢.

Nasir al-Din Tusi, the Nasirean Ethics, (English Translation) by G. M. Wickens, London 1964, p. 113.
J. Al-Dawwani, Akhlak - i - Jalaly, (English Translation) by W.F. Thomson, Tlondon 1839, p. 171.

«الصفحات المؤشرة أعلاه كأمثلة فقط، إذ أن الوسط فضيلة عندهم بين رذيلتين مبثوثة في أغلب كتبهم».

٢ - Plato, The Republic, II. 359.

٣ - Aristotle, Ethica Nicomachea, (English Translation) by D. Ross, Oxford 1925, II. 7-9.

٤ - سلوك المالك ورقة ٥ أ.

٥ - نفسه ورقة ٥ ب.

٦ - تهذيب الأخلاق ص ٣١.

٧ - نفسه ٥٠ أ.

٨ - نفسه: تحقيق كراوس (مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة) مايس ١٩٣٧، ص ٢٥.

«الخلق حال للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختبار».

والفكرة بلا شك أرسطية مبثوثة في كتاب الأخلاق النيقوماخية. أما الفضائل الأربع التي ذكرها ابن أبي الربيع مشيراً إلى الفلاسفة، فإن أصلها الحكيم أفلاطون[١] الذي قسم النفس إلى ثلاث قوى: القوة الناطقة وفضيلتها الحكمة والقوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة والقوة الشهوانية وفضيلتها العفة. وإن فضيلة العدالة هي أن توازن بين القوى الثلاث المشار إليها حيث أخذها الفلاسفة من بعده لا سيما المسلمون واستعملوها في كتاباتهم وبنوا على أساسها نظرياتهم في الفلسفة الخلقية[٢].

ويفصل ابن أبي الربيع قوى النفس[٣] ويعرفها. فالقوة الفكرية عنده هي العاقلة ومسكنها الدماغ، وبها يكون الفكر ويختص بها الإنسان، والقوة الغضبية وهي الحيوانية السبعية ويشارك الإنسان بها الحيوان ومن قواها حب الغلبة والرياسة، والقوة الشهوية وهي المغذية النباتية ومسكنها الكبد ويشارك بها الحيوان والنبات وبها يبقى التناسل وبها يطلب الموافق من الأغذية. ويضع ابن أبي الربيع الجداول المشجرة في تقسيم الفضائل والرذائل وكل همه من ذلك التوسط في الأمور وعدم الإفراط والتفريط[٤]. إلا أن الذي يثير الملاحظة أن بعض تعاريف ابن أبي الربيع مشابهة تماماً لتعاريف يحيى بن عدي لفظاً ومعنًى. فمثلاً يعرف ابن أبي الربيع[٥] فضيلة الصدق: «الصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه»، ويحيى بن عدي[٦] يعرّفه: «الصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو به».

والكذب عند ابن أبي الربيع[٧]: «هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وهو مذموم». ويحيى بن عدي[٨] يقول: «وهو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به وهذا الخلق مكروه». ولا أريد أن أكثر من وضع النصوص فهناك تشابه كبير في كثير من تعريف

---

١ ـ Plato, the Republic, IV. 435.

٢ ـ أعتقد لا حاجة لذكر الأمثلة فكل من يتصفح كتاباً في فلسفة الأخلاق لفيلسوف مسلم يستكشف أن نظريته الأخلاقية بنيت على توازن قوى النفس الأفلاطونية. هذا من جهة، ومن ناحية أخرى الاعتدال في كل شيء والميل نحو الوسط الذي هو فضيلة. وقد أشرت في الصفحات السابقة إلى أن أصل فكرة الوسط هي أرسطية».

٣ ـ سلوك المالك ورقة ٦ أ.

٤ ـ نفســـه: ورقة ٦ ب ـ ١١ ب.

٥ ـ نفســـه: ورقة ٧ ب.

٦ ـ تهذيب الأخلاق ٦٤ ب.

٧ ـ سلوك المالك ورقة ٨ أ.

٨ ـ تهذيب الأخلاق ٧١ أ.

بعض الفضائل والرذائل في كلا الكتابين تشابهاً يكاد يكون متطابقاً لفظاً ومعنىً[1]. ويشير ابن أبي الربيع[2] إلى أن الحكماء قد اختلفوا في فضائل الأخلاق هل تراد لذواتها أو للسعادة الحادثة عنها على نوعين فذهب بعضهم إلى أن المراد بالفضائل ذواتها لا لكونها المُكتسِبَة للسعادة وذهب آخرون إلى أن المراد بها السعادة الحادثة عنها لأنها الغاية المقصودة بها. لكن ابن أبي الربيع لم يُعطنا رأيه في الموضوع.

عندما يتكلم ابن أبي الربيع[3] عن السعادة يذكر صراحةً أن أفلاطون يرى أن السعادة خاصة في النفس دون البدن، أما أرسطو فيقول عنه إنه شارك فيها بين النفس والبدن. وتنقسم الخيرات[4] عنده إلى قسمين خير محمود عند كل أحد كالعدل والصدق والكرم فإن ذلك محبوب محمود عند كل أحد، وخير ليس بمؤثر عند كل أحد كالشجاعة والغنى وما أشبههما فإنه ليس محبوباً مختاراً عند الجميع. ويقسم الخيرات أيضاً إلى ثلاثة أنواع[5]: أحدها في النفس كجودة الفضائل والثاني في البدن كحسن البدن وصحة أعضائه وسلامته من الآفات والثالث خارج عنهما كالمال والسلطان والأصدقاء. ويقرّر بعد ذلك أن الإنسان مطبوع على أخلاق قلّ ما حُمِد جميعها أو ذُمّ سائرها وإنما الغالب بعضها محمود وبعضها مذموم. ولذا عنده أن الإنسان السعيد من غلبت فضائله على رذائله، ولذا يحث الإنسان على التخلق بالأخلاق المحمودة واستعمالها واجتناب المذمومة وإهمالها وينصح بالمداومة على كتب الأخلاق والسياسات والعمل بها وأن يجالس الزهاد والفقهاء وذوي الاجتهاد ويجتنب مجالسة السفهاء. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ابن أبي الربيع عمل جدولاً مشجراً بتمييز قوى النفس الثلاث وترويضها حيث يشابه ما كتبه يحيى بن عدي كثيراً. فهو يقول مثلاً ناصحاً[6]: «بمداومة الاطلاع على كتب الأخلاق والسياسات والعمل بها»، وابن عدي ينصح[7]: «قراءة كتب الأخلاق وتصفح كتب السير

---

١ ـ يمكن لمن يريد المقارنة بين نصوص الكتابين أن ينظر:
سلوك المالك، ورقة ٦ ب ـ ١١ ب.
تهذيب الأخلاق ٦٠ أ ـ ٧٢ ب.

٢ ـ سلوك المالك ورقة ١١ ب.

٣ ـ نفس المصدر ورقة ١٣ أ.

٤ ـ نفسه ورقة ١٣ أ.

٥ ـ نفسه ورقة ١٣ أ.

٦ ـ نفسه ورقة ١٤أ.

٧ ـ تهذيب الأخلاق ٩٠ أ.

والسياسات». ويقول ابن أبي الربيع بتمييز القوة الناطقة[١]: «بتدقيق النظر في العلوم العقلية والبحث عنها»؛ وفي نفس الموضوع يقول يحيى بن عدي[٢]: «فإنه إذا نظر في العلوم العقلية ودقق فيها. . .» ويقول ابن أبي الربيع في ترويض النفس الغضبية[٣]: «بأن يذكر من يؤذيه إن لو كان هو المؤذى هل كان يختار ذلك أو ينفر منه؟»؛ ويقول يحيى في نفس المشكلة[٤]: «أن يذكر أوقات غضبه على من يؤذيه أو يجني عليه أنه لو كان هو الجاني ما الذي كان يستحق أن يقابل على جنايته؟».

أما الفصل الثالث من الكتاب فقد خصه في أصناف السيرة العقلية الواجب على الإنسان اتباعها والعمل بها. ونلاحظ أنه كرر كثيراً من نصائحه التي أسداها في الفصلين السابقين ـ في اتباع طريق الفضيلة التي يحث عليها العقل. كما أنه يعالج في هذا الفصل كثيراً من شؤون الهندسة والرياضيات والبلاغة وكل هذه خارجة عن نطاق بحثنا إذ إن هذه المقالة تبحث ـ كما هو مشار سابقاً ـ في أفكار ابن أبي الربيع الأخلاقية والسياسية. كما أن الملاحظ أن هذا الفصل كتب أغلبه على شكل جداول مشجرة.

يبدأ الفصل الثالث بالاتجاه إلى الله تعالى داعياً منه التوفيق في الأعمال مشيراً بعدها إلى أن بعض العلماء ذكر أن المخلوقات بأسرها على أربعة أقسام[٥]: القسم الأول الذي له عقل وحكمة وليس له طبيعة وشهوة وهم الملائكة. والقسم الثاني الذي له طبيعة وشهوة وليس له عقل ولا حكمة وهو الحيوان غير الإنسان. القسم الثالث الذي ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة وهو الجماد والنبات. أما الرابع فهو الذي يكون له عقل وحكمة وطبيعة وشهوة وذلك هو الإنسان. فيهتم بالإنسان لأنه مخصوص بالعقل حيث عن طريق العقل اكتسب العلم[٦].

أود أن أذكر هنا بعد مقدمة الفصل الثالث من كتاب سلوك المالك في اتباع طريق العقل الذي فضل به الإنسان على الحيوان. إن الفلاسفة مذ وُجِدوا يميزون الإنسان على الحيوان بالعقل، وإن فيلسوفاً إسلامياً قد عالج المشكلة بنفس الأسلوب في كتبه المتوفرة

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ١٤ أ.
٢ ـ تهذيب الأخلاق ٨٥ أ.
٣ ـ سلوك المالك ورقة ١٤أ.
٤ ـ تهذيب الأخلاق ٨٣ أ.
٥ ـ سلوك المالك ورقة ١٥ أ.
٦ ـ نفسه ورقة ١٥ أ ـ ١٥ ب.

لدينا ألا وهو أبو بكر الرازي فقد أشار في بداية كتابه «الطب الروحاني»[1]: «إن البارىء عز اسمه أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة». كما أنه يقول: «فبالعقل فضلنا على الحيوان»[2]. وقد مجد أبو بكر الرازي العقل رافعاً قدر السيرة العقلية أو السيرة الفلسفية بتفصيل المتخصص القادر في كتابه «الطب الروحاني»[3] وكتابه «السيرة الفلسفية»[4].

وإن سياسة الإنسان لنفسه عند ابن أبي الربيع[5] هي أن يأتي بالأعمال الصالحة، فمن ناحية سيرته مع أهله وماله وولده وسيرته مع بني جنسه من بني الإنسان. فسيرته مع نفسه بأن يجتهد في بلوغ الكمال. أما سيرته مع بدنه فهو أن يلزم الاعتدال في الطعام والشراب وباقي الشهوات[6]. فأما مع حاله فإنه بالمال يتمكن التوصل إلى مآربه وأما زوجته فهي ربة المنزل وشريكته فيه. وأما الولد فهم الخلف وهم قوام الإنس. أما تدبيره للأمور فهو إجراء أموره على الصواب[7]. ويقرر ابن أبي الربيع[8] في لفتة بارعة، أننا لا يمكن أن نجد إنساناً كاملاً من جميع الجهات، فكل إنسان إذا لاحظ الآخرين وجد نفسه في حالة يشركه فيها طائفة منهم. وكذلك وجد طائفةً منهم أعلى بجهة أو جهات ووجد دونها طائفةً هم أوضع منه بجهة أو جهات، ولهذا إذا تأمل الإنسان أخلاق الآخرين توجب عليه أن ينتفع بالسيرة الصالحة لمن هو أعلى منه فيرتفع إلى مرتبتهم، وأما مع الأكفاء فليفضل عليهم وأما مع الأوضعين قليلاً فلا ينحط إلى رتبهم[9]. فيجب على الإنسان في ماله أن يعرف أبواب الجميل ولا يقصد الإنفاق على شهواته ولذاته وينصح بالتوسط بين رذيلتين فهو يقول: على الرجل أن يكون إنفاقه كرماً لا تبذيراً ولا إسرافاً[10]. أما المرأة فهي مكملة للرجل لا سيما وأن الرجل يقضي أكثر أوقاته خارج البيت فهي التي تدير شؤون البيت

---

١ - الرازي: رسائل فلسفية، تحقيق ب. كراوس، القاهرة ص ١٧.
٢ - نفسه ص ١٨.
٣ - نفسه ص ١٥ - ٩٦.
٤ - نفسه ص ٩٧ - ١١١.
٥ - سلوك المالك ورقة ١٥ ب.
٦ - نفسه ورقة ٢٠ أ.
٧ - نفسه ورقة ٢٠ أ.
٨ - نفسه ورقة ١٩ ب.
٩ - نلاحظ أنه يقول: وأمامع الأوضعين قليلاً (فلينحط) إلى رتبهم. وهذا بلا شك خطأ من الناسخ إذ الأصح مع سياق القصد: فلا ينحط...» انظر ورقة ١٩ ب.
١٠ - سلوك المالك ورقة ٢١ أ.

بالإضافة إلى الإنجاب الطبيعي من لقاء الرجل بالمرأة. ويجب على الرجل أن يقصد من المرأة خلقها ومساعدته في تدبير منزله لا أن يقصدها لمالها أو جمالها[١].

وأما الولد - في رأي ابن أبي الربيع - فينبغي أن يؤخذ بالأدب من صغره لأن الصغير أسلس قياداً وأسرع مواتاة ولأجل أن يتعود على الأخلاق الجميلة والأفعال المحمودة يجب أن يتعلم منذ الصغر العادات المرضية والنظر في أمور الشريعة وأن يربى منذ الصغر على حب الفضائل واجتناب الرذائل[٢]. ويوصي الرجل الذي يملك العبيد بعبيده خيراً وأن يعاملهم المعاملة الحسنة[٣]. أما سيرة الإنسان مع أهل نوعه - حسب تعبير ابن أبي الربيع[٤] - فيقسمها إلى ثلاثة أنواع: أولاً: سيرته مع من فوقه الذين يحددهم بالآباء والمعلمين والملوك وبصورة عامة ينبغي عليه أن ينظر إليهم نظرة إكبار وإجلال. وثانياً: سيرته مع أكفائه وهم الأخوة والأصدقاء والأعداء والمتوسطون، فأما الأخوة فعليه أن يختار منهم الأفضل ومع ذلك يجب أن ينظر كلاً منهم بما يستحقه وعلى قدر عقله فيحترم الكبير ويوقر الصغير ولا يغفل عن خدمتهم وقضاء حقوقهم[٥]. والأصدقاء وهم نوعان: أصدقاء مخلصون ويجب عليه الاستكثار منهم ويكثر من تفقده لهم وأن يبدأهم بالبر، ولا يؤاخذهم بالتقصير ولا يعاتبهم عتاباً مفرطاً، وأصدقاء في الظاهر فينبغي عليه أن يجاملهم ويحسن إليهم ولا يطلعهم على شيء من أسراره وعيوبه ويعاملهم بحسب الظاهر[٦]. ويجب عليه أن يختار من الأصدقاء من كان أهل علم وتدين وحكمة وعقل يفيدونه، ومن كان أهل شرف يستعين بهم في حوادث الزمان ومن كان أهل ثروة يستعين بهم في الهم والغم[٧]. أما الأعداء فينبغي عليه أن يحترس كل الاحتراس منهم ويحذر من دسيستهم[٨]. والمتوسطون منهم صلحاء نصحاء يجب أن يستمع إلى قولهم ويجتهد في التشبه بهم، ومنهم سفهاء منافقون، أما السفهاء فيجب أن يستعمل معهم الحلم والمنافقون أن يقابلهم بمثل فعلهم وألاّ يتواضع لهم لئلاّ يستضعفوه[٩]. وأما سيرة الإنسان مع من

---

١ - سلوك المالك ورقة ٢١ ب.
٢ - نفسه ورقة ٢٢ ب.
٣ - نفسه ورقة ٢٣ أ.
٤ - نفسه ورقة ٢٤ ب.
٥ - نفسه ورقة ٢٥ أ.
٦ - نفسه ورقة ٢٥ ب.
٧ - نفسه ورقة ٢٥ ب.
٨ - نفسه ورقة ٢٦ أ.
٩ - نفسه ورقة ٢٦ أ.

دونه، فمن كان منهم ذا طباع جيدة فينبغي عليه أن لا يدخر وسعاً في مساعدتهم ، وأصحاب الطباع الرديئة فعليه أن يحملهم على تهذيب أخلاقهم[1].

ينهي ابن أبي الربيع الفصل الثالث بصفحتين كاملتين كتبهما بجدول مشجر ووضع لها عنواناً يتوسط الصفحتين معاً قائلاً: ويجب على العامل بهذه السيرة العقلية مراعاة هذه الأحوال، فيضع عشرين نصيحة بعشرين حالاً أو بعشرين فقرة كل نصيحة تأخذ سطراً كاملاً، ومغزاها بالحقيقة هو تكرار لما قاله بالصفحات السابقة من هذا الفصل فكأنه بهذه العشرين نصيحة أراد أن يكتب خلاصةً لما أطنب فيه فمثلاً في الفقرة الأولى يقول: « أن يعلم أنه حق على المرء أن ينظر إلى محاسن الناس ومساويهم ليجتذب المنافع إليه». وهذا طبعاً كرره عدة مرات في صفحات الكتاب. وفي الفقرة عشرون يقول: «ثم يتعهد المعيشة والحرفة التي يحترف بها ليتوفر كسبه وينمو ماله ويحسن حاله وينتظم[2].

خص ابن أبي الربيع الفصل الرابع وهو الأخير في أقسام السياسات وأحكامها وذكر السبب الموجب لاتخاذ المدن والداعي إلى إقامة السياسة في العالم، فيبدأ الفصل متجهاً بكلماته إلى الله عز وجل قائلاً: «اللهم إنا نحرص على بلوغ الغاية مع طول المشقة. . . فاعصمنا من مكايد الشيطان ولا تكلنا إلى النفس الأمارة بالسوء وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك ورأفتك إنك على ما تشاء قدير»[3]. ثم يذكر السبب الذي دفعه على وضع هذا الفصل، إن الله جل جلاله لما خص الملوك بكرامته ومكن لهم في بلاده وخولهم عباده أوجب على علمائهم تبجيلهم وتعظيمهم وتوقيرهم كما أوجب عليهم طاعتهم، ويستشهد ابن أبي الربيع بالآية الكريمة ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ كذلك يقول إن العامة وبعض الخاصة تجهل الأقسام التي تجب لملوكها عليها وإن كانت متمكنة بجملة الطاعة كذلك يقرر صاحب الكتاب أن السعادة العامة في تبجيل الملوك وتعظيمها وطاعتها[4].

ندرك من الفقرة السابقة أن ابن أبي الربيع وضع هذا الفصل لأجل الملوك وكذلك إذا جاء ذكر العلماء والحكماء فلأجل أن يوقروا ويبجلوا الملوك وإذا جاء ذكر العامة فلأجل طاعة الملوك لا غير ثم لا يتردد أن يستشهد بآيتين كريمتين ذكرنا واحدة منها تذكر الإنسان

---

١ - سلوك المالك ورقة ٢٦ ب.
٢ - نفسه ورقة ٢٧ أ.
٣ - نفسه ورقة ٢٧ ب.
٤ - نفسه ورقة ٢٧ ب - ٢٨ أ.

بأن الله تعالى رفع بعضنا فوق بعض درجات وكذلك كما نطيع الله والرسول يجب أن نطيع أولي الأمر. ثم يقرر ابن أبي الربيع نظرية عجيبة هي أن السعادة العامة في تبجيل الملوك وطاعتهم. ولا ندري لماذا لم يقرر ـ مثلاً ـ بأن السعادة العامة هي في عدل الملوك بين رعيتهم. الحقيقة أننا لا نستطيع أن ننظر المسألة نظرةً عصريةً وإنما الأصح أن نتذكر أن الخليفة العباسي كان يعتبر نفسه ظل الله في الأرض، فهو يجمع بين الرئاسة الدينية والدنيوية، كما لا ننسى أن أي وزير أو قائد في الدولة كان إذا أراد مكالمة الخليفة خاطبه بـ : (يا بن عم رسول الله)، ولا حاجة بنا أن نذكر ما لهذه الجملة من قدسية لدى المخاطبين والسامعين. ولهذا إذا لمنا ابن أبي الربيع من أنه كان يجب عليه أن يدرس المجتمع مشيراً إلى الأسباب التي تجلب له السعادة، وجب علينا أن نتذكر أن المجتمع في ذلك الحين كان هرمياً يبدأ بالقمة الذي هو الخليفة حيث يستطيع هذا أن يقرب هذا ويبعد ذاك من العلماء، وهو قادر على عزل أو تعيين من يشاء من القادة والوزراء، كما أنه يستطيع أن يُغني أو يفقر أي فرد من العامة. وأود أن أذكر هنا أن الفارابي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) قد اهتم برئيس المدينة اهتماماً كبيراً وأفرد لذكر خصال رئيس المدينة فصلاً كاملاً.

قبل أن أنتهي من الإشارة إلى الفقرة السابقة أود أن أذكر أن هناك سؤالاً يطرح نفسه: لماذا يشير المؤلف إلى ذكر الملوك ولا يقول الخلفاء؟ لا سيما إذا علمنا أن المؤلف كتب كتابه في ظل الدولة العباسية. وإذا كان هناك ملوك أطراف، وإذا كان هناك ملوك ولايات أو مقاطعات، إلا أن الشيء الذي يجب ألّا يغيب عن بالنا أن ابن أبي الربيع ذكر أنه كتب كتابه هذا من أجل (خليفة) سواء كان هذا الخليفة المستعصم ـ كما قررنا ـ أو المعتصم، يخيل لي أن هناك أسباباً كثيرةً لعل أهمها أن الدولة الإسلامية في بدء نشأتها كانت محاطةً بدول يحكمها ملوك مثل بلاد فارس والحبشة ومصر وبلاد الروم، بالإضافة إلى أن العرب عرفوا الملوك في بلادهم، فهناك ملوك اليمن وملوك كندة وملوك المناذرة وملوك الغساسنة، والسبب الثاني أن كلمة (خليفة) اتخذت أول الأمر للرجل الذي يخلف رسول الله، فهي دينية أكثر منها إدارية، وكذلك كلمة (أمير المؤمنين) تدل على معنى الإدارة والحكم. والسبب الثالث أن الدولة رغم أنها كانت تدار من قبل الخليفة ـ في أيام عز الدولة العباسية ـ ورغم أن الخليفة ـ في عصور الضعف ـ قد فقد كل قوة سياسية، أقول رغم هذا وذاك فقد كانت هناك مقاطعات وولايات تدار من قبل ملوك. والسبب الرابع ـ وهو مهم برأيي ـ أن مفكري الإسلام قد اطلعوا على آداب وفلسفات الدول ذات الحضارة العريقة مثل فارس والهند واليونان حيث أن كلمة (ملك) عندهم تعني الحاكم والرئيس المهيمن على شؤون البلاد، ولهذا عندما نقرأ لكتاب مسلمين نجد أنهم يستعملون كلمة ملك ويقصدون به

الحاكم أو الخليفة أو الرئيس، فمثلاً نقرأ في كتاب (التاج في أخلاق الملوك) المنسوب للجاحظ والذي عاش في عز أيام الدولة العباسية يستعمل كلمة (ملك) وهو يقصد خليفة في كثير من صفحات كتابه. وكذلك الفارابي في كتابه (آراءُ أهل المدينة الفاضلة) فإنه يستعمل كلمة: ملك ورئيس وإمام وخليفة، ويقول إنها كلها كلمات تدل على معنى واحد. ويحيى بن عدي في كتابه (تهذيب الأخلاق) يستعمل كثيراً كلمة ملك وسلطان ورئيس ويقصد بكل هذه الكلمات الرجل الحاكم للدولة.

يأتي ابن أبي الربيع[١] بعد هذا إلى فكرة جديدة في كتابه فينصح بالتعاون بين الناس لأن الإنسان الواحد - برأيه - لا يمكنه أن يعمل الصنائع كلها ولهذا افتقر بعض الناس إلى بعضهم لا سيما وأن الإنسان محتاج إلى الغذاء واللباس والمسكن والجماع والعلاج. ولهذا السبب اجتمع كثير منهم في موضع واحد فاتخذوا المدن لينالوا المنافع من قرب بعضهم لبعض. ويقول ابن أبي الربيع: إن الله عز وجل خلق الإنسان بالطبع يميل إلى الإجتماع. والمعروف أن أرسطو[٢] أول من قال بأن الإنسان مدني بالطبع. وكذلك قال قبله أفلاطون[٣] إن الإنسان يحتاج للإجتماع والتعاون لأن الإنسان يحتاج للآخرين في بناء المدينة السعيدة. ومن فلاسفة الأخلاق في الإسلام الذين ذهبوا إلى القول بأن حياة الإنسان تكتمل بالمجتمع، يحيى بن عدي[٤] ومسكويه[٥]. وبعد أن اجتمع الناس في المدن وتعاملوا يتأثر ابن أبي الربيع في العقيدة الإسلامية فيشير إلى أن الله قد صنع لهم سنناً وفرائض يرجعون إليها ويقفون عندها، ونصب لهم حكاماً يحفظون السنن ويأخذونهم باستعمالها لتنتظم أمورهم ويجتمع شملهم[٦].

فالمؤلف إذن يقرر أن السنن منزلة من عند الله تعالى، وبلا شك هنا يقصد الشريعة الإسلامية. كما أنه بنفس الوقت يقرر أن الله هو الذي نصب الحكام، والسبب لقوله هذا - كما أعتقد - أنه كان يعيش في زمن خلفاء ينتسبون إلى رسول الله ﷺ والذي اختاره الله يوصل السنن إلى البشر، ولهذا يريد ابن أبي الربيع من الحكام أن يزيلوا الظلم والتعدي

---

١ - سلوك المالك ورقة ٢٨ أ.

٢ - Aristotle, Ethica Nicomachea, I. 7.1097 b. IV. 6. 1126 b.

٣ - Plato, The Republic, II. 369.

٤ - تهذيب الأخلاق ٩٦ ب.

٥ - نفسه ص ١٥.

٦ - سلوك المالك ورقة ٢٨ أ.

والفساد. ويلتفت ابن أبي الربيع لفتةً بارعةً حيث يقول إن المتولين لذلك يجب أن يكونوا أفاضلهم من نهى عن شيء أو أمر بشيء فالواجب أن يظهر ذلك في نفسه أولاً ثم في غيره[1]. ثم يأتي بفكرة رائعة أيضاً وهي أن المدينة أو المدن الكثيرة يجب أن يكون رئيسها واحداً لأن كثرة الرؤساء تفسد السياسة[2]. بعد هذا يقول إن سائر الأعوان والسياسيين يجب أن يكونوا سامعين للرئيس مطيعين منفذين لما يصدر عن أمره. ولم يكتف ابن أبي الربيع من الأعوان بالسمع والطاعة بل يقول: وحتى يكونوا كالأعضاء له يستعملهم كيف شاء[3]. ولا أدري في الحقيقة كيف انحدر ابن أبي الربيع إلى هذا المستوى الفكري، وهو الذي يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة كيف نسي أن أمرهم شورى بينهم.

ينتقل ابن أبي الربيع بعد هذا إلى أركان المملكة وهي عنده أربعة أركان[4]: الملك والرعية والعدل والتدبير. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن رئيس المدينة عنده الذي يصلح لرئاسة المدينة هو الملك الفاضل[5]. فهو لم يطالب بالملك الفيلسوف كما ذهب فلاسفة من قبله، فأفلاطون[6] مثلاً اشترط أن يكون ملك المدينة فيلسوفاً. وكذلك الفارابي[7] من فلاسفة الإسلام. نلاحظ هنا أن ابن أبي الربيع يشابه يحيى بن عدي[8] الذي اكتفى بأن يكون الملك فاضلاً فحسب. والملك - كما يقول - مضطر إلى ست آلات[9] وهي الأبوة والهمة الكبيرة والرأي المتين والصبر على الشدائد والمال الجم والأعوان الصادقون. ولعل أغرب ما ذكره في هذه الفقرات الآلة الأولى - كما يسميها - وهي الأبوة حيث قال في تفسيرها نصاً: «وهو أن يكون من أهل بيت الملك قريب النسب ممن ملك قبله، وذلك سبب الإتفاق عليه» فيظهر أنه يريد أن يقرر إجماع الأمة أو مبايعة الأمة الإسلامية، ولكنه يرى أنه يعيش تحت ظل دولة وراثية يتناوب الملك الأولاد أو الأقارب وأن التسمية تأتي أولاً سواء من الملك أو الخليفة السابق، أو عن طريق تدخل الحاشية والقواد ثم بعدها تؤخذ المبايعة من الآخرين ولهذا مزج بين القول بالوراثة والاتفاق. ويوجب ابن أبي الربيع الملك بأن

---

١ - سلوك المالك ورقة ٢٨ ب.
٢ - نفسه ورقة ٢٨ ب.
٣ - نفسه ورقة ٢٨ ب.
٤ - نفسه ورقة ٢٩ أ.
٥ - نفسه ورقة ٢٨ ب.
٦ - Plato, The Republic, VI. 487.
٧ - آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٠٨، تحصيل السعادة، حيدر آباد ٣٤٥ هـ ص ٤٢ - ٤٣.
٨ - تهذيب الأخلاق، انظر مثلاً ٩٢ أ، ٩٩ ب، بالإضافة إلى أن مثل هذه الآراء مبثوثة في الكتاب.
٩ - سلوك المالك ورقة ٢٩ أ.

يسوس نفسه بذكر الله تعالى وشكره وأن يجعل العدل نصب عينيه. وأن يسوس بدنه بالاعتدال في اللذات وأن يكون كامل الأعضاء لا يأتي قبيحاً. وفي سياسة خاصته كالوزير والكاتب والعامل والطبيب ينبغي أن يضع عليهم العيون سراً وأن يرفع من يثبت إخلاصه وأن يقرب منه حكماء القوم وعقلاءهم. وفي سياسة الرعية ينبغي عليه أن يستميل قلوبهم ويتلطف بهم وينفق عليهم ويطمعهم في الرفعة إليه وقرب المنزلة منه. وفي سياسة الحروب عليه أن يعلم حال عدوه.وبنفس الوقت يخفي أخباره عن عدوه بالإضافة إلى تقوية جيشه وحماية الثغور[١]. كما يحذر ابن أبي الربيع[٢] الملك من خصال ذميمة كالحرص والعجب واتباع الهوى. ويجب على الملك كذلك أن لا يغضب ولا يبخل ولا يحقد ولا يحسد، ولا يخاف. ثم لا يلبث أن ينصح الملك بالعفة والعدل والعفو وأن يتبع طريق العدل والجود والحزم وأن يبعد من بطانته الشر، والحريص والذي لا دين له والشرير المتظاهر بالخير[٣].

أما الرعية[٤] فمنهم الزهاد الذين انقطعوا للعبادة والحكماء الذين اتجهوا للعلوم كالطب والحساب والهندسة، والعلماء وهم ـ برأيه ـ خلفاء الأنبياء وهم أصحاب التحليل والتفسير والتأويل، وذوو الأنساب من أهل الشرف والجاه وأرباب الحروب الذين بهم يدفع الأعداء وبهم تفتح المدن، وعمار الأسواق وهم الصناع، وسكان القرى أهل الزرع والحرث والنسل. وهؤلاء بصورة عامة[٥] ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: أخيار أفاضل وهم محبو الخير وحقهم الإكرام والتقدم. أو أشرار أراذل وهم كالسباع المؤذية ليس للتأديب فيهم نفع، وحقهم إذا يئس من صلاحهم ولم تنفع العقوبة فيهم الإبعاد لهم إلى الأماكن النائية يبعد شرهم.

والقسم الثالث المتوسطون وهم يميلون إلى الصلاح مرةً وإلى الفساد أخرى وحقهم استصلاح فسادهم ورد مائلهم وفطمهم عن العادات الرديئة بإغفال مرة وعقوبة أخرى كتدبير الطبيب للعليل. ويجب على الملك تجاه الرعية[٦] أن يشغلهم في صناعتهم حتى لا يجدوا فراغاً للتدخل في أمور السلطان، وأخذ ما للضعفاء من الأقوياء ويحرس من قطاع

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٢٩ ب ـ ٣٠ أ.
٢ ـ نفسه ورقة ٣٠ ب.
٣ ـ نفسه ورقة ٣٠ ب ـ ٣١ أ.
٤ ـ نفسه ورقة ٣٢ أ، قارن ذلك مع الفارابي: الفصول المدني ص ١٣٥ ـ ١٣٧.
٥ ـ نفسه ورقة ٣٢ أ.
٦ ـ نفسه ورقة ٣٢ ب.

الطريق ومن اللصوص والأعداء. أما الرعية فيجب عليهم[1] أن يجتهدوا في تحسين العدل عند الملك وتزيينه وتقبيح الجور وتهجينه، وأن يظهروا سرورهم بسرور الملك ويشاركوه حزنه، ويجيبوه إذا دعا في ليل أو نهار ولا يخالفوا له أمراً وليعتقدوا ذلك ديناً.

في الفقرة السابقة بعض النقاط أرى من الجدير مناقشتها فهو قد ذكر مثلاً الأفاضل والأراذل والوسط، وهذه فكرة نوقشت في الصفحات السابقة. أما النقطة الأولى التي أود أن أشير إليها أنه يأمر بإبعاد الأشرار الذين لا يرجى صلاحهم إلى خارج المدينة، وهذه العقوبة ربما تزيد من شرورهم فهو يريد إبعادهم إلى الأماكن النائية ولكن لم يحدد هذه الأماكن النائية، هل هي القرى والأرياف مثلاً؟ أم إلى أقطار أخرى؟ أم إلى أمكنة غير مسكونة؟ إنه لم يحدد وإنما فقط يريد إبعادهم عن المكان الذي هو فيه ـ أو الذي هم فيه ـ ليأمن شرهم. إذ ربما أخذ هذه الفكرة عن الفارابي[2] الذي سبقه إلى القول بأن الذين لا يمكن أن تصلحهم النصيحة والعقوبة يجب أن يخرجوا من المدن. بينما نجد فلاسفة آخرين مثل يحيى بن عدي[3] وأفلاطون[4] يكتفون بالعقوبة. الفكرة الثانية أنه يشبه الملك بالنسبة للرعية ـ لا سيما أولئك المتوسطون الذين يرجى صلاحهم ـ كالطبيب بالنسبة للعليل. لا شك أن الفكرة أفلاطونية[5] وعالجها أفلاطون في الكتاب الأول من الجمهورية، وذلك أن الطبيب غرضه أن يشفي العليل ، والحاكم أن يتوخى مصلحة المحكوم. وقد شبه فلاسفة ومفكرون مثل أرسطو[6] وابن المقفع[7] والفارابي[8]، الملك بالنسبة لشعبه كرب الدار بالنسبة لأهل داره. والغرض الذي يريده ابن أبي الربيع ـ كما يلوح لي ـ أن على الملك ألّا يكون مستبداً بأبناء شعبه. النقطة الثالثة أن ابن أبي الربيع رغم أنه يحث الرعية على تحسين العدل وتقبيح الجور واستهجانه عند الملك، فهو هنا قد أعطاهم حق المشاركة أو الاحتجاج ـ إن صح التعبير ـ بوجه ظلم الملك، ثم لن يلبث أن يوصيهم ألّا يخالفوا للملك أمراً، بل يذهب أبعد من هذا ويقول: «وليعتقدوا ذلك ديناً» وربما أن

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٢ ب.

٢ ـ الفصول المدني ص ١١٢.

٣ ـ تهذيب الأخلاق ٥٢ أ.

٤ ـ Plato, The Republic, II. 3,3.

٥ ـ ب Plato, The Republic, I. 340-342.

٦ ـ Aristotle, Ethica Nicomachea, VIII. 10, 1161 a.

٧ ـ رسالة الصحابة (رسائل البلغاء) تحقيق محمد كرد علي، القاهرة ١٩٤٦ ص ١١٩.

٨ ـ تحصيل السعادة ص ٣١.

الذي حدا بابن أبي الربيع إلى ذلك واقع الحال حيث أن الملك أو الخليفة يأمر فيطاع وأن أوامره مقدسة إذ أنه سليل الرسول وظل الله في الأرض.

أما العدل فيعرفه ابن أبي الربيع[1] أنه حكم الله تعالى في أرضه. ويستدل المؤلف على شرف العدل إجماع الأمم عليه مع اختلاف مذاهبهم، فليس منهم إلا من يوصي به ويعرف فضله. ومن أعمال العدل ـ برأيه ـ : «أن يقسم المرء كل شيء على حقه وفي موضعه»[2]، وألا يخالف السنن الموضوعة له وأن يكون صدوقاً حفوظاً للمواعيد رحيًا بريئاً من الدنس وأن يجتمع فيه الوفاء والأمانة. ومن الجدير بالإشارة أن تعريف يحيى بن عدي[3] للعدل: «هو التقسط اللازم للاستواء، وهو استعمال الأمور في مواضعها».

وأما التدبير فيعني به ابن أبي الربيع[4] عمارة البلدان وبناء المدن وحراسة الرعية بواسطة تدبير الجند وتقويتهم وتقدير الأموال ليكون معيناً في النوائب. ويشترط ابن أبي الربيع[5] ثمانية شروط لمن يريد أن ينشيء مدينة: الأول أن يسوق إليها الماء العذب حتى يسهل تناوله، والثاني أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق، والثالث أن يبني جامعاً في وسطها حتى يكون قريباً من الجميع، والرابع أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب، والخامس أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضداد مختلفة متباينة، والسادس إن أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كفالةً من سائر جهاته، والسابع أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة، والثامن أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها.

لعمري إنها نصائح عالم مسلم خبير بشؤون تخطيط المدن سياسياً وحربياً وإدارياً واقتصادياً. وعظيم جداً من ابن أبي الربيع ـ بعد أن نصح بتخطيط مثل هذه المدينة ـ أن يتقدم من الملك أو الرئيس الذي عمّر هذه المدينة، فينصحه أن يسير في أهل هذه المدينة السيرة الحسنى ويأخذهم بالطريقة المثلى.

ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى أركان الدولة أو ما يخص الملك من الأتباع والأنواع

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٣ أ.
٢ ـ نفسه ورقة ٣٣ أ.
٣ ـ تهذيب الأخلاق ٦٧ أ.
٤ ـ سلوك المالك ورقة ٣٣ ب ـ ٣٤ أ.
٥ ـ نفسه ورقة ٣٤ ب.

والذين لا يستغنى عنهم ويسميهم ابن أبي الربيع[1]: وزير عالم، وكاتب عارف، وحاجب عاقل، وقاضٍ ورع، وحاكم عادل، وعامل جلد، ومال متوفر، ورب شرطة، وجند أقوياء، وحكيم مجرب، وجليس صالح، وصاحب الطعام والشراب.

ويعطي ابن أبي الربيع[2] أهميةً كبيرةً للوزير، فالوزير ـ برأيه ـ هو الشريك في الملك، المدبر فيه يحفظ أركانه، المدبر بالقول وبالفعل. وأنه لا بد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير منظم للأمور، ومعين على حوادث الدهور، ويكشف له صواب التدبير. ويستدل على أهمية الوزير أن النبي محمداً ﷺ رغم ما خصه الله تعالى به من الإكرام، اتخذ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزيراً، حيث قال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى. وأن الله تعالى قال: ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾، فلو استغنى أحد عن المؤازرة والمعاضدة، لاستغنى نبينا محمد وموسى صلوات الله عليهما. ومن صفات الوزير أن يكون عالماً بالأمور حسن العقل شديد الحلم حلو اللسان حميد الأخلاق قليل اللهو بطيء الغضب كتوم السر صحيح الجسم جيد الفكر[3]. ومما يجب للوزير على الملك أن يقربه الملك ويدنيه، وألا يتشاور مع أحد دونه، وألا يقدم أحداً عليه، وأن يستمع إلى نصائحه، وألا يكاتمه شيئاً مما يستعان به عليه، وألا ينشط أحداً للسعاية به، وأن يتعهده بإنعامه وإكرامه، وليظهر صواب تدبيره وينشرح صدره لما يريد تدبيره. أما ما يجب على الوزير تجاه الملك، فيجب أن يكون خبيراً بأدب التدبير والسنن والفرائض والأحكام، وأن يكون ذا نصح وأمانة وصدق للملك، وأن يدمن النظر في سير الملوك، وأن يجعل نهاره للنظر في أمور العامة وليله للنظر في أمور الخاصة وأن يوكل بنفسه من يرفع أخباره إليه فيمضي فيما وافق الصواب ويتلافى ما يمكن تلافيه، وأن يكثر عيونه ليتعرف على أحوال الرعية، وأن يحسن اختيار من يستعمله في أعمال الملك[4].

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٥ أ.

٢ ـ نفسه ورقة ٣٥ أ.

٣ ـ نفسه ورقة ٣٥ أ.

يذكر ابن أبي الربيع في ورقة ٣٥ ب، محاسن وفضائل (القائم بتشييد ما ذكرنا والمتولي لتدبير ما قدمنا) ويقول إن ذلك من جميل العناية بأهل عصره، وأعتقده يقصد الوزير لأنه يتكلم حوله في الصفحات السابقة واللاحقة إلا أن المؤسف أنه لم يذكر اسم هذا (القائم والمتولي).

٤ ـ سلوك المالك ورقة ٣٥ ب.

٥ ـ نفسه ورقة ٣٦ أ.

وددت أن ألاحظ فيما إذا كان هناك تشابهاً فيما ذهب إليه ابن أبي الربيع في سلوك الوزير وواجباته تجاه الملك، وفيما إذا كان يحيى بن عدي قد ذكر في كتاب تهذيب الأخلاق مثل هذا الكلام، غير أنني وجدت أن يحيى لم =

والكاتب[1] هو لسان الملك عند الخاص والعام، والكتّاب أربعة: كاتب حضرة ويجب أن يكون ذكياً فطناً جيد العبارة عالماً بالنحو والبلاغة عذب الكلام وأن يعرف مراتب الملوك والمكاتبين فيعطي كلاً منهم حقه. وكاتب الجيش يكون خبيراً في السلاح عارفاً بلغات جنده[2] وأن يجري على جنده الجرايات كل شهر وأن يخبر الوزير ما يحتاج إليه من النفقات والجرايات، وينبغي أن يكون له دربة بترتيب العساكر ليقدم من يجب تقديمه. وكاتب الأحكام يجب أن يكون عارفاً بعلوم الشريعة وحدودها، عارفاً أحكام الدعاوى والبينات، وأن يعرف ما يجب فيه الجلد والقطع والقتل، وأن يكون بصيراً بالشهود وطبقاتهم وشهاداتهم. وكاتب الخراج ينبغي أن يكون خبيراً بحفر الأنهار ومجاري المياه، وأن يكون عارفاً بالمساحات وتخمين الغلات. عالماً بفصول السنة، بصيراً بالحساب، وله خبرة بأوقات الزرع ومقدار محصوله، وأن يكون خبيراً عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له.

إنه باختصار إذا أردنا أن نشبه الكتّاب في زمن ابن أبي الربيع بالمناصب التي تقلد في زماننا، حسب الخبرة التي يشترطها ابن أبي الربيع، نستطيع القول إن كاتب الحضرة أشبه بالمستشار الثقافي، وكاتب الجيش أشبه ما يكون برئيس أركان الجيش، وكاتب الأحكام أشبه بحاكم قدير له خبرة وممارسة طويلة في المحاكم. وكاتب الخراج يجمع في المعرفة بين خبير زراعي واقتصادي ومالي في زماننا هذا.

والحاجب[3] هو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقاءه، ليرتب الناس بين يدي

= يستعمل كلمة وزير قط، إلا أنه استعمل كلمات تدل على بطانة الملك مثل (خواص الملك وثقاته وأصحابه وحاشيته)، وهي مبثوثة في صفحات الكتاب. انظر مثلاً ص ١٠١ ب-١٠٢ أ. غير أنني لاحظت في كتابين لأبي الحسن الماوردي، (المتوفى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) عندما يتحدث عن الوزير ويشترط الصفات التي يجب أن يتميز بها الوزير، تشابه إلى حد كبير ما ذهب إليه ابن أبي الربيع. فالماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية، طبعة القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية-بدون تاريخ)، وفي الباب الثاني من الكتاب، في باب تقليد الوزارة (ص ٢٠-٢٧)، يشترط في الوزير أن يكون حكيماً حليماً فقيهاً متواضعاً مستقيماً. ويذهب الماوردي في كتابه (أدب الوزير، طبعة القاهرة ١٩٢٩م) (ص ٢-٩)، بتقديم النصائح للوزير باعتباره شخصاً مباشراً لتدبير ملك، ولهذا ينصحه بالصلاح والعدل والإحسان والحلم واتباع العقل وعدم الغضب. كذلك ينصحه في (ص٣٨-٤٣) أن يمد الملك برأيه ومشورته، وأن يكون له عيناً فيوضح له حقائق الأمور فلا يمايل قريباً ولا يتحيف بعيداً، وأن يحرص على راحة المالك بتعبه ولا يغيب إذا أريد ولا يسأم إذا أعيد، لأنه لسان الملك إذا نطق وعينه إذا رمق، بالإضافة إلى الآراء المشابهة في عرض الكتاب.

١ - سلوك المالك ورقة ٣٦ أ - ٣٦ ب.

٢ - مما يدل على أن الجيش الإسلامي كان يتكون من عدة قوميات يتكلمون لغات مختلفة.

٣ - سلوك المالك ورقة ٣٧ أ.

الملك كما يليق بمجلسه. فهو أقرب ما يكون برئيس تشريفات في وقتنا الحاضر، ومن صفاته ـ بحسب رأي ابن أبي الربيع ـ أن يكون فهمًا ذا خلق واسع ومنطق بارع، مهيب الطلعة، ذا عقل وحكمة، ولا يكون مكفهراً ولا سهلاً، يعرف مراتب الداخلين على الملك فينزلهم منازلهم، وعليه أن يعرف سير الملوك وقواعدهم وخاصة الملك وعامته، ويعرف الأوقات التي يجلس فيها الملك والأوقات التي يكون في خلوته، وأن يراعي خواص الملك ويكرمهم ويعرف مواضعهم، ولا يفسح لأحد منهم في الدخول على الملك إلا بإذنه ولو كان ولداً.

والقاضي[١] هو ميزان الملك من رعيته. وصفته أن يكون ذا وقار وورع، ذكياً فطناً عالماً عاقلاً عارفاً بأدب القضاء، وأن لا يعجل الحكم قبل ثبوته، وأن يكون فقيهاً عفيفاً، ممارساً للأمور، صادعاً بالحق، لا يقبل هدية، يعامل الخصمين بالسواء، قليل التبسم طويل الصمت شديد الاحتمال، وأن يبالغ في التفتيش على الشهود والوكلاء ويعرف أحوالهم.

وصاحب الشرطة[٢] ينبغي أن يكون حليمًا مهيباً، غليظاً مع أهل الريب، ظاهر النزاهة، غير عجول، يهتم بحراسة وأمن المدينة وتفقد سورها وأبوابها، يقيم الحدود كما وردت في الكتاب العزيز، وعليه أن يمنع المظلوم من الانتصار لنفسه بيده، وينبغي أن تكون عقوبته الخاص والعام واحدة كما أمرت الشريعة.

أما الجند وحملة السلاح[٣] فبهم تدفع الأعداء وتؤخذ المدن، ولذا يجب أن يكون الجند ذوي بأس ولا يقبل من كان معتاداً للرقة والراحة والتنعم، وليكن قوادهم أبرهم قدراً وأعرفهم بالوقائع والحروب ومن العارفين بمكايد الحروب، وليؤمر رؤوسهم وقوادهم بعرضهم في كل شهر مرة، وأن يجعل على كل عشرة قائد وعلى كل عشرة من القواد رئيساً حتى ينتهي إلى رب الجيش.

والعامل[٤] هو جامع الأموال، ولذا يجب أن يكون عالماً بأمور السواد، ناصحاً في جميع الأحوال، عاملاً بالعدل، وأن يكون فيه إنصاف وانتصاف ونزاهة، وليكن قصده إدرار أموال الرعية وتوفير مال السلطان، لأن المال قوة وعليه الاعتماد في رخاء الرعية وسد الثغور وصد الأعداء.

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٧ أ.
٢ ـ نفسه ورقة ٣٧ أ.
٣ ـ نفسه ورقة ٣٧ ب.
٤ ـ نفسه ورقة ٣٨ أ.

والحكيم[1] ـ ويقصد به الطبيب ـ يجب أن يكون عالماً بمجرى علم الطب، كثير الدرس في الكتب، حاذقاً لطيفاً رقيقاً، كثير العلاج والتجارب مأمون السيرة، عارفاً بالعقاقير والأدوية والأغذية.

أما الجليس[2] فالملك يحتاجه كحاجته إلى الوزير والحاكم، فينبغي أن يكون عاقلاً ديّناً حراً عفيفاً، حسن الأخلاق، نقي الثوب، ذا معرفة بالنحو واللغة والبلاغة والفصاحة، حافظاً لصواب الشعر ومجونه ونوادره، وأن يكون كتوماً للأسرار، بعيداً عن النميمة، حسن المحضر للناس، وأن يكون خبيراً بخصائص الملوك وعاداتهم.

وصاحب الطعام والشراب[3] يجب أن يكون ثقةً مؤتمناً، يتلطف في منع الملك عن بعض المطاعم التي لا توافقه ويعرفه وجه المصلحة في تركها، وألا يكون بخيلاً ولا مضيعاً، وليتفقد الطعام والشراب في كل ساعة، وأن يكون عارفاً بما يجلب من البلاد من المطاعم والمشارب؛ ويجب أن يكون عالماً بما يهوى الملك من الأطعمة والأشربة فيبالغ في اتخاذه وتجويده.

أشرف ابن أبي الربيع على الصفحات الأخيرة من الكتاب، ولهذا فهو يريد أن يزينه بأقاويل القدماء وأهل الفضل، ويقول إن النوادر والوصايا والحكايات والأمثال لها فوائد جليلة ولهذا نريد أن نجعلها خاتمة الكتاب[4]. ثم يذكر أن أحد ملوك الفرس سأل حكيمًا: ما الذي يحيي الفتن وما الذي يميتها؟ فكتب إليه الحكيم: بعض الحكم التي تحيي الفتن منها: غفلة ملتذ ويقظة محروم. وبعض الحكم التي تميت الفتن منها: درك بغية وموت أمل وتمكن رعب وهيبة في قلوب الأعداء. ثم يرجع المؤلف في الصفحات التالية[5] ليذكر أن الناس مختلفو الطباع في آرائهم وعاداتهم وشهواتهم، فمنهم يؤثرون اللذات الحسية كالطعام والشراب، ومنهم يؤثرون السماع، ومنهم يؤثرون المال والجاه، ومنهم يؤثرون الآداب والعلوم.

يدرج ابن أبي الربيع[6] ستة عشر نصيحة لمن يريد أن يصلح أخلاقه ولمن يحب

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٨ ب.
٢ ـ نفسه ورقة ٣٨ ب.
٣ ـ نفسه ورقة ٣٩ أ.
٤ ـ نفسه ورقة ٣٩ أ.
٥ ـ نفسه ورقة ٣٨ ب ـ ٤٠ ب.
٦ ـ نفسه ورقة ٤١ أ.

الوصول للكمال ، وذلك بأن يكون متفقداً لجميع أخلاقه محترزاً من دخول أي نقص عليه، وأن يكون أبداً عاشقاً لصورة الكمال وألا يقف في العلم عند حد، وأن يأتمر بأوامر الله ورسوله، وأن يعتدل في كل شيء ويجتنب الإسراف، وأن تكون قوة العقل دائمًا مسيطرة على قوتيه الغضبية والشهوانية، وأن يبتعد عن السفهاء إلى غيرها من النصائح التي كررها فيما سبق من الصفحات.

الشيء الذي لاحظته من النصائح السابقة أن بعضها لها ما يشابهها في كتاب (تهذيب الأخلاق) ليحيى بن عدي:

أبي الربيع[1]

أن يكون متفقداً لجميع أخلاقه متيقظاً لسائر أحواله منتقصاً لمذموم العادات وأن يحترز من دخول النقص عليه وليجتهد في بلوغه غاية الكمال، وأن يكون أبداً عاشقاً لصورة الكمال مستلذاً محاسن الأخلاق ومحمودها، وأن يعتني تهذيب نفسه فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة، وأن يكون مستصغراً للرتبة العليا طالباً غايتها بجهده جاعلاً غرضه الإحاطة بها، وأن لا يقف عند غاية من العلم إلا ويومي بطرفه إلى ما فوقها ليزداد بصيرةً. . . وأن يسدد طرفاً من علم اللسان، ويعتني بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس، وأن يجعل لشهواته قانوناً راتباً يقصد فيه الاعتدال ويجتنب الإسراف.

يحيى بن عدي[2]

فأما تفصيل أوصاف الإنسان التام فهو أن يكون متفقداً لجميع أخلاقه متيقظاً لجميع معائبه متحرزاً من دخول نقص عليه مستعملاً كل فضيلة مجتهداً في بلوغ الغاية عاشقاً لصورة الكمال مستلذاً لمحاسن الأخلاق. . . معتنياً بتهذيب نفسه غير مستنكر لما يقتنيه من الفضال مستعظمًا لليسير من الرذائل مستصغراً للرتبة العليا، مستحقراً للغاية القصوى، يرى التمام دون محله والكمال أقل أوصافه. . . ولا يقف عند غاية من علمه إلا ورنا بطرفه إلى ما فوق تلك الغاية. . . ويشدو أيضاً طرفاً من أدب اللسان والبلاغة ويتحلى بشيء من الفصاحة والخطابة. . . وأن يجعل لشهواته قانوناً راتباً يقصد فيه الاعتدال ويتجنب السرف والإفراط.

ثم يذكر ابن أبي الربيع بعض الحكم والأمثلة على لسان الحكماء والعلماء والملوك، فمثلاً يذكر وصايا لحكيم منها ينصح: «لا تحقر عدوك»[3] ثم يفسرها ابن أبي الربيع أن

ـ سلوك المالك ورقة ٤١ أ.

ـ تهذيب الأخلاق ٨٩ ب ـ ٩٠ ب.

«النقاط بين الجمل تعني وجود جمل أخرى لا تشابه بينها»

٣ ـ سلوك المالك ورقة ٤١ ب.

معناها: لا تستصغر اليسير من الهوى. أو أن بعض العلماء يذكر أن الكذب قبيح من الحكماء والبخل قبيح من الأغنياء. أو أن بعض الملوك ينصح وزيره: لا تحمل على بدنك ما لا تطيق[1]: ثم يكتب جدولاً في صفحتين[2] يذكر فيه عشرين وصيةً لعلماء وحكماء لم يذكر أسماءهم ثم أن الوصايا أخلاقية لا تفوت أي مفكر أخلاقي من ذكرها عندما يريد أن يكتب كتاباً أو مقالاً فمثلاً الوصية الأولى قال حكيم: «لا يجب أن تحث غيرك على فضيلة ما لم تكن كاملةً فيك فإن فعلك يخبر عن قبول كلامك». وهكذا باقي الوصايا والنصائح.

وهكذا ينصح في باقي الصفحات[3] بالتحرز من الآفات. فمثلاً يذكر أن أرسطو أوصى الإسكندر عدة وصايا منها: إذا بلغت غاية الأمل فاذكر الموت. ووصايا ملك لولده مثل: لا تهتم بالدنيا فإنه لا يكون إلا ما قدر الله.

* * *

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة باريس ـ المكتبة الوطنية ـ المرقمة (٢٤٤٨). وقد رمزنا إليها في الهوامش بحرف (س). تحتوي المخطوطة على ٤٣ ورقة. وعدد صفحاتها ٨٥ صفحة. أما عدد أسطر الصفحات فغير متساوية، لا سيما وقد كتبت أغلب صفحاتها بطريقة التشجير، وقد كتبت بخط غير واضح، وإن نقاط الحروف غير متكاملة مثل كلمتي (يسمع ويطيع) ورقة (٣) ب يرسمها الناسخ هكذا (يسمع ويطيع) مع أنه يضع النقاط تحت الألف المقصورة مثل (على) يكتبها (علي). كما أن المخطوطة خالية من التنقيط تماماً، فكل النقاط في نهاية الجمل والفوارز من وضع المحقق. وتأريخ المخطوطة: شهر شوال سنة ٩٩٧هـ. واسم الناسخ أحمد بن يحيى الخمرلوي.

وقد قارنا المخطوطة بطبعة حجرية قديمة يرجع تأريخها إلى سنة ١٢٨٦هـ. القاهرة، ورمزنا إليها بالحرف (ق)، وثبتنا الأخطاء الكثيرة التي وردت في هذه الطبعة، بالإضافة إلى أنها تنسب وقت الكتاب والمؤلف ـ خطأً ـ إلى زمن المعتصم. كما أن الطبعة غير علمية، وإنما مجرد نقل ما في المخطوطة إلى الورق.

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٤١ ب.

٢ ـ نفسه ورقة ٤٢ أ.

٣ ـ نفسه ورقة ٤٢ ب ـ ٤٣ أ.

وأجدني في نهاية المقدمة مسروراً أن أشكر ابن عمي الأستاذ دحام طـه التكريتي، أحد أعضاء السفارة العراقية بباريس على تفضله بتصوير المخطوطة وإرسالها كاملة.

الدكتور ناجي التكريتي

بغـــداد ١٩٧٦

٢

دراسة تحليلية مقارنة
في إعادة تقويم الكتاب

(١)

البحث عن الكتاب في المصادر القديمة

من المصادر المهمة في تأريخ الأدب العربي الذي لم يذكر اسم ابن أبي الربيع ولا كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، وليس من المعقول أن يغفل كاتب موسوعي نابه مثل ياقوت الحموي كتاباً مهمًا ككتاب سلوك المالك لو كان له وجود، وليس من المعقول أن يغفل اسم مفكر لامع مثل ابن أبي الربيع لو كان موجوداً زمن المعتصم، فكيف به إذا كان قد كتب كتابه المذكور للخليفة المعتصم، مع العلم أن ياقوت الحموي يذكر اسم المفضل بن مروان وزير المعتصم[١]، بالرغم من أن كتاب الحموي أشبه بدائرة معارف مخصص بالدرجة الأولى للتحدث عن سير وكتب الأدباء والعلماء.

إننا نذهب أكثر من ذلك فنقول: إن جميع المؤرخين قبل القرن السابع الهجري لم يتحدثوا عن ابن أبي الربيع ولم يذكروا كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك، وعلى الأخص أولئك الذين يعنون بعصر المعتصم، وهو عصر ذهبي، فكيف لا نجد خبراً عنه في ما لدينا من تراث عظيم حول الفترة العباسية الأولى والثانية؟

كذلك بالنسبة للمؤلفين من الفلاسفة كالكندي والفارابي ويحيى بن عدي، ومدرسة السجستاني وبوجه خاص التوحيدي، ابن سينا. . . إلخ. لماذا لا يشير أحد منهم إلى ابن أبي الربيع وله مثل هذا الإنجاز المهم؟

والناحية الفنية التي تظهر في تأليف الكتاب، بالمقارنة مع القدماء، وبوجه خاص الفارابي ويحيى بن عدي، اللذين عاشا في القرن الرابع الهجري، تعكس تبلور النظريات السياسية والأخلاقية بشكل أنضج من كل القدماء الذين عاشوا في الثالث والرابع والخامس... إلخ. فهل معنى هذا، وأن الكتاب بمثل هذه الأهمية والخطورة يمكن أن يغفل من قبل العلماء؟ هذا مستحيل.

١ ـ ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٢ ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

لو كان الكتاب موجوداً لما أهمله مؤرخو الفلسفة وتجاهله الفلاسفة والفقهاء، وهذا يدل أن المؤلف كتب الكتاب قبيل احتلال بغداد، يوم سحقت الحضارة فضاعت الكتب وأهملت الأسماء.

ولا بد أن نذكر هنا أن محرري الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية[1] لم يتطرقوا إلى اسم المؤلف ابن أبي الربيع ولا كتابه سلوك المالك... والذي يثير الاستغراب أن محرري الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية[2] قد تجاهلوا أو جهلوا اسم المؤلف والكتاب مع العلم أن المفروض بمحرري الطبعة الجديدة أن يتلافوا ما فات على محرري الطبعة الأولى.

---

١ _ E.I. Vol. II. First Edition, Leyden - London, 1927.

انظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وجماعته، القاهرة، مجلد أول ١٩٣٣.

٢ _ E.I. Vol. III. Nrw. Edi., Leyden - London 1971.

(٢)

إغفال المحدثين في ذكر المؤلف والكتاب

المناسب هنا أن نلاحظ أن الدراسات الحديثة في الأخلاق الإسلامية أغفلت الإشارة إلى ابن أبي الربيع وكتابه سلوك المالك. فلم نجد له ذكراً عند المستشرقين من المعنيين بالدراسات الفلسفية الأخلاقية عند العرب مثل فالزر[١]، روزنتال[٢]، دي بور[٣]، دونالدسون[٤].

ومن الشرقيين مثل: مقداد بالجن[٥]

ومن العرب مثل: محمد يوسف موسى[٦]، أحمد صبحي[٧]، أبو بكر ذكري[٨]، ماجد فخري[٩]، الجر والفاخوري[١٠]، زكي مبارك[١١]، عمر فروخ[١٢]. بل أن من المدهش أن نلاحظ أن أعمال الدكتور عبد الرحمن بدوي على شموليتها، هي الأخرى لم تشر إلى ابن أبي الربيع.

---

١ - Greek into Arabic.

٢ - Political thought in Medieval Islam.

٣ - The history of Philosophy in Islam.

٤ - Studies in Muslim Ethics.

٥ - الاتجاه الأخلاقي في الإسلام.

٦ - فلسفة الأخلاق في الإسلام.

٧ - الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي.

٨ - تاريخ النظريات الأخلاقية.

٩ - تاريخ الفلسفة الإسلامية.

١٠ - تاريخ الفلسفة العربية.

١١ - الأخلاق عند الغزالي.

١٢ - تاريخ الفكر العربي.

(٣)

الفلاسـفة الأخلاقيـون في الإسـلام

وإذا أردنا أن نلقي نظرةً خاطفةً على الكتابات الأخلاقية، والتي سبقت كتاب سلوك المالك، والتي عالجت كثيراً من الأفكار الأخلاقية والسياسية، التي أتى بها كتاب ابن أبي الربيع، لا بد أن نبدأ بأبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي المتوفى حوالي سنة ٢٥٢هـ ثم نمر مروراً زمنياً بأهم الفلاسفة الذين لهم مؤشرات مميزة في الأخلاق، ذاكرين أهم الآراء الأخلاقية عندهم.

الكندي فيلسوف مبكر في تأريخ العرب والإسلام لأنه يذهب مذهب الفلاسفة وينحو منحاهم في كتاباته التي شملت جميع فروع الفلسفة. ومن آرائه الأخلاقية أنه يميز عالم النفس عن عالم الجسد، فإن الجسد حسي هدفه الشهوة والغضب، بينما النفس بسيطة روحانية الجوهر ذات شرف وكمال، وأن جوهرها من جوهر الباري[١]، فالنفس عنده إذن مغايرة للجسم ولها ثلاث قوى: عاقلة وغضبية وشهوانية، وأن الخالدة منها هي النفس العاقلة لأنها من نور الباري عز وجل[٢]. النفس عند الكندي لا تنام، ويتجه الكندي إلى أخلاقياته إلى تهذيب النفس وتطهيرها وإصلاحها بالإبتعاد عن الشهوات الحسية بإخضاع الغضب والشهوة للعقل.

الدين والفلسفة لا يتعارضان بالنسبة لرأي الكندي، لأن طريق الحق واحد[٣]، وأن السيرة الفاضلة التي تجلب السعادة للإنسان، وذلك بأن يبتعد الإنسان عن ماديات الحياة الفانية ويتجه اتجاهاً كاملاً إلى العقل الذي هو وحده يمكن أن يوصله إلى نور الحق. السيرة الفلسفية عنده إذن كانت تسير بهدي العقل ونوره، ولذا فهو يشير إلى أن الحزن الذي هو آفة كبيرة يصيب الإنسان لفقدان أشياء مادية أو الرغبة في امتلاكها، ولكن

---

١ ـ الكندي: رسائل الكندي الفلسفية جـ١ ص ٢٢٣.
٢ ـ نفسه جـ١ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
٣ ـ نفسه جـ١ ص ٨٠.

الكندي يذكرنا بشيء مهم، هو أن كل شيء مادي زائل، ولذا فإن العاقل وحده الذي لا يهتم لفقدان المادة، لأنه يعلم جيداً أنها خاضعة لطبيعة الكون والفساد[1].

وأبو بكر الرازي (المتوفى سنة ٣٢٠هـ) يعتبر من الرواد في حقل الأخلاق، إذ أنه طبيب قبل كل شيء، إلا أنه كتب كتاب الطب الروحاني ليكون صدى للطب الجسماني، فهو إذن يؤمن بمعالجة النفوس كما تعالج الأجسام، كما أن للنفوس أثراً بالغاً في صحة ومرض الأجسام، ولذا فهو يرى أن يكون طبيب الجسم في الوقت نفسه عالماً بطب النفوس[2].

يقيم أبو بكر آراءه الأخلاقية وإصلاح النفس باتباع العقل ومخالفة الهوى حتى يتدرج الإنسان ويتشبه بالفلاسفة، لأن المرحلة العليا من طاعة العقل وطرح الهوى كليةً لا يصلها إلا الفيلسوف[3].

يحذّر الرازي دائمًا من الشهوات الحسية واللذات الجسدية، لأنه يرى أن عاقبتها الشرور والآلام، واللذة[4] عنده لا تأتي إلا على أثر ألم، فالألم سابق على اللذة، وما اللذة إلا الراحة من الألم، وبعبارة أخرى هي إدراك الملائم والألم إدراك المنافي. أما الحالة الطبيعية فهي حالة لا لذة فيها ولا ألم. الرازي إذن يقرر وجود الألم أولاً، واللذة هي الراحة من الألم، كما أنه يرى أن الشر موجود، وما الخير إلا الخلاص من هذا الشر.

إن الرازي يهتم بالسيرة الفلسفية من الناحية العملية والعلمية، فمن الناحية العملية أن يبتعد الإنسان عن اللذات الحسية على ألا يصل درجة التقشف بل أنه يوصي بالاعتدال دون تفريط ولا إفراط[5]. والعلمية اقتناء العلم واستعمال العدل. الرازي يعتبر نفسه صراحةً أنه فيلسوف لأنه سار في الحياة سيرة فلسفية بجزئيها العلمي والعملي، ولا بد أن نشير إلى أن كتاب السيرة الفلسفية، يعتبر كتاب مذكرات عقلية، يكتبه فيلسوف مسلم عن نفسه.

أما أبو نصر الفارابي (المتوفى عام ٣٣٩هـ)، فهو أستاذ فلاسفة الإسلام والمعلم الثاني بعد أرسطو في المنطق، كتب في جميع مجالات الفلسفة، لا سيما في فلسفة الأخلاق

---

١ ـ رسائل الكندي الفلسفية جـ ١ ص ٨٠.
٢ ـ الرازي: رسائل فلسفية جـ ١ ص ١٥.
٣ ـ نفسه جـ ١ ص ١٧ ـ ٣٢.
٤ ـ نفسه جـ ١ ص ١٤٨.
٥ ـ نفسه جـ ١ ص ١٠٨.

والسياسة، إذ كان يهمه أن يخطط لمدينة فاضلة هدفها السعادة للسكان وغرس الفضيلة في نفوسهم.

الفارابي بدون شك فيلسوف عقلي، والسعادة التي ينشدها عن طريق العقل وتأمل كتب الحكمة والتخلص من أدران المادة، فهو هنا يجمع بين التأمل العقلي والزهد في الحياة، حتى يحصل الإنسان على السعادة التي يشتاقها لأنها أسمى الخيرات، ولا ينسى الفارابي أن يؤكد على عامل المران[1] في كسب السعادة الكاملة، بنظر الفارابي، تحصل عليها النفوس الكاملة التي تتجه اتجاهاً كاملاً إلى العقل[2]، وذلك لأن الفضائل العقلية أسمى من الفضائل العملية[3].

يهتم الفارابي بسلوك الإنسان، فهو يعطي أهميةً كبرى للأخلاق في حياة الإنسان، والنفس عنده أسمى من الجسم، والنفس العاقلة هي جوهر الإنسان، وهي خالدة لا تفنى بفناء البدن[4].

ومع أن الفارابي ترك لنا عدة كتب تعالج القضايا السياسية، فلعل أهمها كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الذي توخى في كتابته تصور بناء مدينة فاضلة لا تقتصر على سكان مدينة واحدة، بل تعدى ذلك إلى أهل الملة الواحدة، أي الدولة الواحدة، بل ذهب أكثر من ذلك فضرب ضربةً عبقرية، عندما نادى بإمكان تحقيق دولة فاضلة تشمل الأرض كلها أو كما قال: سكان المعمورة[5]، وأنه بلا شك متأثر بهذا بالإسلام الذي جاء للبشر كافة.

واهتم الفارابي برئيس المدينة، لأنه العضو الأول في الدولة، ولذا فقد أعطاه أهميةً كبرى في مدينته الفاضلة، وشبهه بالرأس بالنسبة للبدن[6]، وأن الفارابي يؤمن بالتعاون بين أفراد المجتمع حتى ينالوا السعادة في مدينتهم الفاضلة، لأن الإنسان عند أبي نصر لا يستطيع أن يبلغ الكمال إلا داخل نطاق المجتمع[7]، لأن الإنسان يميل بطبعه إلى الإجتماع والتعاون، والسعادة ينالها عن طريق التعاون بالعلم والعمل.

---

١ ـ الفارابي: التنبيه على السعادة ص ٨.
٢ ـ الفارابي: السياسات المدنية ص ٣.
٣ ـ الفارابي: تحصيل السعادة ص ٢.
٤ ـ الفارابي: السياسات المدنية ص ٥١.
٥ ـ الفارابي: المدينة الفاضلة ص ٧٨.
٦ ـ نفســه: ص ٨٠.
٧ ـ الفارابي: تحصيل السعادة ص ١٤.

أما يحيى بن عدي (المتوفى سنة ٣٦٤هـ)تلميذ الفارابي وشيخ مدرسة السجستاني المشهورة في القرن الرابع الهجري في بغداد، فإنه يرى أن كمال الإنسان هو الأخذ بالفضائل واجتناب الرذائل[١]. ويرى أن بعض الناس قد جبل على الأخلاق الحميدة، والبعض يحتاج إلى الرياضة والاجتهاد. ولكنه مع هذا يقول إنه أغلب الناس مجبولون على الأخلاق السيئة، لأن الغالب على طبيعة الإنسان الشر[٢]، ولذا فإن الإنسان إذن، يحتاج إلى المران والرياضة والتربية على الصفات الجيدة. ومرجع اختلاف الأخلاق فهي النفس التي يقسمها إلى نفس ناطقة ونفس غضبية ونفس شهوانية[٣]، وأن السعيد في الحياة من يتبع النفس الناطقة، لأن الشهوانية تنحو إلى لذائذ الحياة والغضبية إلى السيطرة والاعتداء.

لم يكتف ابن عدي بذكر الفضائل الأربع المعروفة وإنما يدرج عشرين فضيلة[٤] هي: العفة والقناعة والتعاون والحلم والوقار والود والرحمة والوفاء وأداء الأمانة وكتمان السر والتواضع والبِشْر وصدق اللهجة وسلامة النية والسخاء والشجاعة والمنافسة والصبر على الشدائد وعظم الهمة والعدل. وكذلك يقابلها بعشرين رذيلة[٥] وهي: الفجور والشره والتبذل والسفه والخرق والعشق والقساوة والغدر والخيانة وإفشاء السر والكبر والكذب والخبث والبخل والجبن والحسد والجزع عند الشدة وصغر الهمة والجور.

وأن عدي يرى أن الإنسان بأخلاقه لا بماله، وأنه يرى أن إصلاح الأخلاق في إذلال وقمع النفس الشهوانية والغضبية[٦]. والإنسان التام[٧] عنده، هو الجامع لمحاسن الأخلاق فلم تفته فضيلة ولم تشنه رذيلة، ولكن مع هذا فهو يرى أن الإنسان مضروب بأنواع النقص فمن الصعب أن يصل إلى درجة الكمال، ولذا فهو يوصي بالاعتدال.

ويرى ابن عدي أن الناس أخوة، ولذا فعلى كل إنسان أن يحب الناس أجمع ويعمل الخير مع جميع الناس، لا سيما الملك أو الرئيس، فيجب أن يكون محباً لرعيته عطوفاً

١ - تهذيب الأخلاق ورقة ٥٠ أ.
٢ - نفسه ورقة ٥١ أ.
٣ - نفسه ورقة ٥٣ أ.
٤ - نفسه ورقة ٦٠ أ - ٦٧ أ.
٥ - نفسه ورقة ٦٧ ب - ٧٢ ب.
٦ - نفسه ورقة ٧٨ ب.
٧ - نفسه ورقة ٨٩ أ.

عليهم، لأن الملك ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره[1]. وعلى الملوك أن يكونوا أشد الناس حرصاً على بلوغ الكمال، وذلك باكتساب الفضائل واقتناء المحاسن.

ويعتبر مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١هـ) من الفلاسفة الأخلاقيين في الإسلام، إذ إن أغلب كتاباته في الأخلاق، واشتهر من بين كتبه: تهذيب الأخلاق.

يبني مسكويه فلسفته الأخلاقية على الفصل بين روحانية النفس ومادية الجسم[2] من جهة، وبين الاعتدال بين التفريط والإفراط من جهة أخرى[3].

إن الإنسان، برأي مسكويه، ميز بالعقل والروية، ولذا فعليه احترام العقل والحرص على عمل الخير وتجنب الشر. وعندما يشير إلى النفوس الثلاث ينصح باتباع النفس الناطقة ويسميها بالملكية[4].

يرى مسكويه ضرورة الاجتماع والتعاون، لأن الإنسان لا يستطيع أن يحصل على السعادة كاملةً بمفرده، فكل واحد من أبناء المجتمع يقوم بجزء من العمل حتى يكون الكمال الإنساني، ولذا ينصح مسكويه أن يحب الناس بعضهم بعضاً[5].

الفضائل عند مسكويه أربع هي: الحكمة والعفة والسخاء والعدالة، وأضدادها الرذائل الأربع: الجهل والشره والجبن والجور[6]، وجميع الفضائل والرذائل الأخرى تتفرع عن هذه الفضائل والرذائل الرئيسية.

ومع أن الفلسفة هي القاعدة الرئيسية في نظرة مسكويه الأخلاقية، إلا أنه دائماً يسندها بالشريعة الإسلامية، فنراه مثلاً في التربية يقول إن الشريعة هي التي تقوّم وتعودهم الأفعال المرضية، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة الأنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم[7].

ولما كان الإنسان جسد وروح، فسعادته تتم إذا حصل على الفضائل الجسمية والفضائل الروحية، ولكن مع هذا فمسكويه يرى أن الإنسان مهما اكتملت حاجاته

---

١ - تهذيب الأخلاق ورقة ٩٦ ب - ١٠٢ أ.
٢ - نفسه ص ٣ - ٩.
٣ - نفسه ص ٢٤ - ٢٨.
٤ - نفسه ص ١٦.
٥ - نفسه ص ١٥.
٦ - نفسه ص ١٦ - ٢٨.
٧ - نفسه ص ٣٥.

الجسمية لا تكتمل سعادته، بينما الذي تتوفر له الحكمة ويستنير بالنور الإلهي ويتجه كلياً إلى الملأ الأعلى ، فيغتبط بما يحصل عليه من فيض نور الأول فقد وصل إلى أقصى السعادات(١).

واخوان الصفا جمعية سرية مقرها البصرة، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وقد كتب الأخوان موسوعة فلسفية تتكون من اثنين وخمسين رسالة تعالج فروع ومشكلات الفلسفة.

ومع أن اخوان الصفا يؤمنون بأن الأخلاق مركوزة في الجبلة ، إذ قد يوجد إنسان مطبوعاً على الشجاعة، فإنه يسهل عليه الإقدام على الأمور المخوفة من غير فكر ولا روية وإذا كان مطبوعاً على العفة سهل عليه اجتناب المحظورات المحرمات من غير فكر ولا روية، وإذا كان مطبوعاً على الضد من ذلك ، فهو يحتاج عند استعمال هذه الخصال وإظهار هذه الأفعال إلى فكر وروية واجتهاد شديد وكلفة. فاخوان الصفا إذن كما يؤمنون بقوة الطبع يؤمنون كذلك بالمداومة والتمرين حتى تقوى الأخلاق المشاكلة لها، وكذلك فهم يرون أن استعمال الصنائع والدؤوب فيها يقوي الحذق والأستاذية فيها، وهكذا جميع الأخلاق والسجايا(٢). ولكن مع هذا فهم ينصحون الفرد أن يتجه إلى المهنة التي تلائمه والذي يجد في نفسه رغبةً لها وميلاً شديداً إليها(٣). وهم في الوقت نفسه يحثون على طلب العلم، لأن السعداء هم الذين يتجهون إلى طلب الحكمة، فهم سعداء في الدنيا لأنهم أرباب معرفة وسعداء في الآخرة لأنهم علموا الطريق السليم واجتنبوا طريق الشرور(٤).

والإنسان عند اخوان الصفا مدني بالطبع، فهو لا يستطيع العيش بمفرده لأن الحياة لا تكتمل والسعادة لا تتحقق إلا متى تعاون الإنسان مع الآخرين من أبناء جنسه وأن الناس محتاجون في تصاريف أمورهم إلى رئيس يسوسهم، ويجب أن يكون الرئيس عالي الهمة كبير النفس(٥). وفي الوقت نفسه يشترط الاخوان في الملك أن يكون من أهل الورع والدين(٦).

النفس عند اخوان الصفا جوهر سماوي، روحاني والنفس محركة للجسم، فعالة

١ - مسكويه: تهذيب الأخلاق ص ٨٥.
٢ - رسائل أخوان الصفا جـ ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٦.
٣ - نفسه جـ ٤ ص ١٠٠.
٤ - نفسه جـ ١ ص ٢٧١ - ٢٧٣.
٥ - نفسه جـ ١ ص ٢٧٧.
٦ - نفسه جـ ١ ص ١٧٣.

دراكة، خالدة لا تفنى[٦] والنفس لها ثلاث قوى: شهوانية وغضبية وعقلية[٧]. أما اللذة والألم فيرى إخوان الصفا أن الآلام عند خروج مزاج الأجساد عن الاعتدال الطبيعي إلى حد الطرفين من الزيادة والنقصان ، واللذات الجسمانية هي التي تجدها النفس عند الخروج من الألم[١] وهم يدعون إلى الفضيلة، وذلك عن طريق الزهد في الحياة الدنيا، وترك الشهوات والرضا بالقليل والقناعة باليسير، لأن السعادة تتم بالتخلص من شوائب المادة[٢].

وابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨هـ) يؤمن بأن الخير يشمل العالم، وأن الشر شيء عارض، لأن طبيعة عالمنا يفيض عليه من المبدع الأول، الذي يغمر الموجودات، وأن الخير الذي يصيب الإنسان هو السعادة، والتي يدركها الإنسان عن طريق العقل، لأنه عن طريق العقل يميز بين الفضيلة والرذيلة، وأن الفضائل عنده: العفة والشجاعة والحكمة والعدالة[٣].

يقسم ابن سينا اللذة إلى لذتين: لذة عقلية ولذة جسمية، وعنده أن اللذة العقلية أشرف من اللذات الجسدية، فهو مع أنه ينصح بالابتعاد عن لذات الحواس المادية، إلا أنه مع هذا يريد من الإنسان أن يتجه اتجاهاً كاملاً نحو المعارف، بل أكثر من هذا يطلب من الإنسان أن يشتاق ويتجه إلى الله. نلاحظ أن ابن سينا يمزج السيرة الفاضلة بروح تصوف واضحة، فإن العارف عنده والذي وصل مرحلةً كبيرةً في طريق الحب الإلهي يكون ناصحاً ولكن بترفق، وهو شجاع وهو سخي، كما أنه يصفح عن سيئات الآخرين ولا يعرف الأحقاد لأنه مشغول بحب الله[٤].

النفس عند ابن سينا، جوهر الإنسان، وهي ثابتة، وأن الذي يتغير هو الجسد، فجوهرها إذن مستقل عن جوهر الجسد[٥]. وأن النفس مصدر الحياة للجسم، وأنها تستطيع الحياة مستقلةً عن الجسد، وفي النفس، تكون قوة الحركة وقوة الإدراك. ويقسم ابن سينا النفس إلى ثلاث نفوس: النفس النباتية والنفس الحيوانية والنفس الإنسانية.

---

١ ـ رسائل اخوان الصفا جـ٣ ص ٩٣، جـ٣ ص ٣٤٩.
٢ ـ نفسه جـ٣ ص ٨٣.
٣ ـ نفسه جـ٣ ص ٧٤.
٤ ـ نفسه جـ١ ص ٢٨٠، جـ٤ ص ١٧٤.
٥ ـ ابن سينا: تسع رسائل في الحكمة ص ٥٢.
٦ ـ ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث ص ٢٢٥.
٧ ـ ابن سينا: أحوال النفس (رسالة مبحث عن القوى النفسانية) ص ١٧٥.

النباتية يشترك بها النبات والحيوان والإنسان، لأن هدفها القوة الغاذية، والنفس الحيوانية يشترك بها الحيوان والإنسان، لأنها تشترك بينهما بالحركة، والإنسانية للإنسان فقط[1].

وللفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) كتاب في الأخلاق ينحو فيه منحى الفلاسفة، أو بالأحرى أنه يحاول أن يمزج في نظرته للأمور بين الفلسفة والدين. فهو يرى أن العقل[2] هو الذي يقود الإنسان، وأن الإنسان العاقل هو الذي يسير بهدي تمييزه وفكره، وأن اللذة العقلية عند ابن حزم أعظم من اللذات الجسدية لأن العلوم العقلية تقربنا من الفضائل. وأن العقل عنده أساس الأخلاق، كما أن فضيلة العلم هي حلية العقل. أما النفس[3] عنده فوجودها سابق على وجود الجسد وأن الإنسان في الحقيقة هو النفس، لأنها هي الذاكرة الحسّاسة الملتذة الداركة.

يحث ابن حزم على اقتناء الفضائل، كما أنه في الوقت نفسه يحذر من الرذائل، ويقرن الفضيلة بالعلم والرذيلة بالجهل[4]. الفضائل عنده أربع: العدل والفهم والنجدة والجود، وهي أصول كل الفضائل، كما أن أصول الرذائل برأيه: الجور والجهل والجبن والشح. وينصح ابن حزم بالاعتدال، وأن كل تطرف مذموم، وأن المعتدل هو الذي يلتزم الوسط[5].

الأخلاق عند ابن حزم تأتي برياضة النفس ويضرب أمثلةً على نفسه وكيف روض نفسه على الفضائل، وكيف استطاع أن يتخلص من كثير من ا لرذائل التي كانت تسيطر عليه وذلك بالتمرين، أو كما يعبر هو نفسه بأنه داوى نفسه من عدة رذائل وعيوب عن طريق الرياضة والممارسة[6].

ولا ينسى ابن حزم أن يوصي بالبساطة في العيش، والزهد في الدنيا، ويتجه بكليته إلى ما يأمر به العقل. فهو يقول: «وليفكر الإنسان أن الدنيا زائلة ولذا فعليه أن يعمل

١ - ابن سينا: أحوال النفس ص ٥٧.
٢ - نفسه ص ٥٥.
٣ - ابن حزم: كتاب الأخلاق ص ٢٧، ٧٧.
٤ - نفسه ص ٢٩.
٥ - نفسه ص ٢٤.
٦ - نفسه ص ٢٧، ٢٩ - ٣٠، ٧٩.
٧ - نفسه ص ٣١ - ٣٢، ٣٥، ٧٢.

للآخرة»، وينصح ابن حزم بمسايرة أصحاب الفضائل والحلم والوفاء، ويحذر من مخالطة الخبثاء وأهل السوء[1].

وأن جوهر الأخلاق عند الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥هـ)، أخلاق التصوف، وذلك لأنه لم يجد بغيته في الفلسفة وعلم الكلام، ولذا كتب كتابه «المنقذ من الضلال» متخطياً طريق الفلاسفة، بعد أن لم يجد ضالته عندهم، لأن الحقيقة، برأيه، نصلها عن طريق الذوق[2] والعمل وذلك بسلوك طريق الصوفية لأن سيرتهم أحسن السير وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

الخير عند الغزالي ما وافق العقل والشرع، وأن الشر ما خالف العقل والشرع، أما السعادة عنده فبالابتعاد عن هوى النفس وعدم التعلق بالمحسوسات وزم النفس الأمارة والابتعاد بها عن طريق الشهوات، حتى لا يصبح الإنسان أشبه بالبهيمة[3]. وأن السعادة الحقيقية هي السعادة الأخروية، وما عداها سميت سعادة، إما مجازاً وإما غلطاً كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة.

النفس عند الغزالي جوهر روحاني يختلف عن جوهر البدن، ويرى أن في الإنسان شهوة وغضب وعقل، وأن العدالة بين أقسام النفس تحقق العدالة[4]. وأن الخلق الحسن هو إصلاح قوى النفس الثلاث: الفكر والشهوة والغضب. ولذا فإن فضائل النفس أربع، هي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة[5].

يؤمن الغزالي بأن حسن الخلق يكون عند بعض الأفراد بالفطرة، إذ ربما يخلق الإنسان جواداً أو شجاعاً أو سخياً، ولكن مع هذا يرى أن الفضيلة تأتي بالرياضة والمران[6]، ولذا، فهو يؤمن بالتربية والتدريب وتفقد الإنسان عيوب نفسه والتخلص منها عن طريق المجاهدة.

ومن الفضائل المهمة عند الغزالي فضيلة الصدق وفضيلة الصبر وفضيلة الإخلاص، ويعطي لفضيلة الصدق أهميةً كبيرة، لأن للصدق عنده معان كثيرة كالصدق

---

١ - كتاب الأخلاق ص ١٣ - ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٦٠، ٨٧، ٩٢.
٢ - الغزالي: ميزان العمل ص ١٥٤.
٣ - الغزالي: كتاب الأربعين ص ٩٤.
٤ - الغزالي: نفســـه: ص ٧٣.
٥ - الغزالي: ميزان العمل ص ٢٦٤.
٦ - نفســـه: ص ٢٥١.

في القول والصدق في النية والصدق في العزم والوفاء والصدق في العمل. ويوصي الغزالي دائمًا بالابتعاد عن الرذائل كالكذب والحسد والغضب.

أما أبو البركات البغدادي (المتوفى عام ٥٤٧هـ) فهو يعطي أهميةً كبيرةً للنفس، فهي الدراكة وهي المحركة للجسم، وما الجسم إلا آلة يفعل بالقوة التي فيه، وهي النفس[١]. الحركات والأفعال التي تصدر عن الحيوان صدورها في الحقيقة عن النفس، ويشبه أبو البركات ذلك بالقلم الذي يكتب، لكن الكاتب الحقيقي هو الإنسان[٢].

ويقسم أبو البركات النفس إلى نباتية وحيوانية وإنسانية، ويقول: «إن النباتية خاصة بالنبات، والحيوانية خاصة بالحيوان، والإنسانية خاصة بالإنسان»[٣]. وإن النفس عند أبي البركات نورانية، وهي حادثة، كما أنه يقول بخلود الروح.

---

١ ـ أبو البركات البغدادي: المعتبر جـ٢ ص ٣٠٣.
٢ ـ نفسه جـ٢ ص ٣٠٤.
٣ ـ نفسه جـ٢ ص ٣١٣.

(٤)
عنوان الكتاب كشاهد على تأخر زمان المؤلف

إن عنوان الكتاب ملفت للنظر حقاً، فهو يهدف إلى تعريف أو توجيه سلوك المالك في تدبير الممالك، وهذا يجعلنا نذهب إلى أن الكتاب كتب في عهد متأخر ولم يؤلف في العصر العباسي الأول، عهد الدولة القوية الواحدة إذ لم تكن هناك ممالك بل دولة واحدة، إذا استثنينا الأندلس التي انفرد بها الأمويون. فالدولة في بدايتها فتية، والخلفاء العباسيون الأوائل أقوياء، وأحدهم أشبه بظل الله في الأرض، فهم لا حاجة بمن يرسم لهم طرق سلوك التدبير، فهم جاءوا باسم آل محمد، ولأنهم من أحفاد العباس عم النبي ﷺ، كان يخاطب المتكلم أحدهم: يا ابن عم رسول الله. فليس من المعقول أن يكتب لهم كاتب كتاباً يصف أحدهم «بالمالك» ويرشده إلى «السلوك» الذي يسلكه في قيادة رعيته. إن الشطر الثاني من عنوان «تدبير الممالك» يدل دلالةً واضحةً إلى العصور العباسية المتأخرة، لأن الخليفة في العصر العباسي الأول كان يدير «مملكة» واحدة، ولم يكن يدير «ممالك». الممالك كثرت في العصور التالية، بعد أن أصبح الخليفة لعبةً بيد قادة الجيش والوزراء، وبعد أن احتلت بغداد من قبل البويهيين والسلاجقة فضعفت السلطة المركزية، وانفصل كثير من الولاة عن بغداد، وأسسوا ولايات تتصل بمركز الخلافة شكلياً ودينياً، وربما يشارك هؤلاء المنفصلون ببعض الأمور المادية أو العسكرية، ويدعون باسم الخليفة في وقت الصلاة.

في هذه العهود؛ كثر الملوك وكثرت الممالك، وكثر التنافس بين الولاة وزادت الأطماع عند ولاة الأمور، ولذا فمن طبيعة الأشياء، أن ينبه الكاتب السياسي، أو المؤلف في إدارة الدولة إلى الطرق التي يتوجب على رئيس الدولة أن يسلك في سياسة وتدبير هذه الممالك.

وحتى كلمة «تدبير»[1]، أعتقدها تقال وقت الضعف وإدبار الدولة، إذ ليس من

---

١ ـ انظر: ابن منظور: لسان العرب جـ ٤ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٦ مادة: دبر.

المعقول أن يخاطب مفكر بهذه الكلمة سلطاناً كبيراً مثل هارون الرشيد، أو قائداً قوياً مثل الخليفة المعتصم، وإنما ينصح الملوك الضعفاء، وقت تدهور الدولة وإحاطة الأعداء بها من كل جانب فينبري الكتاب والمفكرون ينصحون أولي الأمر أن يدبروا أنفسهم قبل فوات الأوان.

إننا لم نعهد المفكرين والفلاسفة من العصور العباسية الأولى يعنونون كتبهم إلى «الممالك» وإذا ذكرنا الآن بعض الأمثلة، نرى الفرق واضحاً بين عناوين الكتب السياسية في صدر الدولة الإسلامية، وبين الكتب السياسية في عصورها المتأخرة. في العصور الأولى نقرأ كتاب يتيمة السلطان لابن المقفع. وتاج الملوك[1] للجاحظ، وسراج الملوك للطرطوشي. والفارابي يكتب كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، ويقصد به أهل الدولة الواحدة أو المملكة الواحدة. وكتاب الفارابي: الملة الفاضلة، ويعني الأمة الإسلامية الواحدة. أما في العهود المتأخرة فنقرأ كتاب: سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع، وكتاب بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبد الله بن الأزرق (المتوفى عام ٨٩٦هـ)، وكتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي.

١ - كتاب تاج الملوك يشك أنه منسوب للجاحظ، إلا أنه مع هذا يمثل أسلوب العصور الإسلامية الأولى.

(٥)

أقدمية الفارابي في الفلسفة السياسية

بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب، والذي كان تأريخ طباعته شهر آذار ١٩٧٨[١]، اطلعت على كتاب «الفكر السياسي في الإسلام»[٢] لمؤلفيه الزميلين الفاضلين دكتور محمد جلال شرف ودكتور علي عبد المعطي محمد من أساتذة جامعة الإسكندرية، ويظهر أن الكتابين قد صدرا صدرا سوية، فبالرغم من أن سلوك المالك... صدر في الأشهر الأولى من عام ١٩٧٨، فكتاب الفكر السياسي... ربما صدر في بداية العام أو وسطه أو نهايته. لقد ظهر الكتابان في العام نفسه، ولم يتسنى لأحدنا الاطلاع على كتاب الآخر، إذ أن المطابع أخرجت الكتابين في سنة واحدة، وفي بلدين عربيين يحتاج الكتاب إلى وقت حتى يكون في متناول القارىء من البلد الثاني.

خصص الباحثان فصلاً[٣] كاملاً لدراسة ابن أبي الربيع وكتابه سلوك المالك... وكان عنوان الفصل «ابن أبي الربيع رائد الفكر السياسي الإسلامي الأول».

الذي يهمني في هذا المجال، أن الباحثين الفاضلين قد أيدا أن كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك، قد كتب في زمن الخليفة المعتصم.

لقد استعرض المؤلفان آراء بعض القائلين بأن الكتاب كتب زمن الخليفة المستعصم من أمثال المستشرق الألماني فرانز روزنتال[٤] والمؤرخ السوري أسعد طلس[٥] ورأي جرجي زيدان[٦]، بينما يؤيدان رأي الباكستاني شيرواني، من أن الكتاب كتب في زمن

١ ـ مع العلم أنني قدمت الكتاب للناشر في بيروت منذ عام ١٩٧٦، كما يشير التأريخ إلى ذلك بوضوح في نهاية مقدمة الطبعة المذكورة.

٢ ـ منشورات دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٨.

٣ ـ ص ١٩٣ ـ ٢٤١.

٤ ـ علم التأريخ عند المسلمين ترجمة صالح أحمد العلي ص ٥٦.

٥ ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٤٩، مجلد ٢٤ ص ٢٧٤.

٦ ـ انظر مقدمة الطبعة الأولى.

المعتصم، وكذلك يذهبان قائلين[1]: «وسندانا في هذا ما ذهب إليه حاجي خليفة المتوفى عام ١٠٦٨هـ ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسي»ـ وينتهيان قائلين[2]: «ولعل أكبر دليل على دحض ما ذهب إليه أصحاب الرأي القائل بأن هذا الكتاب لم يؤلف في زمن الخليفة المعتصم، هو ما جاء في مقدمة الكتاب نفسه حيث يقول صاحبه: «ومن السعادة لأهل هذا الزمان: أن إمامهم ومتقلد سياستهم ومدبر ملكهم من مجمع المحاسن المذكورة ومعدن الفضائل المشهورة، ومن جمع هذه المحامد المشكورة من جاد الزمان ببقائه على الدين وذويه، ومنَّ الدهر بوجوده على الإسلام وبنيه، وهو سيدنا ومولانا ومالكنا خليفة الله في العباد والسالك سبيل الرشاد المعتصم بالله أمير المؤمنين.... إلخ».

لقد ناقشنا في مقدمة الطبعة الأولى آراء وحجج شيرواني، التي كانت منصبة على أن زمن المستعصم زمن استعداد للحرب، وليس من الممكن حسب رأيه أن ينبغ مفكر يهتم بالفلسفة والعلوم، مع العلم أننا يمكن أن نضيف فنشير إلى أن زمن المعتصم كان زمن اضطراب وعدم استقرار أيضاً، فهو لما تولى الخلافة كان في حملة عسكرية مع أخيه المأمون الذي توفي أثناء الحملة، وتولى هو أمر الخلافة، كما أن عهده لم يخل من حروب مثل فتح عمورية، بالإضافة إلى الاضطراب الذي جعله ينقل الجنود الأتراك من بغداد إلى سامراء التي بناها واتخذها عاصمةً له، كما أننا نستطيع أن نأتي بمثال آخر وهو الفارابي، الذي عاش في حلب في كنف سيف الدولة الحمداني، فكتب وأبدع في الفلسفة مع العلم أن حياة سيف الدولة عبارة عن سلسلة من الحروب مع الدولة البيزنطية.

ولا أدري سبب اعتماد الزميلين الباحثين على حاجي خليفة، مع أنه لم يأت بحجة قوية تعتمد في الموضوع، وإنما فقط نسب زمن كتابة الكتاب إلى عهد الخليفة المعتصم، وهو كغيره من المؤرخين ربما قرأ المخطوطة التي تذكر اسم المعتصم ليس غير، إننا لا يمكن أن نعتبر حاجي خليفة من المؤرخين القدماء ـ في المشكلة التي نناقشها على الأقل ـ لأنه لم يكن من المؤرخين الذين سبقوا سقوط بغداد، حتى يكون رأيه حجةً في أن ابن أبي الربيع كتب سلوك المالك في تدبير المالك زمن المعتصم، بل يمكننا أن نضع حاجي خليفة بين متأخري المؤرخين القدماء.

إن الدليل الأكبر الذي يعتمده المؤلفان، هو ورود اسم المعتصم في الكتاب، ولكن الباحثين ـ كما هو مذكور في حواشي الفصل ـ قد اعتمدا الطبعة الحجرية، والتي ربما يكون

١ ـ الفكر السياسي في الإسلام ص ٢٠٧.

٢ ـ نفسه ص ٢٠٨.

ناسخ المخطوطة قد أخطأ في رسم كلمة «المستعصم» إلى «المعتصم»، وكما أشرنا إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى. ثم ماذا يقول الباحثان بعد أن اطلعنا على مخطوطة باريس والتي تذكر اسم «المستعصم» بوضوح[1].

بعد هذا نرى أن الكاتبين يعتبران ابن أبي الربيع رائد الفكر السياسي الإسلامي الأول، وقد ذهبا هذا المذهب على اعتبار أن الكتاب كتب زمن المعتصم.

في رأيي، أنه ليس كذلك، فلو كان رائد الفكر السياسي الإسلامي الأول، لما أهمله مؤرخو عصره، كما أننا لم نسمع أن ابن أبي الربيع كتب كتاباً آخر في السياسة، وكتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، بالرغم من أن العنوان يشير إلى أن الكتاب يبحث في الفلسفة السياسية، إلا أنه في الحقيقة كتاب جامع يبحث في كل شيء في الطبيعة وفي ما وراء الطبيعة والإدارة والأخلاق والشريعة وتخطيط المدن. وهذا بالإضافة إلى معالجته للأمور السياسية والذي لم يكن مبدعاً منظّراً في كل ما قاله، وإنما كان يعتمد على أفكار السابقين من الحكماء حسب تعبيره هو نفسه[2].

الذي أعتقده، أن رائد الفكر السياسي في الإسلام هو الفارابي، والذي اشتهر عند كتاب الغرب والشرق بصاحب المدينة الفاضلة، بالإضافة إلى أنه كتب في جوانب الفلسفة السياسية المختلفة، كما أنه ترك لنا عدة مؤلفات في الفلسفة السياسية وصلتنا منها على سبيل المثال:

١ ـ آراء أهل المدينة الفاضلة
٢ ـ السياسية المدنيــة
٣ ـ تحصيل الســعادة
٤ ـ الفصول المدنــي
٥ ـ كتاب الملــة

هذا بالإضافة إلى آرائه السياسية والأخلاقية والاجتماعية، التي يمكننا أن نلاحظها في كتبه الأخرى.

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣ أ.
٢ ـ انظر: سلوك المالك ورقة ٢ أ.

(٦)

موازنة بين الفارابي وابن أبي الربيع

ونظرة مقارنة بين ابن أبي الربيع وبين الفارابي، في معالجتهما لصفات رئيس المدينة التي يجب أن يتحلى بها، إذ إن الفارابي يخصص فصلاً كاملاً في كتابه : آراء أهل المدينة الفاضلة بعنوان: «القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة»[١]. فيقول: فهذا هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر أصلاً. وهو الإمام، وهو الرئيس الأول للمدينة، وهو رئيس الأمة الفاضلة ورئيس المعمورة من الأرض كلها». ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها:

أحدها أن يكون تام الأعضاء، قواها مؤاتية أعضاءها على الأعمال التي شأنها أن تكون بها، ومتى همّ عضو ما من أعضائه بعمل يكون به، أتى عليه بسهولة.

ثم أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له، فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر في نفسه.

ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه. وفي الجملة لا يكاد ينساه.

ثم أن يكون جيد الفطنة، ذكياً، إذا رأى الشيء بأدنى دليل، فطن له على الجهة التي دلّ عليها الدليل.

ثم أن يكون حسن العبارة، يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانةً تامة.

ثم أن يكون محباً للتعليم والاستفادة، منقاداً له سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعليم، ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه.

ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، متجنباً بالطبع للعب مبغضاً للذات الكائنة عن هذه.

---

١ ـ الفارابي: المدينة الفاضلة ص ٨٧ ـ ٨٩.

ثم أن يكون محباً للصدق وأهله، مبغضاً للكذب وأهله.

ثم أن يكون كبير النفس، محباً للكرامة، تكبر نفسه عن كل ما يشين من الأمور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.

ثم أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هيّنة عنده.

ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله، ومبغضاً للجور والظلم وأهلهما، يعطي النصف من أهله ومن غيره ويحث عليه، ويؤتي من حل به الجور، مؤاتياً لكل ما يراه حسناً وجميلاً.

ثم أن يكون عدلاً غير صعب القياد، ولا جموحاً ولا لجوجاً إذا دعي إلى العدل، بل صعب القياد إذا دعي إلى الجور وإلى القبيح.

ثم أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه مقداماً، غير خائف ولا ضعيف النفس.

أما ابن أبي الربيع[1]، فالفضائل التي يشترطها في الرئيس، هي:

الأولى: أن يكون له قدرة على جودة التخيل، لكل ما يعمله من أعمال السعادة.
الثانية: أن يكون صحيح الأعضاء، تواتيه على ما يريده من أعمال بدنية.
الثالثة: أن يكون جيد الفهم والتصور لما يقال له، عالماً بكتاب الله، عاملاً به.
الرابعة: أن يكون جيد الحفظ لما يراه ويسمعه، ولا ينسى ما يدركه من العلم.
الخامسة: أن يكون جيد الفطنة ذكياً، إذا رأى على الشيء أدنى دليل فطن له.
السادسة: أن يكون حسن العبارة، يؤاتيه لسانه على إبانة جميع ما في ضميره.
السابعة: أن يكون محباً للتعلم والاستفادة، منقاداً سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعلم.
الثامنة: أن يكون محباً للصدق وأهله، كارهاً للكذب وأهله طبعاً لا تكلفاً.
التاسعة: أن يكون غير شره على الشهوات، مبغضاً لما ساءت عاقبته من اللذات.
العاشرة: أن يكون كبير النفس، محباً للكرامة، يعظم نفسه عن كل ما يشين من الأمور.
الحادية عشرة: أن يكون محباً للعدل والصدق وأهلهما، مبغضاً للجور والكذب

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣ أ.

وأهلها، منصفاً من نفسه.

الثانية عشرة: أن يكون قوي العزيمة على ما يبتغي، غير خائف من الموت، ولا ضعيف النفس.

الثالثة عشرة: أن يهون عنده الدينار والدرهم، وسائر الأعراض الدنياوية الفانية.

من نظرة تمحيص مقارنة دقيقة بين آراء الفيلسوفين ، نلاحظ أن الأفكار تتشابه تماماً، والكلمات نفسها تترادف عند هذا وذاك، وتكاد الجمل أن تتطابق عند الإثنين كوقع الحافر على الحافر، فالشرط الأول عند الفارابي الذي يطلب به من الرئيس أن يكون تام الأعضاء، يأتي ترتيبه الثاني عند ابن أبي الربيع، والشرط الثاني عند الفارابي الذي يطلب من رئيس المدينة أن يكون جيد الفهم والتصور، يأتي ترتيبه الأول والثالث عند ابن أبي الربيع، والشرط الثالث عند الفارابي والذي يريد من الرئيس أن يكون جيد الحفظ، يأتي في الترتيب الرابع عند ابن أبي الربيع. والشرط الرابع عند الفارابي أن يكون ذكياً، يأتي ترتيبه الخامس عند ابن أبي الربيع. ويريد الفارابي خامساً أن يكون الرئيس حسن العبارة، يذكر ابن أبي الربيع ذلك كشرط سادس. والشرط السادس عند الفارابي أن يكون الرئيس محباً للتعليم، يدرج ابن أبي الربيع ذلك في الشرط السابع. وعندما يقول الفارابي في الملاحظة السابعة أن يكون الرئيس غير شره في المأكول والمشروب والمنكوح، يشير ابن أبي الربيع إلى ذلك في الملاحظة التاسعة. والشرط الثامن عند الفارابي أن يكون الرئيس محباً للصدق وأهله، مبغضاً للكذب وأهله، يقول ابن أبي الربيع نص ذلك في ملاحظته الثامنة عينها. وعندما يقول الفارابي في الشرط التاسع أن يكون الرئيس كبير النفس محباً للكرامة، يذكر ابن أبي الربيع ذلك نصاً في ملاحظته العاشرة. والفارابي في شرطه العاشر يطلب من الرئيس أن يهين عنده الدينار والدرهم وسائر أعراض الدنيا، نرى ذلك في ملاحظة ابن أبي الربيع الثالثة عشرة. وعندما يطلب الفارابي أن يكون الرئيس محباً للعدل في شرطه الحادي عشر نجد ذلك عند ابن أبي الربيع في ملاحظته الحادية عشرة. والصفة الثانية عشرة التي يشترطها الفارابي وهي أن يكون الرئيس قوي العزيمة غير خائف ولا ضعيف النفس، نقرأ ذلك عند ابن أبي الربيع في ملاحظته الثانية عشرة أيضاً.

وبعد أن رأينا بوضوح الكلمات عند الفارابي نفسها عند ابن أبي الربيع، والمعاني عند الفارابي عينها عند ابن أبي الربيع، هذا مع اختلاف بسيط، كتقديم كلمة أو تأخيرها، حذف عبارة وإضافة أخرى عند ابن أبي الربيع، فلا بد أن نسأل أنفسنا الآن: هل أن الفارابي إذن نقل عن كتاب سلوك المالك... لابن أبي الربيع، الشروط التي يريدها لرئيس المدينة الفاضلة؟

هذا إذا سلمنا جدلاً ، أن ابن أبي الربيع قد كتب كتابه هذا للخليفة المعتصم ، فهو بهذا قد سبق الفارابي . ولكننا ننفي ذلك بحزم وتدبير ، إذا ما علمنا ـ كطلاب فلسفة ـ أن الفارابي أول من قدم فلسفةً متكاملةً في تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، وأنه المعلم الثاني ، في تاريخ الفلسفة بعد أرسطو المعلم الأول . الفارابي شيخ وأستاذ المدرسة المشائية الشهيرة في الإسلام ، والتي طالما اعترف أعضاؤ ها بتلمذتهم على الفارابي والاعتراف بفضل أستاذيته والاغتراف من كتبه وفلسفته ، سواء في المشرق كابن سينا مثلاً أو في المغرب كابن باجه وابن طفيل وابن رشد .

لو فرضنا فرضية بسيطة ، هي أن كتاب سلوك المالك سبق زمن الفارابي ، وأنه كان متداولاً بين أيدي الفلاسفة والمفكرين ، فهل من المعقول أن الفارابي نقل آراءه في رئيس المدينة من هذا الكتاب نقلاً؟ وهو ذو الباع الطويل في الكتابات السياسية والأخلاقية والاجتماعية؟ وهو الذي عرف على مدى تاريخ الفكر الفلسفي بأنه صاحب المدينة الفاضلة!

إن أي طالب فلسفة ، وإن أي متعمق بدارسة الفلسفة ، لا يمكن حتى أن يخطر على باله مثل هذا التصور . ولو فرضنا أن هذا التصور قد وقع فعلاً ، فكيف غاب عن مؤ رخي الفلسفة في عصره من أمثال ابن النديم ، الذي كان يلتقط كل خبر عن سيرة وكتابات مفكري عصره وما سبقه من عصور ليودعه في كتابه المشهور : الفهرست . وأين كان كتاب سلوك المالك ـ لو كان موجوداً منذ عهد المعتصم ـ عن مؤ رخي الفكر اللاحقين كالقفطي وابن أبي أصيبعة؟

ننتهي إذن إلى أن الآراء الأصيلة من وضع الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة وأن ابن أبي الربيع قد (انتزع) هذه الأفكار وأودعها في كتابه سلوك المالك .

وما ذكرناه أعلاه دليل علمي صارخ يكفي بحد ذاته للإثبات ، أن ابن أبي الربيع كتب كتابه في وقت متأخر عن عصر المعتصم ، وأنه بلا شك كتبه للخليفة المستعصم .

(٧)
المخالفة بين الكندي وابن أبي الربيع

ولو قارنا بين أسلوب فيلسوف عاش زمن المعتصم ألا وهو الفيلسوف الكندي لوجدنا الاختلاف كبيراً بينه وبين أسلوب ابن أبي الربيع، وبالرغم من أننا قد نجد اختلافاً في أسلوب فيلسوفين عاشا في زمن واحد إلا أننا مع هذا نجد سمات العصر الواضحة مشتركة بين أسلوب فيلسوفين أو أكثر عاشا في زمن واحد، بينما الآن سنرى الفرق واضحاً بين أسلوب كتب في القرن الثالث الهجري وبين أسلوب كتب في القرن السابع الهجري.

الكندي يقول(١):

«صانك الله أيها الأخ المحمود بتوفيقه من كل ريب ووفقك لسبيل النجاة من حبائل الشبهة المردية وظلمات الجهل المخزية، ووهب لك علمًا يقودك إلى ما يقرّب منه من عمل ويسعدك به إلى نهاية الأجل.

فهمت الذي سألت مني إعلامك، ما الصلة التي قادت القدماء من الفلاسفة إلى إضافة الأشكال الخمسة إلى العناصر الأربعة وإلى الفلك، وأي إضافة.

فرأيت تكلف إعلامك ذلك بعض المربحة في تجارة من كانت سوقه إيجاد وحدانية الله جل وعز، وأنه ذو القوة المبدعة الكل، والقابض الكل، والأحكم الفعل، وأن من سنة أفضل أهل كل

أما ابن أبي الربيع فيقول(٢):

«الواجب على كل إنسان، الابتداء به، هو أن يعلم أن لهذا العالم وأجزائه صانعاً، بأن يتأمل الموجودات كلها، بل لكل واحد منها سبب وعلة أم لا؟ فإنه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً وعلة، عنه وجد. ثم ينظر إلى تلك الأسباب القريبة من الموجودات هل لها أسباب أم لا؟ فإنه يجد لها أسباباً، ثم يتأمل وينظر، هل الأسباب ذاهبة إلى ما لا نهاية له، أم هي واقفة عند نهاية، أم بعض الموجودات أسباب للبعض على سبيل الدور؟ فإنه يجد القول بأنها ذاهبة إلى غير نهاية محالاً. ويجد القول بأن بعضها سبب للبعض على الدور محالاً أيضاً لأنه يلزم أن يكون الشيء سبباً لنفسه، فتبقى الأسباب متناهية، وأقل ما يتناهى إليه الكثير هو الواحد.

---

١ ـ الكندي: رسائل الكندي الفلسفية جـ٢ ص ٥٤ ـ ٥٥
«من رسالة الكندي في السبب الذي له نسبت القدماء الأشكال الخمسة إلى الإسطقسات».
٢ ـ سلوك المالك ورقة ٢ أ.

تجارة ألا يغفلوا عن مربح في تجارتهم من أين سنح وصح .

فأسرعت إلى إرادتك من ذلك، مرتقباً في أرباحها الباقية وثمارها الزاكية بقدر ما بلغته فكرتي ورأيت من إشاراتهم الخفية الأسرار المدفونة في أضعاف أقاويلهم العميقة الأغوار ولم آل نصحاً في إيضاح ذلك بأبسط قول جهداً، ومواهب الخيرات توفيقاً لكل محمود في الدين» .

فسبب الأسباب موجود ، وهو واحد، والعبارة عنه بما وجد السبيل إليه من الألفاظ والأوصاف» .

(٨)

الاتفاق بين ابن الطقطقى وابن أبي الربيع

ولو نظرنا في أسلوب كاتب معاصر لابن أبي الربيع، ألا وهو محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى مؤلف كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لرأينا تشابهاً كبيراً في الأسلوب بين المؤلفين.

ومن الأمثلة على ذلك، يقول ابن الطقطقى:

«من الحقوق الواجبة للملك على الرعية التعظيم، والتضخيم لشأنه في الباطن والظاهر وتعويد النفس ذلك ورياضتها به»[١].

ومثال آخر:

«وأما الحقوق الواجبة للرعية على الملك فمنها حماية البيضة وسدّ الثغور وتحصين الأطراف وأمن السوابل وقمع الدّعار، فهذه حقوق تلزم السلطان تجري مجرى الفروض الواجبة، وبهذه الأمور تجب طاعته على رعيته، ومن الحقوق الواجبة للرعية على الملك، الرفق بهم والصبر على صادرات هفواتهم»[٢].

ويقول أيضاً:

«ومما يكره للملك مخالطة الأنذال والسوقة والجهال، فإن سماع ألفاظهم الساقطة ومعانيهم المرذولة وعباراتهم الدنية، مما يحط الهمة ويضع المنزلة ويصدىء القلب ويزري بالملك. ومخالطة الأشراف ومعاشرة أفاضل الرجال مما يعلي الهمة، ويذكي القلب ويفتق الذهن ويبسط اللسان»[٣].

وجاء في مكان آخر:

---

١ - ابن الطقطقى: الفخري ص ٣٣.
٢ - نفسه: الفخري ص ٣٤.
٣ - نفسه: ص ٣٦.

«ومما يليق بالملك الفاضل ويكمل فضله، أن يكون عالي الهمة رحب الصدر محباً للرياسة معداً لها أسبابها، طامع البصر إليها، معملاً فكره في توسيع مملكته وعلو درجته، غير مخلد إلى التنعم ولا جامح إلى الترف ولا منهمك في اللذات»[1].

وكذلك يذكر:

«ولكل صنف من الرعية صنف في السياسة، فالأفاضل، يساسون بمكارم الأخلاق والإرشاد اللطيف، والأوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوّام يساسون بالرهبة وإلزامهم الجدد المستقيم وقسرهم على الحق الصريح»[2].

ويقول أيضاً:

«ويجب أن يكون الملك مجازياً على الإحسان بمثله، وعلى الإساءة بمثلها، لتكون رعيته دائماً راجين لبره خائفين من سطوته»[3].

وكذلك يشير ابن الطقطقى:

«ومما يجب على الملك الفاضل إمعان النظر في الأسرار وصونها وتحصينها وحراستها من الإفشاء والذياع، وهذا باب يحتاج فيه إلى التأني التام، فكم من مملكة خربت، وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر واحد، وحفظ السر وكتمانه من أفضل ما اعتنى به الإنسان»[4].

ولو أمعنا النظر مقارنين ذلك بما ذكره ابن أبي الربيع[5] في معالجته لسياسة الملك وعلاقته برعيته، لوجدنا تشابهاً كبيراً في أسلوب المؤلفين.

---

١ ـ ابن الطقطقى: الفخري ص ٣٨.
٢ ـ نفسه: ص ٤١.
٣ ـ نفسه: ص ٤٨.
٤ ـ نفسه: ص ٦٠.
٥ ـ انظر: سلوك المالك ورقة ٢٤ ب ـ ٣٢ ب.

(٩)
مشابهات بين الماوردي وابن أبي الربيع

ونلاحظ أن هناك كثيراً من الآراء المتشابهة بين كتاب سلوك المالك وكتاب أدب الوزير لأبي الحسن الماوردي، فيما يخص الوزير وسلوكه وحقوقه وواجباته.

الماردي يريد من الوزير أن يكون متديناً، بل يريد من الوزير أن يجعل الدين قائده، والحق رائده، وأن يكون عادلاً، بل يجب أن يقضي حوائجه بالعدل والإحسان، ويبتعد عن الجور والإساءة، ويكون عدله في الأموال، أن تؤخذ بحقها وتدفع إلى مستحقيها، وأن يكون بليغ اللسان صادق القول[١]. كذلك من صفات الوزير الإقدام والشجاعة، وكذلك الحذر من الله تعالى فيما فرض، ومن السلطان فيما فوض، ومن الزمان فيما اعترض، وكذلك الحذر من الأعداء ومكر الدهاة[٢].

ومهمة الوزير[٣] عند الماوردي، الدفاع عن الملك من الأولياء، وذلك بأن يقودهم إلى طاعته بالرغبة، وكذلك يدافع عن المملكة ضد الأعداء، وكذلك يدافع الوزير عن نفسه من الأكفاء المنافسين له والموتورين، وكذلك يدافع عن الرعية من خوف واختلال، وذلك بعدم إهمال شؤون الرعية، لأنهم قوم الملك وذخره، إن أهملوا أفسدوا، ولذا على الوزير أن يعينهم على صلاح عيشهم.

الماوردي يرى أن حقوق السلطان على الوزير ثلاثة:[٤]

أحدها: قيام الوزير بمصالح ملك السلطان وهي أربع: عمارة بلاده، وتقويم أجناده، وتثمير مواده، وحياطة رعيته.

والثاني: من حقوق السلطان على الوزير، قيامه بمصالح نفسه وهي أربع:

---

١ ـ الماوردي: أدب الوزير ص ٤٩ ـ ٥٠.
٢ ـ نفسه: ص ٨٧ ـ ٩٩.
٣ ـ نفسه: ص ٧٢ ـ ٨٦.
٤ ـ نفسه: ص ١٠١ ـ ١٠٢.

إدراك كفايته، وتحمل عوارضه، وتهذيب حاشيته وإعداد ما يستدفع به النوائب.

والثالث: إن حقوق السلطان على الوزير، قيامه بمقاومة أعدائه، وذلك بأربعة أشياء:

تحصين الثغور، واستكمال العدة، وترتيب العساكر، وتقدير الحدود.

ويرى الماوردي[1] أن حقوق الوزير على السلطان ثلاثة:

أحدها : معونة السلطان للوزير على نظره، وذلك بأربعة أشياء: تقوية يده، وتنفيذ أمره، وإطلاق كفايته، وأن لا يجعل لغيره عليه أمراً.

والثاني : من حقوق الوزير على السلطان، أن يثق الوزير من السلطان بأربعة:

أن لا يؤاذه بغير ذنب، ولا يطمع في ماله من غير خيانة، وأن لا يقدم عليه من دونه، ولا يمكّن منه عدواً.

والثالث: من حقوق الوزير على السلطان، أن لا يرتاب السلطان بباطن الوزير وظاهره سليم، وألا يستبدل به ونظره مستقيم، وأن لا يؤاخذه بدرك ما جرّه القضاء وساقه القدر، وألا يحمله ما ليس في قدرته.

وإذا رجعنا إلى كتاب سلوك المالك[2]، ولاحظنا الصفات التي يريدها ابن أبي الربيع من الوزير، وكذلك ما يجب للوزير عند السلطان، وما يجب للسلطان على الوزير نرى أن هناك تشابهات كثيرة، لما جاء به الماوردي وما قاله ابن أبي الربيع، ولكن لا نستطيع الجزم أن ابن أبي الربيع قد نقل عن الماوردي لعدم استطاعتنا أن نعثر على أثر الحافر على الحافر، إننا فقط نستطيع القول أنهما مفكران مسلمان جاءا بأفكار متقاربة حول موضوع واحد. أما أن ابن أبي الربيع قد اطلع على تراث الماوردي وقرأه وتأثر به فهذا ما لا نستبعده، لأن الماوردي، الذي عاش خلال ازدهار القرن الرابع الهجري ووصل إلى منصب قاضي القضاة، والذي اشتهر في كتاباته السياسية مثل: كتاب الأحكام السلطانية، وأدب الوزير، وكتاب نصيحة الملوك، وكتاب في سياسة الملك وقواعده، وكتاب أدب الدنيا والدين، وغيرهما من الكتب السياسية والتربوية

---

١ - الماوردي: أدب الوزير ص ١٠٢ - ١٠٥.

٢ - انظر: سلوك المالك ورقة ٣٥ أ - ٣٦ أ.

والأدبية، فهو أديب ولغوي ، وقد مارس القضاء واختلط بالملوك والوزراء والولاة وخبر صفاتهم، وأدرك ما يجب لهم وما يجب عليهم. أقول لا بد أن كتاباته الأدبية والتربوية والسياسية كانت متداولة عند المتعلمين والمتفلسفين في القرون التاليـــة.

(١٠)

بين مسـكويه وابن أبي الربيع

ومن دراستنا لكتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه، وجدنا من تعاريف وحد كثير من الفضائل والرذائل تتشابه إلى حد كبير مع ما جاء به ابن أبي الربيع في كتابه سلوك المالك.

إن مسكويه فيلسوف أخلاقي، ومن مفكري الإسلام البارزين في أواخر القرن الرابع الهجري. وكتابه تهذيب الأخلاق، يعتبر من الكتب الأخلاقية المميزة بين كتب الفلسفة في الإسلام، وإن مسكويه طالما يذكر الفلاسفة والكتاب الذين يأخذ عنهم أو يناقش آراءهم. وكأمثلة على ذلك فهو يذكر: سقراط وأفلاطون وأرسطو والحسن البصري والكندي. ولكن مع هذا لا وجود لذكر ابن أبي الربيع ولا كتابه سلوك المالك، فلو كان الكتاب موجوداً، والمؤلف معروفاً، وأن مسكويه اقتطف كل هذه الفقرات منه لذكر المؤلف أو الكتاب كما هو شأنه[١].

ننتهي إلى القول بنتيجة واضحة، أن ابن أبي الربيع قد اطلع على كتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه و(انتزع) منه كثيراً من المقولات التي تخص تحديد الفضائل والرذائل. وندرج الجدول أدناه مقارنين بين عبارات الفيلسوفين:

مسـكويه[٢] تهذيب الأخـلاق	ابن أبي الربيع[٣] سـلوك المالـك
الذكاء: هو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس.	الذكاء: هو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس.

١ - أعتقد لا حاجة أن أضع في الهامش أرقام الصفحات التي يذكر فيها مسكويه أسماء الأعلام أو الكتب، إذ يندر أن تخلو صفحة من الإشارة إلى اسم مفكّر أو اسم كتاب.
للدقة والتأكد انظر: تهذيب الأخلاق ص ٢٤١ - ٢٤٣.

٢ - تهذيب الأخلاق ص ١٦ - ٢٨

٣ - سلوك المالك ورقة ٧ أ - ١٠ أ

تهذيب الأخلاق		سلوك المالك	
الذكر	هو ثبات صورة ما يخلصه العقل أو الوهم من الأمور.	الذكر	هو حصول ما سبق وجوده في الذهن.
التعقل	هو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه.	العقل	هو الحكم على حقيقة المطلوب بما هي لذلك.
صفاء الذهن	هو استعداد النفس لاستخراج المطلوب.	الحكمة	هي إدراك أفضل المعلومات بأفضل العلوم.
جودة الفهم	هو تأمل النفس لـما قد لزم من المقدّم.	الفهم	هو حصول المعاني الواردة على النفس.
الحياء	هو انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق.	الحياء	هو انحصار النفس خوف إتيان القبيح والحذر من اللوم.
الدعة	هي سكون النفس عند حركة الشهوات.	الدعة	هي سكون النفس عن حركة الشهوات الغالبة.
الصبر	هو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات.	الصبر	هو مقاومة النفس للهوى عند مغالبته.
السخاء	هو التوسط في الإعطاء والأخذ وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي.	السخاء	هو بذل المال من غير مسألة ما لم ينته إلى تبذيره.
الحرية	هي فضيلة للنفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطي ما يجب في وجهه ويمتنع من اكتساب المال من غير وجهه.	الحرية	هي الكسب من وجهه والميل به إلى محاسن الأمور.
القناعة	هي التساهل في المآكل والمشارب والزينة.	القناعة	هي الرضا بما سهل وجوده دون ما غاب وترك الحرص.
الدماثة	هي حسن انقياد النفس لما يحمد وتسرعها إلى الجميل.	الدماثة	هي حسن انقياد النفس ولينها وسرعتها إلى الجميل.

تهذيب الأخلاق	سلوك المالك
الانتظام : هو حال للنفس تقودها إلى حسن تقدير الأمور وترتيبها كما ينبغي.	الانتظام : هو حال للنفس يقودها إلى حسن تقدير الأمور.
حسن الهدي : هو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة.	حسن السمت: هو محبة النفس، تكميلها بالزينة الحسنة.
الوقار : هو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب.	الوقار : هو سكون النفس وثباتها وتحفظها من الحركة الزائدة.
الورع : هو لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس.	الورع : هو قهر الشهوة عند تغلب سورتها وتقصد فعل الجميل.
كبر النفس : هو الاستهانة باليسير والاقتدار على حمل الكرامة والهوان.	كبر النفس : هو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة وضدها.
النجدة : هي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع.	النجدة : هي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يجاوزها جزع .
عظم الهمة : هي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت.	عظم الهمة : هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور.
الثبات : هو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها وفي الأهوال خاصة.	التثبت : هو فضيلة يقوى بها الإنسان على احتمال الآلام.
الحلم : هو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.	الحلم : هو ترك الانتقام مع القدرة، ومجازاة الإساءة بالإحسان.

تهذيب الأخلاق	سلوك المالك
الشهامة : هي الحرص على الأعمال العظام توقعاً للاحدوثة الجميلة.	الشهامة : هي الحرص على الأعمال العظام توقعاً للأحدوثة الجميلة.
احتمال الكد : هو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الأمور الحسنة وحسن العادة.	احتمال الكد : هو القوة، يستعمل البدن في الأعمال الحسنة بحسن العادة.
الكرم : هو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي.	الكرم : هو إنفاق المال بسهولة من النفس في الأمور الجليلة .
الإيثار : هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه.	الإيثار : هو كف الإنسان عن بعض حوائجه وبذلها لمستحقيها.
النبل : هو سرور النفس بالأفعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة.	النبل : هو سرور النفس بالأفعال العظام الحسنة.
المواساة : هي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقوات.	المواساة : هي معاونة الأصدقاء المستحقين.
السماحة : هي بذل بعض ما لا يجب	السماحة : هي ترك بعض ما لا يجب تركه عند الحاجة والضرورة
المسامحة : هي ترك بعض ما يجب بالإرادة والاختيار.	المسامحة : هي ترك بعض ما يجب عند الحاجة إلى ذلك .
الصداقة : هي محبة صادقة يهتم معها بجميع أسباب الصديق وإيثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به.	الصداقة : هي محبة صادقة واهتمام بجميع أسباب الصديق.

تهذيب الأخلاق

الالفة : هي اتفاق الآراء والاعتقادات وتحدث عن التواصل ، فيعتقد معها التضافر عن تدبير العيش.

صلة الرحم : هي مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات التي تكون في الدنيا.

المكافأة : هي مقابلة الإحسان بمثله أو زيادةٍ عليه.

حسن الشركة: هو الأخذ والعطاء في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع.

حسن القضاء: هو مجازاة بغير ندم ولا منٍّ.

التودد : هو طلب مودات الأكفاء وأهل الفضل بحسن اللقاء، وبالأعمال التي تستدعي ذلك منهم.

العبادة : هي تعظيم الله عز وجل وتمجيده وطاعته وإكرام أوليائه من الملائكة والأنبياء والأئمة، والعمل بما توجبه الشريعة.

الجبن : هو الخوف مما لا ينبغي أن يخاف منه.

التهور : هو الإقدام على ما لا ينبغي أن يقدم عليه.

الظلم : هو التوصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي.

سلوك المالك

الالفة : هي اتفاق الآراء على التعاون في تدبير العيش .

صلة الرحم : هو مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات ومواصلتهم.

المكافأة : هو مقابلة الإحسان بمثله والزيادة عليه بما يجب.

حسن الشركة : هو الاعتدال في الأخذ والعطاء والإنصاف.

حسن القضاء: هو المجازاة بغير منٍّ ولا ندم.

التودد : وهو طلب المودات بحسن اللقاء وجميل الأفعال.

العبادة : هي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام رسله.

الجبن : هو الجزع عند المخاوف وحجام عن أدنى فزع.

التهور : هو الإقدام على ما لا ينبغي، كما لا ينبغي فيما لا ينبغي.

الظلم : هو التوصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي.

تهذيب الأخلاق		سلوك المالك	
الانظلام	: هو الاستخذاء والاستجابة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي.	الانظلام	: هو الاستخذاء والاستجابة في المقتنيات لمن لا ينبغي.

(١١)

ابن أبي الربيع وفلسفته من وجهة نظر معاصره

ولا بد من الإشارة إلى المعاصرة في أفكار ابن أبي الربيع. كتاب سلوك المالك يتطرق إلى مختلف فروع المعرفة لا سيما الإنسانية منها. وبالرغم من مرور الأيام فإننا ما نزال نكتشف كثيراً من الآراء المعاصرة، أو بعبارة أخرى نقول: أننا نجد ابن أبي الربيع معاصراً وهو يعالج المشكلات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والإدارية. إننا نستطيع أن نعطي صفة الخلود والشمولية لكثير من أفكاره التي عالج بها قضايا عصره. إننا عندما نتأملها جيداً نراها تصدق على زماننا الذي نعيش فيه. وأنها في الوقت نفسه غير مقيدة بمكان معين، وإنما صالحة للتطبيق في كل مكان.

الصفات التي يذكرها ابن أبي الربيع[١] في رئيس المدينة، ما يزال أي شعب من شعوب العالم يرغب أن يتحلى بها رئيسه، وأن أي مفكر يحلم بمدينة فاضلة يتمناها لرئيس تلك المدينة الفاضلة. من هو الذي لا يريد أن يكون رئيس الدولة صحيح الأعضاء جيد الفهم عالماً بأمور الدين والدنيا؟ ألا يتمنى كل فرد في الدولة أن يكون القائم بالأمور كبير النفس، قوي العزيمة، محباً للعدل والصدق وأهلتهما؟ من منا لا يريد أن يكون رئيس المدينة محباً للعلم وأهله؟.

وفي مكان آخر من الكتاب يرى ابن أبي الربيع[٢] أن يميز الملك بالرأي المتين وحصول ذلك بالبحث والنظر في تدابير السلف وأخبارهم وتجاربهم. كذلك يشترط أن يكون الرئيس شجاعاً يصبر على الشدائد، وكذلك يقوي الملك ويشد من أزره، الأعوان الصادقون، وكذلك المال الجم إذ بالمال يكون قوام المملكة ودوام العمارة. كذلك ينبغي أن يكون الملك جيد الحدس والتخمين، ولا يغيب عنه حال من أحواله. وليجعل الحق والعدل

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣أ وذكرت في مكان آخر أن صفات رئيس المدينة الفاضلة مأخوذة عن الفارابي. إنني هنا أعامل النص على أنه مكتوب في الكتاب الذي أحلل مراميه وقضاياه».

٢ ـ نفسه: ورقة ٢٩أ ـ ٣١ب.

أمامه، وليقابل الخطأ من الناس بالصواب الذي في جوهره، وينبغي أن يترك الملك لمن يأتي بعده أعمر مما تسلمه، وأن يتصفح في ليله أعمال نهاره، فإن الليل أجمع للمخاطر، وينبغي أن يتخذ جلساء من أعقل الناس وأعلمهم، وبالنسبة لرعيته يجتهد في استمالة قلوبهم، وجعل طاعتهم رغبة لا رهبة، فيبتدىء بالنفقـة عليهم ويتتبع لطيف أخبارهم، ويسمع قول القائل منهم ليكون على بينـة من أمور النـاس. وكذلك يجب أن يتفقد عمارات بلده، وإسعاد أهله وأحوال أقواتهم، ويجب أن يكون آثر الأشياء عنده بسط الخير للناس وأن يعممهم بفضله. كذلك يعطف على أهل المسكنة ويكرم ذوي البلاء ويستفتي طالب الحاجة بحاجته، ويعفو عن كثير من الجرائم وعن يسير الذنب.

وأعتقد أن هذه الشروط والمواصفات التي يذكرها هذا المفكر المسلم قبل قرون عديدة ما تزال تصدق القول على زماننا هذا، وأنها تطلب في أي مكان من أنحاء المعمورة فأي شعب ـ لا يريد من رئيسه أن يتفقد أحواله؟ وأي ملك لا يتمنى الأعوان المخلصين؟

ابن أبي الربيع يحث دائمًا على اقتناء الفضائل ويحذر من طريق الرذائل وينصح بتهذيب الأخلاق عن طريق التمرين والرياضة والممارسة. ولا أشك أن هدف التربية هو غرس الفضائل في الناشئة والمحافظة عليهم من الانزلاق في طريق الرذائل.

أما القلب فيقول ابن أبي الربيع[1]. فقد جعل الله فيه روحاً تنفذ منه إلى سائر العروق الضوارب التي هي الشرايين، فيكون الإنسان بها حياً، وببطلانها ميتاً.

ويشارك بها الحيوان، وبها يكون التنفس والنبض والحرارة الغريزية. أما الكبد، فقد جعل الله به قوةً لها نفوذ الغذاء في العروق غير الضوارب، يشترك بها الحيوان.

واعتقد أن أي طبيب معاصر يبدأ بتعريف القلب والكبد بهذه العمليات، مع فارق استعمال كلمات متداولة الآن، فبدلاً من قول ابن أبي الربيع: «نفوذ الغذاء إلى الأعضاء» يقول الطبيب المعاصر: «تمثيل الغذاء في الجسم»، وهذا لا يغير من جوهر الحقيقة شيئاً.

نلاحظ أن ابن أبي الربيع يشير في أماكن مختلفة إلى أثر الممارسة في الأخلاق. وهذا ما نلاحظه كهدف مهم للعملية التربوية في كل زمان ومكان.

يشير ابن أبي الربيع[2] إلى ركن من أركان الإعمار عند البشر، وهو تربية الحيوان

١ ـ سلوك المالك ورقة ٢٩ أ ـ ٣١ ب.
٢ ـ نفسه ورقة ١٢ أ ب.

وتعهد النبات، وذلك لأن الإنسان يحتاج الحيوان ولذا فيجب على الإنسان أن يحفظ ويغذي ويكنّ الحيوان من الحر والبرد، وكذلك النبات يحتاج إلى الغرس والزرع والسقي.

كما أن الكاتب لا يفوته أن يذكر أسباب التكامل الاجتماعي فيقول صراحةً: إن النجار يحتاج إلى الحداد، والحداد يضطر إلى صناعة أصحاب المعادن، وتلك الصناعة تحتاج إلى البناء. وكل واحدة من هذه الصناعات، وإن كانت تامة في نفسها، فإنها تحتاج إلى الأخرى كما يحتاج بعض أجزاء السلسلة إلى بعض، فوقع الاضطرار إلى التعاون والتعاضد والتساعد، فالإنسان كان وما يزال كائناً اجتماعياً يحيا كإنسان مع الآخرين، ولا يستطيع أن يصل الكمال بالعيش وحده، ولذا فسيبقى ضمن المجموعة الإنسانية يحتاج الآخرين كما يحتاج إليه الآخرون.

يرسم ابن أبي الربيع[٢] صورةً رائعةً للإنسان في أي عصر كان وفي أي مكان هو كائن، والذي يريد أن يعيش عيشةً كريمةً معتدلة، ينصحه ابن أبي الربيع في هذه الأمور:

١ ـ أن لا يكون ما ينفق أكثر مما يكسب.
٢ ـ أن لا يكون ما ينفق مساوياً لكسبه.
٣ ـ أن لا يمد يده إلى ما يعجز عن القيام به.
٤ ـ أن لا يستعمل ماله في شيء يبطىء خروجه عنه.

وتلك لعمري نصائح تفيد كل من يريد أن يحافظ على كرامته الاجتماعية ضمن مسيرته في هذه الحياة.

يشجع مؤلف سلوك المالك[٣] على الزواج لأنه يرى فيه قوام الحياة، ولكن مع هذا، فهو ينصح الرجل ألا يكون قصده من المرأة: الحسب أو المال أو الجمال، لأن هذه الصفات ليست أساسية في سعادة الرجل وأنها متغيرة بحكم القانون، الكون والفساد. وأن أياً منا الآن لا ينصح الرجل الذي ينشد الزواج بأن يتزوج صاحبة المال لأنه زائل ولا الحسب لأن الأدب خير منه ولا الجمال الحسي فجمال النفس أكثر دواماً من جمال الجسد وجمال العقل خير من جمال الجسد.

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٢٠ ب.
٢ ـ نفسه: ٢٠ ب.
٣ ـ نفسه: ٢١ أ.
٤ ـ نفسه: ٢٢ أ.

ومع أن ابن أبي الربيع[1] يعيش ضمن نطاق مجتمع إسلامي يجيز تعدد الزوجات، إلا أنه مع هذا ينصح الرجل أن يقتصر على زوجة واحدة لأن ذلك ـ حسب تعبيره ـ أدعى للنظام. ونحن في القرن العشرين نحبذ للرجل أن يقتصر على زوجة واحدة، وذلك أدعى للسعادة والانسجام بين الزوجين، وهذا ما نراه الآن سائداً في أغلب المجتمعات.

ابن أبي الربيع[2] يريد أن يؤخذ الولد بالأدب منذ صغره، لأن الصغير أسلس قياداً وأسرع مواتاة، فيربى تارةً بالترغيب وتارةً بالترهيب، ويعلم العلوم والآداب. ولا شك أن هذه الفكرة التربوية نجدها قديماً في جمهورية أفلاطون، ونقرأها الآن في أحدث الكتب التربوية والنفسية المختصة في تربية وتنشئة الطفل.

من لطيف ما يذكر صاحب سلوك المالك[3] أن على مجالس الملك، ويقصد بالطبع بالملك رئيس المدينة أو رئيس الولاية ورئيس الدولة، وربما يقصد به الخليفة نفسه، فقد اعتاد مفكرو الإسلام أن يسموا الخليفة بالملك في أغلب كتاباتهم[4]. أقول أن أبي الربيع[5] ينصح الجالس مع الملك ألا يبدأه باكلام دون أن يسأله ويجيبه حينئذ بخفض صوت، فإن سكت الملك فلينهض. كذلك على الجالس أن لا يضحك عند حديث الملك، ولا يكثر التعجب منه، ولا يحرك شيئاً من أعضائه بحضرته. ولا يكثر الالتفات، ولا يقطع حديثه، وعليه إن سئل أن يكون ناصحاً للملك بالشكر والوفاء.

وهذه نصائح تدخل في باب الأدب، ما تزال تطلب في حضرة الملوك والرؤساء.

ولا يفوت ابن أبي الربيع[6] إلى أن يصنف الأصدقاء إلى أصدقاء مخلصين، وإلى أصدقاء في الظاهر فقط. وهذا أيضاً يصدق عليه القول في كل زمان. وكل إنسان يتحقق من وجود هذين الصنفين من خلال تجاربه في الحياة.

يشترط مؤلف سلوك المالك في إنشاء المدن ست شرائط[7]:

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٢٢ أ.
٢ ـ نفسه ورقة ٢٢ ب.
٣ ـ نفسه ورقة ٢٤ ب.
٤ ـ انظر مثلاً أ ـ كتاب ابن المقفع، ب ـ تاج الملوك المنسوب للجاحظ، جـ ـ كتاب الأغاني للأصفهاني.
٥ ـ سلوك المالك ورقة ٢٥ ب.
٦ ـ نفسه ورقة ٢٥ ب.
٧ ـ نفسه ورقة ٣٣ ب.

أحدها: سعة المياه المستعذبة.

الثاني: إمكان الميرة المستمدة.

الثالث: اعتدال المكان وجودة الهواء.

الرابع: القرب من المراعي والاحتطاب.

الخامس: تحصين منازلها من الأعداء والذعّار.

السادس: أن يحيط بها سواد يعين أهلها.

وفي مكان آخر[1] يشترط في المدينة، أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق، أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، لينال سكانها حوائجهم من قرب. كذلك ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها.

وهذه صفات ما تزال قائمة في اختيار أية مدينة يراد بناؤ ها، وفي مكان من الأمكنة، إذ لا بد أن تشيد دور المدينة قرب ماء، وهناك ميرة تكفي سكان أهل هذه المدينة، واعتدال الهواء شرط مهم كذلك يحيط هذه المدينة مزارع وحقول، وبساتين ليطيب العيش لسكان المدينة ولمن يحيط بها، أما تحصين المنازل فهذا شرط أساس لكل منزل وفي أي بلد من البلدان.

لا ينسى ابن أبي الربيع[2] الأمور المالية أو ما يعبر عنه أرباب الاقتصاد اليوم بالدخل القومي والوارد والصادر، وكيف نراهم يحبذون التوازن بين الإنتاج والصرف، وأنهم دائمًا يرون أن من علامات الازدهار الاقتصادي في أي بلد عندما تزيد صادراته على وارداته. لنسمع كيف يتحدث المفكر العربي وهو يعالج هذه المشكلة قبل سبعة قرون من الزمان. فهو يقول إن حال الدخل لا يخلو إذا قوبل بالخرج من أحوال ثلاثة:

أحدها: أن يفضل الدخل على الخرج، وذلك هو الملك المستقيم والتدبير القويم. ليكون فاضل الدخل معرضاً لوجوه النوائب معداً.

الحالة الثانية: أن يقصر الدخل عن الخرج، وذلك هو الملك المختل والتدبير المعتل، فتدعوه الحاجة إلى العدول عن لوازم الشرع ويؤول إلى العطب.

الحالة الثالثة: أن يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل، وذلك يكون في زمن السلامة

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٤ ب.

٢ ـ نفسه ورقة ٣٤ أ.

مستقلاً ، وعند الحوادث معتزلاً ، فإن تحركت به النوائب كدّه الاجتهاد وتلمه الأعوان.

إن صاحب سلوك المالك يرسم للدولة التي تريد أن تعيش بازدهار اقتصادي متين، أن يكون لدخلها دائمًا أكثر من صرفها، أو بعبارة أخرى، إنه يريد أن يكون الميزان التجاري لصالح تلك الدولة، وإلا فإن ملكها يختل وتتعرض لكثير من النوائب.

يذكر ابن أبي الربيع[1] عشر صفات للوزير، كذلك يدرج ما يجب للوزير على الملك في تسع فقرات، ثم لا يلبث أن يلزم الوزير أمام الملك باثني عشر واجباً. وبما أنني لمحت إلى تلك الحقوق والواجبات في مكان سابق فلا مجال أن نسطرها هنا مفصلةً من جديد، ولكن القارىء سيرى نفسه وهو يتأمل المزايا التي يتحلى بها الوزير، كما يريده ابن أبي الربيع أن يكون ويتصفح ما له وما عليه، ثم يقارن ذلك في صفات الوزير الكامل الناجح في زماننا هذا وفي أية دولة من دول العالم، سيكتشف أن الفيلسوف المسلم ما زال معاصراً وهو يضع الخطوط العريضة أمام صفات وواجبات أي وزير من الوزراء.

أما مستشارو الملك لشؤون الثقافة والجيش والعدل والخراج، وكذلك الحاجب والقاضي وصاحب الشرطة والطبيب والجليس وصاحب الطعام والشراب، فإن المزايا والشروط والصفات التي يرسمها ابن أبي الربيع لهم ، ما تزال قضاياها معاصرة ونلمسها بوضوح عند أي من هؤلاء الذين ذكر لهم المؤلف تلك الصفات، وإذا اختلفت بعض المسميات فالجوهر حي باق واضح للعيان ، وإني لا أريد أن أكرر، وإنما يستطيع القارىء أن يرجع إلى النص ليرى وكأن ابن أبي الربيع يرسم أمام أعيننا الشروط التي نشترطها نحن في الشخص الذي نتمنى أن يتقلد منصباً من تلك المناصب التي ذكرتها أعلاه.

سأكتفي بذكر مثلين وسنرى بوضوح روح المعاصرة والديمومة في العقل العربي.

المثل الأول، ما يريد مؤلف سلوك المالك من صاحب الشرطة[3]:

١ ـ ينبغي أن يكون حليمًا مهيباً، دائم الصمت، طويل الفكر، بعيد الغور.
٢ ـ وأن يكون غليظاً على أهل الريب في تصاريف الحيل، شديد اليقظة.
٣ ـ وأن يكون حفيظاً ، ظاهر النزاهة، عارفاً بمنازل العقوبة غير عجول.
٤ ـ وينبغي أن يكون نظره شزراً قليل التبسم، غير ملتفت إلى الشفاعات.

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٥ أ ـ ٣٦ أ.
٢ ـ انظر النصوص مفصلة في ورقات ٣٦ أ ـ ٣٩ أ.
٣ ـ سلوك المالك ورقة ٣٧ ب.

٥ ـ وأن يأمر أصحابه بملازمة المحابيس، وتفتيش الأطعمة وما يدخل السجون.
٦ ـ وليأمر الحراس من أول الليل إلى آخره، بتفقد الدروب والشوارع ويحكم أمرها.
٧ ـ ولينظرها آخر وقت ، ومن يخرج منها عند فتحها، فهو وقت الريبة.
٨ ـ ويجب عليه عمارة سور المدينة وأبوابها، ولم شعثها ومعرفة من يدخلها.
٩ ـ ويجب عليه إقامة الحدود، كما وردت في الكتاب العزيز، والعمل بها.
١٠ ـ وليعلم أن الله تعالى أعلم بصلاح عباده، فلا يهمل من حدوده شيئاً.
١١ ـ وإذا أفرج عن أحد من السجن، ثم عاد بجرم، فليجعل الحبس قبره.
١٢ ـ وليمنع المظلوم من الانتصار لنفسه وبيده، بل ينهي حاله ليقابل بما يستحق.
١٣ ـ ويأمر العامة أن لا يجيروا أحداً، ولا ينبهوه للهرب بل يدلون عليه، فإن الضرر يعود إليهم.
١٤ ـ وينبغي أن تكون عقوبة الخاص والعام واحدة، كما أمرت الشريعة.

ولا أدري ماذا تريد أية دولة معاصرة من مدير شرطتها أكثر مما ذكره ابن أبي الربيع؟

ومثال آخر عندما يشير[1] إلى ميزات وصفات وواجبات الطبيب، فيقول وأما الحكيم:

١ ـ ينبغي أن يكون حاذقاً لطيفاً رفيقاً طويل الفكرة.
٢ ـ وأن يكون صحيح الروية، كثير الدرس في الكتب القديمة.
٣ ـ ويجب أن يكون عالماً بمجرى علم الطب وعمله.
٤ ـ وأن يكون كثير العلاج والتجارب، عالماً بالمجازات.
٥ ـ وينبغي أن يكون ديّناً خيّراً، مأمون السيرة.
٦ ـ ويجب أن يكون ثوبه نظيفاً، ورائحته طيبة.
٧ ـ وينبغي أن يكون عارفاً بالعقاقير والأدوية والأغذية.
٨ ـ وأن يكون عالماً بمفردها ومركبها، وجيدها ورديئها.
٩ ـ وأن يكون بصيراً بفصول السنة وأوقات الاعتدال.
١٠ ـ وليعرف المياه والأهوية والبلدان وما يستعمل فيها.
١١ ـ وينبغي أن يكون عارفاً بأحكام النجوم وتسييراتها.
١٢ ـ وأن يعتني بعلم الاختيارات ، لكثرة حاجة الملوك إليها.

نلاحظ أن ابن أبي الربيع يرسم للطبيب أن يكون عالم بدن وعالم نفس وصاحب

---

١ ـ سلوك المالك ورقة ٣٨ ب.

خبرة وتجارب وطيب السيرة قديراً بمهنته بالإضافة إلى أن الطبيب ينبغي أن يكون ذا علم ومعرفة بشتى صنوف العلم الأخرى. وأنا أختتم هذه الفقرة بالسؤال التالي: ماذا يريد مواطن القرن العشرين من الطبيب أكثر من هذا؟ وأقول وأنا أنهي هذا الفصل: إننا وجدنا الفيلسوف العربي وهو يعالج مشكلات الإنسان وكأنه ينظر بعين المعاصرة عبر القرون.

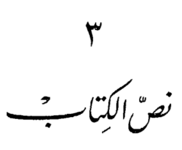
(١٢)

خاتمــــة

أما بعد، فإن هذا هو كتاب «سلوك المالك»، الذي أقدّم نصه محققاً بعد قليل، فيظهر من أقوم النصوص الفلسفية الإسلامية التي عرفناها في إنجازات الفلاسفة العرب.

كما لاحظنا أن مؤلفه، ابن أبي الربيع، الذي قطعنا بتأخره في الزمان، من أفاضل المشتغلين في الفلسفة السياسية ممثلاً لطبيعة الحضارة العربية في أدوارها المتأخرة. وليس من قبيل الزعم أن أعيد ما قلته للباحثين إن الكتاب ومؤلفه يمثلان، في التقدير النقدي، ومن وجهة نظر معاصرة، قيمة علمية خاصة استطعنا في دراستنا الكشف عنها وإعادة تقويمها، إنضاجاً لفكرة تحقيق النص وإخراجه بما يتساوى مع الروح العربية في الدراسات الفلسفية في تراثنا المجيد.

جامعــة بغداد ١٩٨٠ دكتور ناجــي التكريتــي


٣
نصّ الكِتاب

كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك

تاليف الشيخ الامام العالم العلامة [١ أ]

ابي العباس احمد بن محمد

ابن ابي الربيع الحكيم

رحمه الله تعالى

امين

ن

---

(١) ق : كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال والحمد لله على كل حال
تأليف العلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع الفه للخليفة
المعتصم بالله العباسي كما ذكره في الفصل الاول من الكتاب وقد ذكره
صاحب كشف الظنون .

بسم الله الرحمن الرحيم [١ ب]

الحمد لله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم ، وعدّله ورفعه على كثير ممن خلق بالتكريم ، وفضله وامره بمكارم الاخلاق ، تزكية لنفسه التي خلقها فسواها. حيث قال : قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها . وشرفه بمزية العقل ، ووهب له حلية الفضل ، وعرّضه لبلوغ السعادة بادراك الحق . احمده حمداً لا يغادر معروفاً الا استوفاه ، ولا يجاور[١] مخوفاً إلا نفاه ، وأصلي على رسوله محمد الذي أرسله بدين الحق القويم ، فدعا[٢] الناس اجمعين الى صراط مستقيم وجاهد في الله حق جهاده وقام بطاعته حتى وصفه في كتابه القديم ، فقال تعالى : وانك لعلى خلق عظيم . صلى الله عليه ، وعلى آله واصحابه والتابعين له في مكارم اخلاقه ، وشيمه وآدابه . والحمد لله الذي جعل بعد رتبة النبوة اشرف الرتب واعلاها ، واكرمها لديه ، وابهاها[٣] وازلفها عنده ، واحظاها رتبة الخلافة ، اذ كانت عن الله عز وجل ورسوله صادرة ، وبأوامرهما واردة . فنجم الحق منها ساطع الاشراق ، وشهاب العدل وأرى الزناد في الآفاق ، والاسلام في ظلها ممتد الافياء ، والظلال مشرق بنور بهائها في الغدو والآصال .

وبعد فان الذي بعث المملوك[٤] على تأليف هذا الكتاب أمران :

---

١ — س : يجاوز .   ٢ — ب : فدعي .   ٣ — ق : واغاها .

٤ ـ ابن منظور: لسان العرب جـ ١ ص ٤٩١ ـ ٤٩٧، مادة: مَلَك. يذكر ابن منظور جميع الكلمات التي تشتق من كلمة ملك مثل: مَلِك، ملوك، مالك، مليك، ملاك، مُلْك، تَمَلُّك. . . الخ وليس هناك ذكر كلمة: مملوك.

الرازي: مختار الصحاح ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥ مادة: ملك؛ يذكر اشتقاقات ملك ولم تكن بينها =

أما الاول : فانه وقف على كتاب مشجر ، في حفظ صحة البدن مختصر . ولا خفاء [1] على كل ذي فطانة ، ومن به أدنى نظر في العلوم الحقيقية ، ان النفس اشرف من البدن ، فمراعاتها اذا ، واصلاح اخلاقها الصادرة عنها ، وتزكيتها بالعلم والعمل من أهم الأسباب، وأحرى بالتقديم عند ذوي الألباب.

والثاني : ان بعض من أوامره مطاعة مجابة ، وعوارض العوائق [2] عن ملتمساته [3] منحسرة منجابة . من [4] اصطفاه الجناب المقدس وقدمه ورفعه على امثاله وكرّمه ، فحاز بذلك المقام المحمود شرفاً باقياً وحسباً ، واوتي من كل شيء ، فاتّبع من منابع [5] الشيم المرضية سبباً ، واختص بخصائص تهتز لها اعطاف القلوب فرحاً وطرباً :

تجمعت لعـــلاه كل منقبة وهو البليغ اذا ما قال او كتبا

ـــ كلمة: مملوك.

المنجد ص ٧٧٤ ـ ٧٧٥ مادة: ملك؛ كذلك يذكر اشتقاقات ملك ولم تكن بينها كلمة. مملوك.

وقد نظرت مقدمات رسائل الكندي فيلسوف العرب، المعاصر للمعتصم فلم أجده ينعت نفسه بالمملوك. وهذا نموذج لرسالة الكندي في علة اللون اللازوردي الذي يُرى في الجو من جهة السماء ويُظن أنه لون السماء:

«حاطك الله بتوفيقه وسددك بصنعه سألتَ أن أوضح عن علة ما يُرى من اللون اللازوردي من جهة السماء، ويُظن أنه لون السماء... . وقد رسمت لك في ذلك ما ظننته لك كافياً بحسب موضعك من النظر وبحسب فهمك، وبالله توفيقنا وعليه توكلنا».

رسائل الكندي الفلسفية جـ ٢ ص ١٠١.

وكذلك تأملت أغلب مقدمات كتب الجاحظ الذي عاش في صدر العصر العباسي، فلم أجده يصف نفسه بالمملوك، بل هو يبدأ كتبه بأسلوب المقتدر الواثق من نفسه. وكمثل فهو يبدأ هكذا:

«أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك.

اعلم أرشد الله أمرك.... الخ»، وكنموذج آخر للجاحظ. «بعون الله تعالى نقول وإليه نقصد وإياه ندعو وعلى الله قصد السبيل: اعلم رحمنا الله تعالى وإياك».

انظر: الجاحظ: آثار الجاحظ، تقديم عمر أبو النصر. بيروت ١٩٦٩ ص ١٢٥، ص ١٣٦.

فهل أن كلمة مملوك إذن، إشتقاق متأخر؟ لا سيما وقد كانت دولة المماليك قائمة في مصر إبّان سقوط بغداد؟.

١ ـ س : ولا خفا . ٢ ـ س : العوايق . ٣ ـ س : ملتحماته .

٤ ـ ق : ممن . ٥ ـ ق : منابح .

وكم له من معان راق مسمعها ومن فنون خطوط ابدعت عجبا[1] [٢ أ]

أمره ان يمضي ذلك الرأي في انشاء الكتاب المقدم ذكره ، وان يوليه طرفاً من العناية والانصاف ، فجمع بين ما يعتقده من وجوب الاول في انشائه ، الى امتثال طاعة امره بذلك ، وظاهر ان المصنفات الموجودة في هذا الفن ، اعني علم الأخلاق والسير ، وما يتعلق بها تجاوز حدود الكثرة ، وتتشعب انحاؤها[2] وتختلف طرقها، حتى يكاد يتعذر احصاؤها . فتأمل المملوك مّا وجد من الكتب في هذا العلم تأملا شافياً ، وانتزع منها ما كان قابلا للتشجير والتقسيم[3] على ان فوق كل ذي علم عليم، وتحرى[4] فيه الايجاز والاختصار واطّرح

---

١ ـ ولا يقال مثل هذين البيتين في رجل كالمعتصم ولا لخليفة مسلمين في زمن المعتصم، زمن فتوة الدولة العباسية وازدهارها. وإن المعتصم كما هو معروف رجل قوة وحرب، وقد عاش في شباب الدولة العباسية. إن الذي يمدح من الملوك بالبلاغة والمعاني وفنون الخطوط من كان ضعيفاً وفي عهد ضعيف أيضاً، وهذا يصدق على الخليفة المستعصم، وعلى عهده. أما المعتصم فما أحرى بالشاعر أن يقول له:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

٢ ـ س: أنحاوها.

٣ ـ يلاحظ أعلاه أن المؤلف يعترف صراحةً أنه نظر في كثير من كتب (علم الأخلاق والسير) ودرس أصولها وفروعها المتشعبة، كما أنه يقول إن هذه الكتب تجاوزت حدود الكثرة . ونحن نعرف جيداً من ممارستنا لهذا الفن دراسةً وتدريساً، وكما هو معروف ، لكل مطلع على تطور الفلسفة الإسلامية والفلسفة الأخلاقية على وجه الخصوص، أنها تطورت بعد القرن الرابع الهجري، فأبو بكر الرازي ت ٣٢٠هـ في كتابه الطب الروحاني، ويحيى بن عدي ت ٣٦٤هـ في كتابه تهذيب الأخلاق ومسكويه ت ٤٢١هـ في كتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. أقول إنهم يعتبرون من الرواد في الكتابة في فلسفة الأخلاق ، لأن الأخلاق في الفلسفة الإسلامية لم تبلغ القمة إلا على يد الغزالي ت ٥٠٥هـ في كتاباته الموسوعية العميقة في مختلف فروع الفلسفة، لاسيما الأخلاقية منها، بينما نقرأ بوضوح ان ابن أبي الربيع يقول إنه تأمل الكتب وانتزع ما كان قابلاً للتجشير والتقسيم، فهو إذن ـ كما يذكر ـ وجد مادةً ضخمةً في هذا العلم، وكتب كتابه مصنفاً مواد الفصول بطريقة التشجير، والتي لا يمكن أن تكون بدون مادة سابقة، ونحن نعلم جيداً أنه لا توجد ثروة ضخمة في فلسفة الأخلاق قبل القرن الثالث الهجري، وهذا يؤكد بدون أي شك أن المؤلف متأخر بكثير جداً عن عصر المعتصم.

٤ ـ ق. وأجرى.

الأكثر حذر الاضجار ، وجمع فيه بين (١) كلام الحكماء المتقدمين ، والعلماء المتأخرين(٢). وبدأ به مستعيناً بالله تعالى على عمله ، مستمداً من ارشاده وتوفيقه ، وهو عزّ أسمه مؤتيه ذلك بقدرته وطوله ومشيئته ، ومبنى هـذا الكتاب على أربعة فصول :

الفصل الأول في مقدمة هذا الكتاب .
الفصل الثاني في أحكام الأخلاق وأقسامها .
الفصل الثالث في أصناف السيرة العقلية وانتظامها .
الفصل الرابع في أقسام السياسات واحكامها .

---

١ - ق : من .

٢ - جرى العرف عند مفكري الإسلام أنهم عندما - يشيرون إلى (الحكماء المتقدمين) فيعنون : فلاسفة اليونان، وعندما يذكرون (العلماء المتأخرين) فيقصدون: فلاسفة الإسلام.
انظر الفخر الرازي: أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، القاهرة ١٣٢٣هـ .

الفصل الأول

في مقدمــة الكتاب

الواجب على كل انسان الابتداء به ، هو ان يعلم ويعتقد ان لهذا العالم واجزائه صانعاً ، بأن يتأمل الموجودات كلها ، بل لكل واحد منها سبب وعلة أم لا ؟ فانه يجد عند الاستقراء [1] لكل واحد منها سبباً وعلة ، عنه وجد . ثم ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها اسباب أم لا [2] ؟ فانه يجد لها أسباباً ، ثم يتأمل وينظر هل الأسباب ذاهبة الى ما لا نهاية له ، أم هي واقفة عند نهاية ، أم بعض الموجودات اسباب للبعض على سبيل الدور ؟ فانه يجــد القول بأنها ذاهبة الى غير نهاية محالا . ويجد القول بأن بعضها سبب للبعض على الدور محالاً ايضاً ، لانه يــلزم ان يكون الشيء سبباً لنفسه ، فتبقى الأسباب متناهية ، وأقل مايتناهى اليه الكثير هو الواحد . فسبب الاسباب موجود ، وهو واحد ، والعبارة عنه بما وجد السبيل اليه من الألفاظ والأوصاف . فلما أراد العبارة والوصف له ، علم انه لا يلحقه شيء من جميع الأوصاف التي شاهدها وعلمها ، لتفرده بذاته ، ولانه منزه عن كل ما أحسّه وعرفه ، ولم يجد طريقاً

---

١ – س : الاستقرا .

٢ – ق : هل لها اسباب – ايضاً – ام لا (ايضاً زائدة) .

أحسن من ان ينظر في الموجودات التي لديه ، فاذا تأملها وجدها صنفين : فاضل وخسيس ، ووجد الأليق بسبب الاسباب ، وموجدها الواحد الحق ، أن يطلق عليه أفضلها[1]، مثل انه رأى الموجود والمعدوم ،وعلم ان الموجود أفضل من المعدوم ، فأطلق القول عليه بأنه موجود ، ورأى الحي وغير الحي ، وعلم ان الحي افضل ، فأطلق عليه القول بأنه حي[2]. ورأى العليم وغير العليم فأضاف اليه العلم ، وكذلك جميع الاوصاف . والواجب عليه اذا أراد صفته تعالى ، تخطر [3] بباله انه منزه عن ان يشبه تلك الصفة ، بل هو افضل [4] منها واشرف واعلى ، لانه سبب وجود كل صفة وموصوف [5] ، ثم اذا تأمل اجزاء العالم كلها ، وجد افضلها ما هو ذو نفس ، وتجد افضل ذوي الانفس، الذي له الاختيار والارادة والحركة عن روية ، وافضل ذوي الارادة والحركة عن روية ، الذي له النظر البليغ في العواقب، وهو الانسان [6] الفاضل . وان يعلم ان الطبيعة لا تفعل شيئاً عبثاً ولا باطلاً ، فكيف مبدع الطبيعة وموجدها .

والباري تعالى حيث وهب الاختيار والروية والفكر للبرية لم يكن ليهمل امرها ، وكان من الواجب في عدله [7] ان ينهج لها [8] نهجاً تسلكه . وظاهر ان في الناس وعقولهم وقوى أنفسهم تفاضلاً بيّناً ، حتى ان الواحد منهم يفوق بالفن الواحد جميع ذوي جنسه ، ويعجز الباقون عنه ، فاقتضت حكمته ان يجعل فيهم من افضلهم واسطة بينه وبينهم ، يلقي اليه ما ينتظم به امر معاشهم

١ – ق : افضلها .
٢ – س: فأطلق عليه بأنه حي .
٣ – ق : ان يخطر .
٤ – ق : بل وافضل.
٥ – ق : موصوف – ساقطة .
٦ – س:الانساب.
٧ – ق : وكان من عدله .
٨ – ق : لنا .

ومعادهم ، ويقدر على ابلاغهم [1] حتى يقوم بتبليغ ما يلقى اليه ، ويقدر تلك القدرة ، وذلك الالهام على ايضاح السبيل الداعية الى الحق . ثم ينبغي ان يعلم ان المكافأة واجبة [2]، وانها انما تجب في الاعمال المقرونة بالنيات . والدليل على ذلك ، ان المرء لا يجازى على مايعمله في نومه ، ولا على ماليس بارادته واختياره، مثل سعاله وعطاسه ، وحياته وموته ، ولا على اغتذائه واستفراغه ، وان كان فيها بعض الارادة .

وأول ما يستدل به المرء على وجوب المكافأة هو انه اذا عرف ربه ، [٢ ب] واعتقد ما ذكرناه من وحدانيته ونزّهه[3] عن صفات المخلوقين، واهتدى بمعرفته ومعرفة رسوله ﷺ ، وانتهج المنهج الواضح ، وجد في صدره سعة ، وفي احواله استقامة ، ومن الاشرار سلامة ، وعند الاخيار [4] حظوة ، وفي معاشه سداداً بمقدار مايفعله وينويه [5] . فاذا تيقن ذلك ، فينبغي له ان يقدم على سياسة احواله بقلب قوي، ونية صادقة ، وصدر واسع ، ثقة بأن ما يأتيه من ذلك – وان قل – يجدي عليه نفعاً يجل . وينبغي ان يعلم ان الباري جلت [6] قدرته ، خلق [7] الخلائق بحكمته ، فأبدعها ابداعاً ، وجعلها اجناساً وأنواعاً ، على صور مختلفة واشكال متباينة ، وأودعها من السرائر الالهية ، ما أفرد كل واحد منها بصورة مضمنة نوعاً من الحكمة ، يبرزه الفعل [8] الصادر عنها ، نحو

---

١ - ق : من (فاقتضت ... الى... ابلاغهم) ساقطة.
٢ - ق : المكافأة من فضله واجبة .
٣ - ق: وتنزهه، س: وينزهه.
٤ - ق : الاختيار .
٥ - س : وينويه منه (منه) زائدة .
٦ - س : جلب .
٧ - س : خليق .
٨ - ق : العقل .

غاية محدودة ، لايشاركها فيها غيره [1] ، وأشـاع فيها ، مع اختلاف صورها وتباين غايتها ، من نور الربوبية ، ما حرك كلاً منها نحو المبدأ الذي منه كان انبعاثه .

واختص الانسان من بينها ، بأكمل صورة وافضل هيئة فعدّل مزاجه واخلاطه ، وهيأ له آلات [2] الادراك والاحاطة ، وأفاض عليه من فائض جوده وخيره ، ونور جوهريته ، ما استنارت به نفسه ، وأيّد منه جسمه ، فسرت قوته في جميع ما دونه من اصناف الموجودات ، حتى تملكها بطشاً بجوارح جسده [3] ، وأحاط بتعارف نفسه المشتملة على معانيها وأسبابها ، على معرفة جوهر كل واحد منها وماهيته .

ولما كان غرضنا في هذا الكتاب ، الإبانة عن الكمال الخاص بنوع الانسان ، الحاصل له [4] باستعمال الفضائل المأمور بها ، واجتناب الرذائل المنهى عنها ، احتجنا [5] الى ذكر القوى المنبعثة بالفيض الاول ، وما فيها من الفضائل التي من [6] شأنها ان تظهر في هذا العالم الى نفس طاهرة وطبع زكي وعقل نقي من دنس الآراء [7] والمذاهب الزائغة عن الحق ، فتتولى [8] تدبير العالم وتسوس [9]

---

١ ـ ق : غيرها .
٢ ـ ق : آلة .
٣ ـ س : جنده .
٤ ـ ق : (له) ساقطة .
٥ ـ س: احتجنا .
٦ ـ ق : الى شأنها (من) ساقطة .
٧ ـ س : الآرا .
٨ ـ س : فنقول .
٩ ـ ق : وتسويس .

أهله بالدين القيم ، والسنة العادلة ، وتخلصهم [١] من ايدي المتسلطين عليهم ، الذين من شأنهم ابطال آثار الآراء[٢] الشرعية ، وازالة رسوم الرئاسات المدنية ، فترتب [٣] الناس مراتبهم ، وتصنفهم [٤] تصنيفاً يعرف كل أمرىء [٥] مقامه ، ويقف عند الذي حدّ له أمامه ، وينجع [٦] بالطاعة لمن فوقه [٧] ، ولا ينزع الى المنافسة لمن علاه في القدر والسياسة ، فتجري[٨] الأمور الى غاياتها التي حددتها الحكمة الالهية والشرعة النبوية ، والعادات العقلية ، وتأمن العباد وتعمر البلاد ، وتطرد الرئاسات بأجمعها منقادة لرئاسة واحدة ورئيس واحد .

وهذا الانسان في اكمل المراتب الانسانية ، وفي اعلا درجات السعادة الابدية ، واستحقاقه ذلك باجتماع هذه الفضائل فيه ، وهي : [٩] [٣ أ]

الأولى [١٠] : ان يكون له قدرة على جودة التخيل ، لكل ما يعمله من اعمال السعادة .

الثانية : ان يكون صحيح الاعضاء ، تواتيه على ما يريده من اعمال بدنية [١١]

---

١ ـ ق : وتخليصهم .
٢ ـ س : الآرا .
٣ ـ ق : فيرتب .
٤ ـ ق : ويصنفهم.
٥ ـ ق : امرء ، ب : امرى .
٦ ـ ق : وينخع .
٧ ـ ق : لمن فوق لمن (لمن) زائدة .
٨ ـ س : فيجري .
٩ ـ س: وهي هذه(هذه) زائدة.
١٠ ـ س : يستعمل الحروف الابجدية أ ب ج ... الخ ولكن احبذ ان تكون الاولى الثانية ... الخ . لا سيما وان الصفحات التالية من الكتاب تستعمل : الاولى الثانية ... الخ .
١١ ـ ق : الاعمال البدنية .

الثالثة : ان يكون جيد الفهم والتصور لما يقال له ، عالماً بكتاب الله ، عاملاً به .

الرابعة : ان يكون جيد الحفظ لما يراه ويسمعه ، ولا ينس ما يدركه من العلم .

الخامسة : ان يكون جيد الفطنة ذكياً[1] اذا رأى على الشيء أدنى دليل فطن له.

السادسة : ان يكون حسن العبارة ، يواتيه لسانه على ابانة جميع ما في ضميره .

السابعة : ان يكون محباً للتعلم والاستفادة ، منقاداً سهل القبول ، لا يؤلمه تعب التعلم .

الثامنة : ان يكون محباً للصدق واهله ، كارهاً للكذب واهله ، طبعاً لا تكلفا .

التاسعة : ان يكون غير شره على الشهوات ، مبغضاً لما ساءت عاقبته من اللذّات .

العاشرة : ان يكون كبير النفس ، محباً للكرامة ، يعظّم نفسه عن كل ما يشين من الامور .

الحادية عشر : ان يكون محباً للعدل والصدق واهلهما ، مبغضاً للجور والكذب واهلهما ، منصفا من نفسه .

الثانية عشر : ان يكون قوي العزيمة على ما يبتغي ، غير خائف من الموت ، ولا ضعيف النفس .

الثالثة عشر : ان يهون عنده الدينار والدرهم ، وسائر الاعراض الدنياوية[2] الفانية .

---

١ ـ س : ذكا

٢ ـ نسبة إلى الدنيا: دنياوي؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة: دنا جـ ١٤ ص ٢٧٢.

فان تفرّد ببعض هذه [1] الخصال [2] من [3] هذا العالم ، انتشرت محاسنه في أطراف مهاد الأرض ، وشاع جميل ذكره في اكنـــاف السبع الشداد ، في الطول والعرض ، فمتى اقتضت العناية الأزلية ابداع[4] نسمة يسمو[5] قدرها ، ويمز [6] وصفها ، لنظم [7] هذه الحواس في سلك جواهرها الشريفـــة [8] ، ومخايلها[9] الكريمة ، وانخراط هذه الدرر في عقد عقائدها الصحيحة ، وخواطرها السليمة ، تداعت أسباب الاقبال لاجتماعها ، وتعاطت السعادة عنـــد القبول لاتباعها ومتى وقعت [10] خواطره لحماية حوزة ، ساعدتـــه الأقدار ، واذا اهتمت افكاره بارتفاع دهماء [11] لا تعتريه الاخطار.

ومن سعادة أهل هذا الزمان[12] ، ان امامهم ومتقلد سياستهم ، ومدبر ملكهم ، من هو مجمع المحاسن المذكورة ، ومعدن الفضائل المشهورة . ومن جمع هـذه المحامد المشكورة من جاد الزمان ببقائه على الدين وذويه ، ومنّ الدهر بوجوده على الاسلام وبنيه . وهو سيدنا ومولانا ومالكنا ، خليفة الله في العباد ، والسالك

---

١ – ق : بعض بهذه .
٢ – س : (فان تفرد ببعض هذه الخصال من هذه الخصال) ونرى استقامة المعنى في ان يكون : فان تفرد ببعض هذه الخصال او فان تفرد ببعض من هذه الخصال ، او ان تبقى الجملة كما هي مفيدة المعنى رغم ركاكة الصياغة .
٣ – أي : في هذا العالم .
٤ – ق : أيداع .
٥ – س : يسموا .
٦ – س : ويمز .
٧ – ق : نظم .
٨ – ق : لنظم هذه الجواهر في سلك حواسها الشريفة .
٩ – ق : مخالها .
١٠ – ق : وفقت .
١١ – س : دهماً .
١٢ – ق : ومن السعادة لأهل هذا الزمان .

سبيل الرشاد ، المستعصم [1] بالله امير المؤمنين ، نجل الخلفاء الراشدين ، والائمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون . الذي اجتمعت فيه الخصال الموجبة للخلافة والامامة مؤاتات الطبع لقبول [2] الفضائل واستعمالها في مواضعها ، واظهارها في نفسه اولاً ، ثم [3] في سائر اهل مملكته ، شريفها ودنيئها ، عالمها وجاهلها ، كل واحد منهم على حسب ما توجبه طبقته ، فعمّر الدنيا وحصنّها ، ونشر عدله فيها وامنها . وتتبع المعروف فأيده واقامه ، [٣ ب] والمنكر فدحضه وقوض خيامه[4] . وسمت همته في الطاعات ، وانتهت الى اقصى الغايات . فقد خضعت له الامم ، وانقادت له الممالك ، وخنع [5] له الاعداء [6] وذلت له السادات . ورضيت برياسته الملوك ، وسكنت الحروب ، وائتلفت القلوب [7] ، وكسل الجهل وقامت سوق [8] العلم ، وانتشر العدل وزال الظلم [9] ، واتفقت الآراء واستقامت [10] الأمور وبطل الاختلاف، ولزم

س : ومن سعادة اهل الزمان . (هذا) من اضافة المحقق .

١ – ق : المعتصم .

– كلمة (المستعصم) واضحة جداً في مخطوطة باريس . ولا بد ان الناسخ في مخطوطة (ق) هو الذي اخطأ في نسخ الاسم . وهنا يحل الاشكال القائم ويثبت اثباتاً قاطعاً ان الكاتب كتبه للمستعصم وليس للمعتصم . والبراهين العلمية التي اوردناها في المقدمة والتي تذهب الى ان المؤلف كتب الكتاب للمستعصم واضحة .

٢ – ق : لقول .

٣ – س : (ثم) ساقطة .

٤ – س : وفض ختامه .

٥ – ق . نخع ، س : نجع . ويستقيم المعنى مع الكلمة التي ثبتناها .

٦ – س : الاعدا .

٧ – س : واتلفت العلوب .

٨ – س . سيوق .

٩ – س : الخوف .

١٠ – س . اسبعامت .

كل حظه [1] ووقف على ظله . وعرف مقـــداره . فالرئيس يأمر وينهي ، والمرؤوس يسمع ويطيع . وانما التأم ذلك كله بتيقظه . خلد الله ملكـــه . واستفراغه وسعه في مصالح الخلق ، واستعمال همته الشريفة في تشييد الحق ، وحسن سياسة مملكته وتدبيره رعيته ، ومراعات اسبابها ، فهو بذلك منصف لها من نفسه ، ولبعضها من بعض ، وان امرءاً كان من شجرة الرسالة [2] منزعة ومن [3] بحبوحة الأمانة مربعة ، ومن اسرة النبوة مخرجة ، لخليق ان يكون لرضى الله حائزاً ، وبالزلفى لديه فائزاً ، وبالنعماء [4] منه مغموراً ، وبالحسنى منه مشمولاً . وهذا ما انتهى اليه وسع الملوك من نعت شيمه واخلاقه وكرمه وطيب اعراقه ، اذ اكثرها [5] يضيـــق عن وسعه باع الكلام وتعجم السنة الاقلام كما قيل شعراً [6] .

لا احمل اللوم فيها والغرام بها ما [7] كلف الله نفساً فوق ما تسع

جعل الله تعالى طول مدته وافياً على عرض الدنيا ، وظل دولته ضافيـــاً كالسماء العليا [8] ، وهَنَّأَهُ بهذه الهبة [9] ، وبارك له في هـــذه النعمة حتى يملأ الخافقين عدلاً شائعاً ، كما ملأهما فضلاً بارعاً ، ويعم المشرقين فعلاً جميلاً ، كما

---

١ – س : لحظة .
٢ – « : الرياسة .
المعنى يؤدي مفهومه في الكلمتين ولكنه ما استعمل كلمة (شجرة) فالرسالة تكون اقرب معنى في السياق .
٣ – ق : وفي.
٤ – « : النعماء .
٥ – « : اكثرها .
٦ – « : شعر .
٧ – « : لا .
٨ – س : هاويا بالسموات العلي .
٩ – س: الموهبة .

عمها طولاً جزيلاً ، ممنماً بأركان حفدته ، مبلغاً . فيهم كل مأمول ومروم مع [1] طول العمر والسلامة [2] من حوادث الزمـــان وغيره انه جواد كريم .
وقد آن ان نأتي بما وعدنا به ان شاء الله تعالى ، ونسأل الله التوفيق والهـداية الى سواء الطريق بمنه ولطفه وكرمه ..

---

١ — س : (مع) ساقطة .
٢ — « : وسلامة .

الفصل الثاني

في أحكام الأخلاق وأقسامها

قد ثبت[1] بالبرهان الصادق ان الانسان من بين سائر الحيوان ذوفكر وتميز[2]، فهو ابداً يختار من الأمور افضلها، ومن المراتب اشرفها، ومن المقتنيات أنفسها، اذا لم يعدل عن التمييز في اختياره، ولم يغلبه هواه في اتباع اغراضه. واولى ما اختاره الانسان لنفسه، ولم يقف دون بلوغ غايته، ولم يرضى بالتقصير عن نهاية تمامه وكماله، ان يكون[3] مرتاضاً بمكارم الاخلاق ومحاسنها متنزهاً عن مساوئها ومقابحها، آخذاً في جميع أحواله بقوانين الفضائل، عادلاً في أفعاله

١ – س: بمت

٢ ـ نلاحظ تشابه التعريفين بين ابن أبي الربيع وبين يحيى بن عدي، الذي يقول: «إن الإنسان من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز» تهذيب الأخلاق ٤٧ ب. كذلك مسكويه الذي يقول: «إن الإنسان ذو فضيلة يتميز بها من سائر الحيوان» تهذيب الأخلاق ص ٦٨.

بقي أن نقول إذا كان ابن عدي ومسكويه قد نقلا عن كتاب (سلوك المالك)، فلا بد أن يكون متداولاً في دوائر المفكرين. وهل من المعقول أن يكون الكتاب موجوداً ولا تدرسه أو تناقشه مدرسة السجستاني الفلسفية التي كانت تناقش في جلساتها جميع فروع المعرفة؟ وهل من الممكن أن يفوت على أبي حيان التوحيدي ولا يذكره، وهو مؤرخ مدرسة السجستاني في كتابه (المقابسات) والذي كان يذكر عنهم كل شيء خيرهم وشرهم، وهو الذي لم يفته أن يطلع على كتابات إخوان الصفا بالرغم من أنهم في البصرة وأن جماعتهم كانت سرية.

أنظر: المقابسات ص ٤٥ ـ ٤٦.

٣ ـ ق: تمامه وكماله (اذ هو من تمام الانسان وكماله يكون ... الخ الجملة زائدة.

عن طرق الرذائل . واذا كان ذلك كذلك ، فقد وجب عليه ان يجعل قصده اكتساب كل شيمة سليمة من المعائب ، ويصرف همته في اقتناء[1] خيم[2] كريم خالص من الشوائب ، وان يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة ، ويستفرغ[3] وسعه في اطراح كل خلة مذمومة ، حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ، ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله ، فانه اذا حاسب نفسه وأجاد فكره، علم ان الضرر في مساوىء الاخلاق اكثر من النفع، وان الذي يعده منه نفعاً[4] ،وليس هو [٤ آ] . [٤ أ]

نفعاً على الحقيقة ، بل[5] هو يسير جداً غير باق ولا مستمر ، وان هذا اليسير الذي يعده نفعاً لا يفي بالضرر الكثير والعار الدائم المتصل . ويعلم ايضاً ان الشرور والخبث يجلبان عليه[6] الشر ، ويوحشان منه الناس . ألا ترى ان من تشرر قصده الناس بالشر ، واستعدوا لأذيته ، واحترزوا منه ، وكرهوا نفعه ، وحظروا عليه وجوه الخير ؟ فقد بان بما ذكرنا فضيلة الخلق الجميل ورذيلة ضده .

فأما مراتب الناس في قبول هذا الأدب ، الذي سميناه خلقاً ، والمسارعة الى تعلمه ، والحرص عليه ، فانها كثيرة ، وهو يشاهد ويعاين فيهم[7] ، وخاصة في الأطفال ، فان اخلاقهم تظهر فيهم منذ مبدأ نشوئهم[8] ، ولا يسترونها بروية ولا فكر ، كما يعمل الرجل التام ، الذي انتهى في نشوئه[9] وكماله ،

---

١ — س : اقتنا

٢ — د : جسم ، (خِيمٌ ، معناها خلق) ابن منظور: لسان العرب جـ ١٢ص١٩٤ ، مادة :خيم .

٣ — د : ويسفرع . نلاحظ ان ناسخ مخطوطة باريس يهمل كثيراً من النقاط

٤ — ق : (منه) ساقطة .

٥ — ق : (بل) ساقطة .

٦ — ق : غلبة .

٧ — ق : وهي تشاهد وتعاين فيهم

٨ — ق : نشوهم

٩ — ق : نشوة

الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح منه ، فيخفيه بضرب من الحيل والافعال المضادة لما في طبعه . وأنت تتأمل من اخـــلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب أو [1] نفورهم عنه ، وما يظهر في بعضهم من القحـة ، وفي بعضهم من الحياء . و كذلك[2] ما يرى فيهم من الجود والبخل، والرحمة والقسوة، والحسد وضده ، الى سائر الأحوال المتفاوتة ، ما تعرف [3] به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة ، وتعلم منه [4] انهم ليسوا على مرتبة واحـدة ، وان فيهم المواتي والممتنع ، والسهل السلس[5]، والفظ العسر ، والخير والشرير، والمتوسط بين هذه الأطراف ، في مراتب لا تحصى كثيرة . وإذا اهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم ، نشأ كل انسان على سوء [6] طباعه ،وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها في الطفولية ، وتبع ما وافقه بالطبع ، أما الغضب وأما اللذة ، وأما الدعارة [7] وأما الشره .

فينبغي ان نقول الآن في الحيلة التي يمكننا بها ان نقتني الاخلاق الحسنة [8] . فاقول انه اولاً يجب أن [9] نحصي الاخلاق خلقاً خلقاً ، ونحصي الأفعال الكائنة عن خلق خلق . ومن بعد ذلك ننظر ونتأمل أي خلق نجـــد أنفسنا عليـــه ، وهل ذلك الخلق الذي اتفق لنـــا منذ اول أمرنا جميل أو قبيح ، والسبيل الى الوقوف على ذلـــك ، ان نتأمل أي فعل اذا فعلناه لحقنا من ذلك الفعل لذة ، وأي فعل فعلناه[10] نتأذى به ، فاذا وقفنا عليه ، نظرنا الى ذلك الفعل ، أهو فعل يصدر[11] عن الجميل ، أم هو صادر عن الخلق

---

١ – ق : و
٢ – س : ولد لكك
٣ – « : يعرف
٤ – « معه
٥ – س، ق: والسهل (و) السلس، (الواو) زائدة.
٦ – ق : شؤم
٧ – « : الذعاره
٨ – « : الجميلة
٩ – « : يجب اولاً
١٠– « : اذا فعلناه (اذا) زائده
١١– س . يصدر لا يصدر (يصدر) متكررة

القبيح ؟ فان كان ذلك كائنا عن خلق جميل، قلنا ان لنا خلقاًما (١) جميلاً، وان كان ذلك كائناً عن خلق قبيح، قلنا ان لنا خلقاً ما قبيحاً. فبهذا الوجه نقف على الخلق الذي نصادف أنفسنا عليه أي خلق هو . وكما ان الطبيب متى وقف على حال البدن بالأشياء التابعة (٢) لاحواله ، نظر ان (٣) كانت الحال التي صادفه عليها حال الصحة احتال في حفظها على البدن، وان كان ما يصادف عليه البدن حال سقم ، اعمل الحيلة في ازالته عنه . كذلك متى صادفنا انفسنا على خلق جميل ، احتلنا في حفظه عليها (٤) وان صادفناها على خلق قبيح استعملنا الحيلة في ازالته عنها (٥) ، فان الخلق القبيح سقم نفساني . فينبغي ان نحتذى في ازالة (٦) اسقام النفس ، حذو الطبيب في ازالة اسقام البدن .

[٤ ب] ثم ننظر(٧) بعد ذلك الخلق القبيح، الذي صادفنا أنفسنا عليه، هل هو من جهة الزيادة أو النقصان؟ وكما أن الطبيب أيضاً متى صادف(٨) أزيد حرارةً أو أنقص، رده إلى التوسط من الحرارة، بحسب الوسط المحدود في صناعة الطب. كذلك متى صادفنا أنفسنا على الزيادة أو النقصان في الأخلاق، رددناها(٩) إلى الوسط المحدود في هذا الكتاب. ولما كان الوقوف من أول وهلة على الوسط عسراً جداً، التمسنا(١٠) الحيلة في إيقاف الإنسان خلقه عليه، والقرب منه جداً. وذلك أن ننظر الخلق

١ - ق : جميلاً ما
٢ - ق : البالغة .
٣ - ق : فان .
٤ - ق : (عليها) ساقطة .
٥ - ق : عنا .
٦ - س: ازلة .
٧ - ق : ينظر .
٨ - ق : صادف (البدن) زائدة .
٩ - ق، رددها.
١٠ . ق:التمسنا.

الحاصل لنا ، فإن كان من حيث[1] الزيادة ، عودنا أنفسنا الأفعال الكائنة عن ضده ، الذي هو من جهة النقصان وإن كان من حيث النقصان ، عودناها الأفعال الكائنة عن ضده ، الذي هو من جهة الزيادة[2] «ونديم ذلك زماناً ، ثم نتأمل وننظر أي خلق حصل ، فإن الخلق الحاصل لا يخلو من ثلاثة أحوال وهي :

١ ــ أما الوسط [3]   ٢ ــ والمائل عنه   ٣ ــ والمائل اليه

فان كان الحاصل هو القرب من الوسط فقط من غير ان يكون قد جاوز الوسط الى الضد الآخر ، دمنا على تلك الأفعال بعينها زماناً آخر إلى ان ينتهي الى الوسط ، وان كان قد جاوز [4] الوسط إلى الضد الآخر ، عدنا وفعلنا [5] الخلق الأول ودمنا عليه [6] . ثم نتأمل وبالجملة كلما وجدنا أنفسنا مالت إلى جانب ، عودناها الجانب الآخر ، ولا نزال نفعل ذلك حتى نبلغ الوسط أو نقاربه جداً .

ولما كان غرضنا في هذا الفصل من هذا الكتاب ، بيان السعادة الخلقية ، وان تصدر عنها [7] الأفعال جميلة كما قدمناه وجب ان نقول قولاً نبين [8] به ما الخلق ، وما سبب اختلافه في الناس ، وما المرضي منه ، المغبوط صاحبه

---

١ ـ س : حسث .
٢ ـ س : (النقصان وان كان ... هو من جهة الزيادة) ساقطة.
٣ ـ الترقيم ١ ـ ٢ ـ ٣ ... الخ هو من اضافة المحقق ، هنا وكذلك في الصفحات القادمة من الكتاب .
٤ ـ ق : وان كان الوسط قد جاوز (الوسط) زائدة .
٥ ـ ق : ففعلنا .
٦ ـ ق : ودمنا عليه (زمانا) زائدة .
٧ ـ « : عنا .
٨ ـ « : يتبين ، س ببين .

والمتخلف به ، وما المشين [١] الممقوت فاعله والمتوسم به .

[٥ أ] ونفع هذا الكتاب يشمل ثلاث طبقات من الناس وهم [٢] :

الطبقة الأولى : تشمل من كانت له عيوب كثيرة ويظن [٣] انه كامـــل . ووجه [٤] منفعته انه اذا تكرر عليه الاخلاق المذمومة تيقظ لها ، وأنف لنفسه منها ، فربما سلك الصواب [٥] .

الطبقة الثانية : تشمل من حصل له بعض الفضائل [٦] واعوزه بعضها ، فهو متوسط . ووجه [٧] منفعته : انه اذا وقف على محاسن الأخلاق تاقت نفسه الى ما أخل به منها فتبعه واستعمله .

الطبقة الثالثة : تشمل من هو في غـــاية الكمال ، بعيداً [٨] من المعائب . ووجه [٩] منفعته : انه اذا مر بسمعة ذكر الأخلاق الجميلة ، رأى انهـــا سجاياه [١٠] فالتذ [١١] بذلك لذة عظيمة ويزيد [١٢] منها بحسب لذته[١٣].

فنقول ان الخلق حال للنفس داعية[١٤] الى أفعالهـــا من غير فكر[١٥]

---

١ ـ ق : المثنى .
٢ ـ س : وهم (هؤلاء) زائدة .
٣ ـ ق : وهو يظن (هو) زائدة .
٤ ـ س : وجه (واو) ساقطة .
٥ ـ س : يتقض للصواب (يتقضى) غير مفهومة .
٦ ـ س : (الفضائل) ساقطة .
٧ ـ س : وجه (واو) ساقطة .
٨ ـ ق : بعيد .
٩ ـ س : وجه (واو) ساقطة .
١٠ ـ س : شجاياه .
١١ ـ س : والتذ .
١٢ ـ س : ويزايد .
١٣ ـ أما يحيى بن عدي فيرى أن الفضائل المحمودة قلما تجتمع في إنسان واحد، والمعايب المذمومة قلما يوجد إنسان يخلو من جميعها، ولذا فعلى كل إنسان أن يتفقد أخلاقه ، ويتأمل عيوبه، ويجتهد في إصلاحها ويتبع الأخلاق المحمودة: انظر تهذيب الأخلاق ورقة ٧٥ ب .
١٤ ـ ق : داعية لها (لها) زائدة .
١٥ ـ ق : من فكرة (غير) ساقطة .

وروية . وينقسم هذه الحال [1] قسمين :

١ – منها [2] ما يكون طبيعياً [3] من أصل الخلقة كمن يحركه أدنى شيء نحو الغضب ، وكمن يجبن من ايسر شيء ، كالذي يفزع من أدنى خوف .

٢ – ومنها [4] ما يكون مستفاداً بالعادة مبدأ ذلك بالفكر والروية .

ثم يستمر عليه اولاً فأولاً ، حتى يصير عادة وملكة يقارب الطبيعي .

واعلم أن لكل شخص قوتين عقلية[5] وبهيمية . ولكل واحدة منها إرادة [٥ ب] واختيار ، وهو كالواقف بينهما . ولكل واحدة منهما نزاع غالب . فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة الشهوية . ونزاع القوة العقلية [6] – اعني النطقية – نحو العواقب المحمودة ، وأول ما ينشأ الانسان يكون في عداد [7] البهائم ، الى ان يتولد فيه العقل أولاً فأولاً وتقوى فيه هذه القوة . فالقوة البهيمية اذا أغلب [8] ، وكل ما كان اغلب كانت الحاجة الى اخماده وتوهينه ، وأخذ الأهبة له [9] أشد ، فواجب على كل من يروم نيل فضيلة ان لا يتغافل عن تيقظ نفسه في كل وقت ، وتحريضها على ما هو أصلح لها ، وان لا يهملها ساعة واحدة ، فانه متى اهملها وهي حية – والحي متحرك – لم يكن لها بد

---

١ – ق : وينقسم هذا (الحال) ساقطة .
٢ – « : (منها) ساقطة .
٣ – س : طبيعاً .
٤ – ق : (ومنها) ساقطة .
٥ – « : عاقلة .
٦ – « : العاقلة .
٧ – س: عدد .
٨ – ق : البهيمية اذن اغلب عليه .
٩ – س : اليه .

من ان تتحرك نحو الطرف البهيمي . واذا تحركت نحوه تشبثت ببعض منه حتى اذا اراد ردها عما تحركت نحوه لحقه من النصب اضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها ..

والمرء لا يخلو في جميع تصرفاته من ان يلقى امراً محموداً أو مذموماً وله في كل واحد من الأمرين فائدة تمكنه استفادتها [١] ، ويجد في كل واحد منهما نفعاً يمكنه جذبه الى نفسه ، ويصادف في كل واحد منهما موضع رياضة لنفسه ، وهو ان يحتال للتمسك بذلك الأمر المحمود الذي يلقاه [٢]، ان وجد السبيل الى التمسك به ، او يتشبث بالتمسك به متى [٣]وجد الفرصة لذلك، وهو لا شك واجد السبيل الى احد هذه السبل الثلاث .

واذا تلقاه الأمر المذموم فليجتهد في التحرز منه ، والتباعد عنه ، وان لم يجد الى ذلك سبيلاً – وهو واقع فيه – فليبالغ في نفيه[٤] بغاية ما امكنه،فان لم يمكنه التبري منه ، فليعزم على نفسه ،انه اذا [٥] تيسر له الخلاص منه لا يعود الى اسبابه . وليقبح الى نفسه دواعي ذلك الأمر ولينبهها عن[٦]الاعتبار لمن[٧] نالهم مضار مثلها ، فقد ظهر ان المرء تصادف احواله خيرها وشرها ، موضع الرياضة [٨] لنفسه والاصلاح لاخلاقه .

وقد اجمعت الفلاسفة على ان جميع الفضائل[٩] التي لا تحتاج في اقتناء كمال

---

١ ـ س : ان استفادها .
٢ ـ ق : يلقاه (او يجد فيه) زائدة .
٣ ـ ق : متى ما (ما) زائدة .
٤ ـ « : في نفه (عن نفسه) زائدة.
٥ ـ س : اذ .
٦ ـ ق : على .
٧ ـ ق : بمن .
٨ ـ س : الزيادة .
٩ ـ ق : اجناس الفضائل (اجناس) زائدة .

النفس الى غيرها مجتمعة في أربعة أصول ، يتفرغ منها فروع كثيرة وسيأتي [١] ذكرها [٢] وهي [٣] .

١ – الحكمة هي [٤] علة صحـة الفكر والروية والتميز في سائر الأشيـاء ، قوامها في القوة الفكرية .

٢ – العفة هي [٥] علة الورع وضبط النفس عن الشهوات المؤذية الفانيـة ، وقوامها في [٦] القوة الشهوانية .

٣ – الشجاعـة هي [٧] علة الاقـدام ، وان لا ينهزم المرء [٨] عند الشدائد والمخاوف ، وقوامها في القوة الغضبية ...

٤ – العدالة هي علة صحة الأفعال، ووضعها في موضعها اللائق بها،وقوامها في اعتدال هذه القوى[٩]. [٦ أ]

---

١ – ق : وسيأتي (واو) زائدة .
٢ – ق : ذكرها (انشاء الله تعالى) زائدة .
٣ – س . وهي هذه(هذه) زائدة .
٤ – ق . وهي (واو) زائدة .
٥ – ق . وهي .
٦ – ق . وقوامها القوة (في) ساقطة .
٧ – ق . وهي .
٨ – ق . (المرء) ساقطة .
٩ – نلاحظ أن ابن أبي الربيع يبدأ في أول الفقرة فيقول: أجمعت الفلاسفة على أن جميع الفضائل. . . الخ.

ومن المناسب ذكره هنا أن الفيلسوف أفلاطون هو الذي قال بالفضائل الأربع وخصص لها الكتاب الرابع من جمهوريته، إذ أنه بحث الفضائل الأربع بحثاً مستفيضاً، فبعد أن قسم قوى النفس إلى ناطقة وغضبية وشهوانية، جعل لكل قوة فضيلة ، فالحكمة فضيلة القوة الناطقة ، والشجاعة فضيلة الغضبية، والعفة فضيلة الشهوانية، ثم أضاف فضيلة رابعة هي فضيلة العدالة لتوازن قوى النفس الثلاث وتتحقق السعادة . انظر أفلاطون: الجمهورية؛ الكتاب الرابع.

ومع أن أرسطو لم يتقيد بالفضائل الأفلاطونية الأربع، ولكنه مع هذا بحثها ضمن الفضائل الأخرى التي عالجها في كتابه الأخلاق النيـقوماخية.

يعرف أرسطو الحكمة بأنها أتم أشكال المعرفة «الكتاب السادس فقرة ١١٤١ أ» =

والمعاني المحتاج الى معرفتها قبل ذكر ما نحن ذاكروه اربعة وهي[1]..

١ – المعنى المسمى خيراً هو الأمر المطلوب [2] لذاته
٢ – المعنى المسمى شراً هو الامر المعروف عنه [3] لذاته
٣ – المعنى المسمى نافعاً هو السبب المؤدي الى الخير
٤ – المعنى المسمى ضاراً هو السبب المؤدي الى الشر

= والشجاعة عنده وسط بين التهور والجبن «الكتاب الثالث فقرة ١١١٥ أ»
والعفة وسط بين الجمود والفجور «الكتاب الثالث فقرة ١١١٧ ب»
أما العدالة فيعرفها بأنها الحالة التي نفعل بها الأشياء بصورة عادلة. ولمزيد من التفصيل في موضوع العدالة انظر : «الكتاب الخامس من الأخلاق النيقوماخية»

ومن الفلاسفة الإسلاميين الذين عالجوا هذه الفضائل الأربع، نرى يحيى بن عدي، وهو يعرف كثيراً من الفضائل فيقول: «إن فضائل النفس الناطقة: اكتساب العلوم والآداب، وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش، وقهر النفسين الأخريين وتأديبهما، وسياسة صاحبها في معاشه ومكسبه ومروءته وتحمله، وحث صاحبها على فعل الخير، والتودد والرقة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة، وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة. «تهذيب الأخلاق ٥٨ أ».

أما الشجاعة عنده فهي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، والإستهانة بالموت. وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس، وهو بالملوك وأعوانهم أليق وأحسن. بل ليس بمستحق للملك من عدم هذه الخلة فأكثر الناس أخطاراً وأحوجهم إلى اقتحام الغمرات هم الملوك، فالشجاعة من أخلاقهم الخاصة بهم «تهذيب الأخلاق ٦٥ ب – ٦٦ أ».

أما العفة فهي ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الإكتفاء بما يقيم أود الجسد، ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف والتقصير في جميع اللذات وقصد الاعتدال، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب، المتفق على ارتضائه، وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرس النفس والقوة أقل منه. وهذه الحال هي غاية العفة. «تهذيب الأخلاق ٦٠ ب».

أما العدل فيعرفه ابن عدي: وهو التقسط اللازم للاستواء، وهو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير «تهذيب الأخلاق ٦٧ أ ب».

أما مسكويه فيقول: فلذلك أجمع الحكماء أن أجناس الفضائل أربعة وهي الحكمة والعفة والشجاعة، والعدالة. «تهذيب الأخلاق ص ١٦».

١ - س . وهي (هذه) زائدة .
٢ - ق . المرغوب فيه .
٣ - ق : المرغوب .

ونقول انه مهما[1] اختلف الفلاسفة الاقدمون المشهورون فيما اختلفوا فيه من أمر النفس ، فلم يختلفوا ان لها قوى ثلاثا ، من فكرة وشهوة وغضب ، بل كلهم متفقون على ذلك. والحق انه ليس الأمر الذي يفكر منها هو الذي يشتهي أو يغضب ولا بالعكس [2] . هذا وان كانت النفس التي تفعل الأفاعيل ثلاثتها واحدة [3]. فليست [4] تفعل ذلك بقوة واحدة، بل بقوى ثلاث مختلفة، تفكر بواحدة وتشتهي بأخرى وتغضب بأخرى [5]. والمثال في ذلك انا نقول في العين انها تبصر من غير ان يكون كلها الذي يبصر ، بل ناظرها وحده . ونقول ان ناظر العين يبصر من غير ان يكون كله الذي يبصر ، بل الانسان الذي فيه ، فكذلك انه ليست النفس بجملتها تشتهي وتفكر وتغضب ، بل قوى منها معروفة ، تنفرد كل واحدة بواحدة ، وهي [6].

١ – القوة الفكرية : وهي العاقلة الفكرية ومسكنها الدماغ ، واحد قواها الفهم الفارق بين الحق والباطل ، والأدب يحركها نحو افعالها الصالحة ، وغرضها الحق ، وبها يكون الفكر ويختص بها الانسان .

فان اعتدلت : فصاحبها يوصف بجودة العقل ، وصحة الفكر والتمييز.

وان خرجت عن الاعتدال ، فاما الى :

أ – الزيادة : فانه يوصف بالمكر والخبث .

---

١ – س . ما .

٢ – س . ولا بالعكس . ثم وضع بعدها (وفي باقها) فالكلمة غير مقروءة والمعنى يستقيم بدونها .

٣ – ق . من (يفكر منها هو الذي ... واحدة) ساقطة . وذكر بدلاً عنها (يذكر عنها واحداً) .

٤ – س: فليس.

٥ – ق . بادنى .

٦ – س . وهي هذه (هذه) زائدة .

ب – أو النقصان : فانه يوصف بالبلادة والعي .

(٢) القوة الغضبية : وهي الحيوانيـة السبعية ومسكنهـا القلب ، ويشارك الانسان بها الحيوان ، وأحد قواها حب الغلبة والرياسـة ، وبها يدفع مـا لا يوافق بدنه ونفسه .

فان اعتدلت : فصاحبها يوصف بالشجاعة والفروسية وقوة القلب .

وان خرجت عنه ، فاما الى [١] :

أ – الزيادة : فانه يوصف بالتهور وكثرة الغضب .
ب – أو النقصان : فانه يوصف بالجبن وضعف النفس .

(٣) القوة الشهويـة : وهي المغذية النباتية ومسكنها الكبد، ويشارك بها الحيوان والنبات [٢] ، وبها يبقى التناسل والأدب يكسبها السكون ، وبها يطلب الموافق من الأغذية .

فان اعتدلت فصاحبها يوصف باعتدال الشهوة في المآكل والمشارب .

وان خرجت عنه ، فاما الى [٣] :

أ – الزيادة : فانه يوصف بالشره والنهم .
ب – أو النقصان : فانه يوصف بكلال الشهوة وضعفها .

فهذه الأصول والمبـادىء ، ومنها تنشأ السجايا والأخـلاق في الانسان [٦ ب] بتوسط تلك الفضائل التي تقدم ذكرها ، ولها في أفعالها الصادرة عنها أفعال مختلفة عند الافراط والتوسط والتفريط .

---

١ - س . (فاما الى) ساقطة .
٢ - ق . النبات (الواو) ساقطة .
٣ - س : (فاما الى) ساقطة .

(١) محمودة [١] : كالمحاسن والفضائل ، وتنقسم إلى أقسام :

أ ــ الفضائل : كالحكمة والعفة وأخواتها .

ب ــ عللها : كالخط والبحث والتعلم .

جـ ــ لواحقها : كالفقه والفهم .

د ــ أجزاؤها : كالتؤدة [٢] وحسن الروية .

هـ ــ أعمالها : تميز الصدق والخير وايثارهما [٣] .

وهذه الفضائل [٤] يقل وجودها في الناس ، وتنقسم الى أقسام :

(١) فمنهم من لا يقبل طبعه العادات الحسنة .

(٢) ومنهم من يقبل كثيراً منها ، وينبو طبعه عن بعضها .

(٣) ومنهم من يستعملها بطبعه ، وهو الكامل .

(٤) ومنهم من اذا نبّه اليها تنبه واستعملها بقدر طاقته .

(٢) أو مذمومة [٥] : كالمساوىء والرذائل ، وتنقسم إلى اقسام :

أ ــ الرذائل : كالجبن والخرق والفجور .

ب ــ عللها : كالنسيان والبلادة .

جـ ــ لواحقها : كالندامة والبله .

د ــ أجزاؤها : كالطيش وسوء [٦] الروية .

هـ ــ أعمالها : اجراء الأشياء [٧] على ضد الصواب .

---

١ ـ ق . محمود .

٢ ـ س . التودة .

٣ ـ س . ايثاره .

٤ ـ س . (الفضائل) ساقطة .

٥ ـ ق. مذموم .

٦ ـ س . سو

٧ ـ س.اجرا الاشيا .

والرذائل [1] موجودة في الأكثر ، غالبة عليهم ، وتنقسم الى اقسام :

١ — فمنهم من لا ينتبه ، فاذا انتبه احس بقبحه .

٢ — ومنهم من اذا أراد العدول عنها لم يسعده طبعه [2] .

٣ — ومنهم من يتظاهر بها وينقاد إليها ، وهم الأشرار .

٤ — ومنهم من ينتبه بجودة الفكر الى قبحها فيأنف .

وهذه القوى : أعني الناطقة والغضبية والشهوية، لا تخلو[3] في سائر [٧ أ] احوالها ان تكون معتدلة بأجمعها اولاً . فان اعتدلت : صدر عنها العدل ، وهو فضيلتها [4] بأجمعها ، وخاصيته تقسيم الأشياء وتقسيطها ، ووضع كل شيء موضعه، وينقسم إلىهذه الأقسام [5]:

١ — العبادة هي[6]تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته واكرام رسله[7].

٢ — الألفة[8]: هي اتفاق الآراء على التعاون في تدبير العيش .

٣ — الصداقة : هي محبة صادقة ، واهتمام بجميع أسباب الصديق .

٤ — المكافأة : هو مقابلة الاحسان بمثله ، والزيادة عليه بما يجب .

---

١ - س . وضع (هذه) بدلاً من كلمة (الرذائل) .
٢ - س . (طبعه) ساقطه .
٣ - س . تخلوا .
٤ - س . فضلها .
٥ - ق . (هذه الاقسام) ساقطة .
٦ - ق . وهي (الواو) زائدة . وكذلك (الواو) زائدة في التعاريف التالية في بداية كل هو .
٧ - ق . رسله (عليهم السلام) زائدة .
٨ - ق . تقدم (الصداقة وتعريفها) على (الالفة وتعريفها)كما يضع (واو) زائدة قبل كل صفة مثل (و) الالفة ، (و) الصداقة ...) .

٥ – صلة الرحم : هو مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات ومواصلتهم .

٦ – حسن الشركة : هو الاعتدال في الأخذ والعطاء [١] والانصاف.

٧ – حسن القضاء : هو المجازاة بغير منّ ولا ندم .

٨ – التودد : وهو طلب المودات بحسن اللقاء وجميل الأفعال وينقسم إلى أربعة اقسام [٢].

أ – أحدها من قبل الطبيعة : كمودة الآباء للأبناء، والأبناء لآبائهم [٣].

ب – الثاني من قبل المصاحبة : كالصداقة والمخالطة والمعاشرة .

جـ – الثالث غريب : كوصية قوم ما برجل ما ليعتنى به .

د – ونزيد قسماً رابعاً : وهو الذي يكون من حب الجماع ويسمى عشقاً .

وان خرجت عن الاعتدال : صدر عنها الجور، وهو رذيلتها بأجمعهـا، وخاصيته تعدّى الحق في كل شيء، وينقسم الى هذه الأقسام [٦] :

١ – الظلم [٧] : هو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي .

٢ – الانظلام : هو الاستخداء والاستجابة في المقتنيات لمن لا ينبغي

---

١ – ق ، وضع (المكافأة وتعريفها) قبل (صلة الرحم).
٢ – س . الاعطا .
٣ – س . اقسام اربعة .
٤ – س . كمودة الامهات للابنا والانسبا لانسابهم .
٥ – ق . (هذه الاقسام) ساقطة .
٦ – ق . والظلم (الواو) زائدة. وهكذا في باقي الصفات التالية .
٧ – ق . وهو (الواو) زائدة. وهكذا في باقي كل هو من التعريفات التالية.

٣ – النذالة : هي منقصة تنازع الى الجمع من كل جهة ، وتحدث بغض الناس .

٤ – العجز : هو منقصة النفس ، ومن لوازمه ضعف الأمل وغلظ الكلام .

٥ – الخور : هو ان يجزع الانسان ويتغير سريعاً من أي شيء ورد عليه .

ولنذكر الآن فضائل كل قوة ورذائلها على انفراد ، ولنبدأ بذكر فضائل [٧ ب] القوة الناطقة ، فنقول ان اول ما يحدث لها :

١ – النزاع : هو [١] انبعاث النفس نحو الشيء الملائم .

٢ – ثم الموقعة : هو مصادمة الحي مطلوبه وغرضه .

٣ – ثم الاحساس : هو قبول صور المحسوسات .

٤ – ثم التخيل : هو ثبات صور [٢] المحسوسات في النفس بعد مفارقتها .

٥ – ثم التصور : هو افراد صورة صورة عن صاحبتها .

٦ – ثم الظن : هو تطلّب النفس قياس الاشياء من خواطرها .

٧ – ثم الفكر : هو التطوف نحو المعارف .

٨ – ثم الرأي : هو غاية الفكر ونهايته ونتيجته .

ومن فضائلها :

١ – العقل : هو الحكم على حقيقة المطلوب بما هي لذلك .

---

١ – ق . وهو (الواو) زائدة . وهكذا في باقي التعريفات .
٢ – ق . بيان .

٢ – الذكر : هو حصول ما سبق وجوده في الذهن .

٣ – الحفظ : هو ثبات صور المعاني في النفس .

٤ – الذكاء : هو سرعة انقداح النتائج وسهولتها على النفس .

٥ – الحكمة : هي ادراك افضل المعلومات بأفضل العلوم .

٦ – الفهم : هو حصول المعاني الواردة على النفس .

٧ – التمييز : هو حصول الفرق بين الحق والباطل والخير والشر .

٨ – النطق : هو [١] شرف الانسان، وبه [٢] فضّل على الحيوان .

٩ – الصدق : هو الاخبار عن الشيء بما هو عليه .

واما الرذائل الصادرة عنها ، فهي[٣]:

[٨ أ] ١ – البلادة : هي تعطيل هذه القوة ، واطراحها من غير تقصير في الخلقة .

٢ – المكر والخبث : هو اضمار الشر للغير ، واستعمال الغيلة والخديعة .

٣ – الجهل : هو ترك استعمال الصواب لعدم المعرفة .

٤ – الكذب : هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، وهو مذموم .

٥ – الحمق : هو معرفة الصواب وترك العمل به ، وقيل تصور الممتنع بصورة الممكن .

٦ – الخرق : هو الحركة عن غير حاجة ، ومبادرة الأمور من غير توقف .

---

١ – س . هو (ساقطة) وذكر بدلاً منها (به) .
٢ – س : وبه (ساقطة) او بالاحرى وضعت في بداية الجملة .
٣ – ق . فهي هذه (هذه) زائدة .

٧ ـ الغدر : هو الرجوع عما يبذله الانسان من نفسه مما يضمن الوفاء به [١].

٨ ـ التبذل : هو اطراح الحشمة ، والاكثار من الهزل ومجالسة السفهاء .

٩ ـ النميمة : هو ابلاغ شخص عن آخر كلاماً مكروهاً .

١٠ ـ الرياء : هو خلق مذموم غرض صاحبه حسن اعتقاد الناس فيه .

١١ ـ السفه : هو استعمال الفكر فيما لا ينبغي ، وهو الجربزة .

فضائل القوة الغضبية هي :

(١) الشجاعة : هي التهاون بالآلام ، والاقدام على ما ينبغي كما ينبغي . [٨ ب]

(٢) الحلم : هو ترك الانتقام مع القدرة ، ومجازاة الاساءة [٢] بالاحسان .

(٣) الرحمة : هو خلق مركب من الود والجزع ، وتألم للمرحوم [٣] مما يلحقه .

(٤) البشر : هو إظهار السرور لمن [٤] يلقاه ، والاقبال على محادثته .

(٥) حسن الخلق : هو شيم [٥] الأنبياء ، واخلاق الأولياء ، وآداب [٦] الله تعالى .

---

١ ـ س . الوفا .

٢ ـ س . الاساة .

٣ ـ ق . لتألم المرحوم .

٤ ـ ق . بمن .

٥ ـ ق . من شيم(من) زائدة .

٦ ـ س . واداب .

(٦) العفو : هو أنفس الاخلاق ، وهو نفس الفضل .

(٧) عظم الهمّة : هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور ، وتنقسم الى [١] .

أ ـ الأنفـة : هي نبو النفس عن الأمور الدنية .
ب ـ الحميّـة : هي الغضب عند الاحساس بالنقص .
جـ ـ الغيرة : هي إظهار الغضب فيما يخشى عاره [٢] .

(٨) التثبت : هو فضيلة [٣] يقوى بها الانسان على احتمال الآلام .

(٩) التواضع : هو إظهار الخمول ، واجتناب المباهاة ، وترك العجب .

(١٠) كبر النفس : هو الاستهانة باليسار ، والاقتدار على حمل الكرامة وضدها .

(١١) النجدة : هي ثقة النفس عند المخاوف ، حتى لا يجـاوزها [٤] فزع .

(١٢) الشهامة : هي الحرص على الأعمال العظام ، توقعاً للاحدوثة الجميلة [٥] .

(١٣) احتمال الكد : هو القـوة يستعمل البدن في الأعمال الحسنة [٦] بحسن العبادة .

[٩ أ] وأما الرذائل الصادرة عنها فهي [٧] :

---

١ ـ ق : الى أقسام (أقسام) زائدة .
٢ ـ س : عادة .
٣ ـ س : فضلة :
٤ ـ ق : يجاورها.
٥ ـ ق : (الجميلة) ساقطة .
٦ ـ س : الحسيسية .
٧ ـ س : (هي) ساقطة .

(١) الكبر [١] : هو استعظام المرء نفسه ، واستحسانه فعله دون فعل غيره [٢] .

(٢) العبوس : هو التقطيب عند اللقاء ، واظهار الكراهة ، وقلة التبسم .

(٣) الجبن : هو الجزع عند المخاوف ، وحجام عن أدنى فزع .

(٤) صغر الهمة : هو ضعف النفس عن طلب المراتب وقصور الأمل .

(٥) القساوة : هي التهاون بما يلحق الغير من الألم [٣] وهو مكروه إلا في الحروب .

(٦) العجب: هو الذي يرى ان الأمور [٤] الحسنة التي [٥] لغيره موجودة فيه.

(٧) شراسة الخلق: صاحبها [٦] لا ينقاد الى جميل القول، ولا يفارق القبيح.

(٨) الحسد: هو التألم بما يراه الانسان لغيره من الخير، وتمني افساد [٧] حاله.

(٩) القحة : هي المجاهرة بالكلام الغليظ ، واستصغار الغير في عينه .

(١٠) التهور [٨]: هو الاقدام على ما لا ينبغي ، كما لا ينبغي ، فيما لاينبغي.

(١١) الحقد: هو اضمار الشر، اذا لم يتمكن من الانتقام ، واخفاؤه للفرصة.

(١٢) الطيش: هو ضد [٩] الحلم ، وهو الذهول [١٠] من أدنى ضرر [١١] .

---

١ - س : الكبرى .
٢ - ق : غير .
٣ - د : آلالآم .
٤ - د : ان الامور (ان) زائدة .
٥ - س : الذي .
٦ - د : صاحبه .
٧ - د : وافساد (وتمني) ساقطة.
٨ - ق : اللهو .
٩ - س : عند .
١٠ - د : الذي هول .
١١ - ق : ضر .

ومن شر رذائلهـــا

أ ـ الخوف: وهو ألم موجـع [١] للنفس لتوقع مكروه ، وينقسم إلى :

(١) الذعر: هو الجزع من صورة ليست مألوفة .

(٢) الحذر: هو الجزع من سقوط مرتبة واشباهه [٢] .

(٣) الفرق: هو الاستهانة [٣] من شيء عظيم ، يضعف عن احتماله .

(٤) الحياء: هو الجزع [٤] من ظهور [٥] شيء قبيح قد ارتكبه .

(٥) الخجل: هو جزع من ان يعرف بشيء رديء لم يفعله [٦] .

(٦) الكسل: هو جزع من ان يفعل فعلاً ما كسل عنه .

ب ـ الغضب: وهو أكبر الرذائل ، وله مواد واسباب ، فمنها :

(١) الغدر ؛ مداواته [٧] باستعمال الوفاء .

(٢) المضادة [٨] ؛ مداواته [٩] بترك العناد [١٠].

(٣) الملاحاة ؛ مداواته [١١] بصيانة النفس عن صر الجواب.

(٤) التغيير [١٢] ؛ مداواته بالقدرة على ترك الاقاويل القبيحة .

---

١ ـ س : موقع .

٢ ـ ق : هو الجزع من شعور امر وترقب واشتباهه .

٣ ـ « : استهانه .

٤ ـ « : جزع .

٥ ـ « : فهو .

٦ ـ « : نفعله .

٧ ـ « : ومداواته (الواو) زائدة . وهكذا (الواو) زائدة امام كلمة مداواتـــه في التعاريف اللاحقة .

٨ ـ « : المصاده .

٩ ـ « : ومداوا .

١٠ ـ ق : العناء .

١١ ـ « : ومداوا .

١٢ ـ « : التعيير .

(٥) الهزء،مداواته بالتكرم [١] عن أذى الناس .

(٦) الهزل،مداواته بالجد في طلب الفضائل .

(٧) المزح [٢]،مداواته بالتشاغل بما يجب من الحقايق .

(٨) الفخر،مداواته بالتيقن انه من جنس عبده .

(٩) العجب،مداواته بمعرفة عيوب النفس .

(١٠) الزهو،مداواته باستعمال التواضع .

فضائل القوة الشهوانية وهي [٣] [٩ ب]

١ ـ العفة:هي ضبط النفس عن الشهوات القبيحة واجتناب الترف .

٢ ـ القناعة:هي الرضا بما سهل وجوده دون ما غاب ، وترك الحرص .

٣ ـ كتمان السر:هو خلق محمود ، واذاعته من فضول الكلام .

٤ ـ النزاهة [٤]:هي التباعد [٥] عما يوقع التهمة في ارتكاب الفواحش .

٥ ـ السخاء:هو بذل المال من غير مسألة ما لم ينته الى تبذيره ، والبذل ينقسم الى :

أ ـ الكرم [٦]:هو انفاق المال بسهولة من النفس في الأمور الجليلة .

ب ـ الايثار:هو كف الانسان عن بعض حوائجه وبذلها لمستحقيها .

جـ ـ النبل:هو سرور النفس بالافعال العظام الحسنة .

---

١ ـ ق : التكريم .
٢ ـ « : المرح .
٣ ـ « : (وهي) ساقطة .
٤ ـ س : تكميل النفس .
٥ ـ ق: هي التباعد عما ... الخ س : هو النزاهة عما .. الخ
٦ ـ س : الكرامة .

د ـ السماحة: هي ترك بعض ما لا يجب تركه عند الحاجة والضرورة [١] .
هـ ـ المسامحة: هي ترك بعض ما يجب عند الحاجة الى ذلك .
و ـ المواساة [٢]: هي معاونة الاصدقاء المستحقين ، وينقسم الى أربعة [٣] أقسام :
أ ـ أحدها بالمال كمواساة [٤] أهل الحاجة بماله ، والبر بهم ومراعاتهم .
ب ـ الثاني بالبدن وذلك كنصرة المرء صاحبه بالمضاربة دونه .
جـ ـ الثالث بالعلم وذلك كتأديب الرجل صاحبه ومداواته بعلمه .
د ـ الرابع بالكلام وذلك بمناضلة المرء عن صاحبه والخصومة [٥] عنه .
٦ ـ الحياء: هو انحصار النفس خوف اتيان القبيح والحذر من اللوم .
٧ ـ الورع: هو قهر [٦] الشهوة عند [٧] تغلب سورتها ، وتقصد فعل الجميل [٨] .
٨ ـ الصبر: هو مقاومة [٩] النفس للهوى عند مغالبته .
٩ ـ الدعة: [١٠] هي سكون النفس عند حركة الشهوات الغالبة .
١٠ ـ الدماثة: هي حسن انقياد النفس ولينها ، وسرعتها الى الجميل [١١] .
١١ ـ الحرية: هي الكسب من وجهه ، والميل به الى محاسن الأمور .
١٢ ـ حسن السمت: هو محبة النفس تكميلها بالزينة الحسنة .

---

١ ـ ق : السماحة هي ترك ما لا يجب تركه عند الضرورة .
٢ ـ س : الموساة .
٣ ـ ق : (اربعة) ساقطة .
٤ ـ س : كمواساة .
٥ ـ ق : للخصومة .
٦ ـ س : فضيلة .
٧ ـ س : (عند) ساقطة
٨ ـ ق : الجهل .
٩ ـ س: مقاومت .
١٠ ـ « الدغشة .
١١ ـ ق : (وسرعتها الى الجميل) ساقطة .

(١٣) الانتظام [١]: هو حال للنفس يقودها الى حسن تقدير الأمور .

(١٤) الصيانة: هي التحفظ [٢] من قبيح الهزل قـــولاً وفعلاً ، والبعد من الدناة .

(١٥) الوقار هو سكون النفس وثباتها وتحفظها من الحركة الزائدة .

وأما الرذائل الصادرة عنها فهي [٣]: [١٠ أ]

(١) الفجور: هو الانهاك في الشهوات القبيحة وارتكاب الفواحش .

(٢) الشره: هو الحرص على اكتساب الأموال ، والاستكثار من المطاعم والمشارب والمناكح .

(٣) البخل: هو منع المسترفد مع القدرة ، يحمد في النساء ويذم في الرجال.

(٤) الخيانة: هي الاستبداد بما يؤتمن عليه الانسان وجحده ودائعه.

(٥) افشاء السر: هو مركّب من الخوف والخيانة ، وهو خلق مذموم .

(٦) المجون: هو استعمال الأقوال القبيحة واستحسانها .

(٧) بطلان الشهوة: وهومنقصة الشهوة، وهي [٤] المنع عن اللذات من غير إرادة.

(٨) الشماتة: هي المسرّة بمصائب الناس ، وهي من رداءة الطبع .

(٩) الحرص: هو الانكباب [٥] على الأشياء ، والمبالغة في تحصيلها بالجد، في العلم [٦] خاصة . ونحتاج ان نذكر طرفاً من علم الاسباب لنستعين

١ - س : الادارة .
٢ - س : والتحفظ (الواو) زائدة .
٣ - س : (فهي) ساقطة .
٤ - « : هي .
٥ - ق : الكآبة .
٦ - « : الفعل .

(ملاحظة / وهذا لانحسبه رذيلة ، لان الحرص على العلم فضيلة ، ولعل المؤلف قصد بالذي يظن بالعلم على غيره) .

به [1] على غرضنا مأخوذاً من كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه[2] ونجعله مثالاً [3] .

سبب الحلم التواضع .
سبب الغنى القناعة .
سبب النبل[4] العفاف .
سبب العقل المداراة .
سبب الثناء السخاء .
سبب الحظوة الصدق .
سبب الجود الفضل .
سبب قضاء الحوائج الرفق .
سبب الرزق الطلب .
سبب المزيد الشكر .
سبب المحبة الهدية .
سبب الأخوّة البشاشة .
سبب الغفلة الهوى .
سبب الفجور الخلوة [5] .
سبب القطيعة المعاتبة .
سبب الفقر السرف .
سبب المقت الخلف .
سبب المذمة الكذب .
سبب الذل السؤال .

---

١ – (به) ساقطة .
٢ ـ س : (وكرم وجهه) ساقطة .
٣ ـ التسلسل يختلف بين المخطوطتين وقد اعتمدنا مخطوطة باريس .
٤ ق : النبيل .
٥ ـ س : الخلو .

سبب الهوان	الطمع .
سبب الحرمان	الكسل .
سبب الأدب	المواظبة .
سبب الضيعة	الشح .
سبب الطمع	آفة الورع[1].
سبب الاحسان	افادةالانسان[2]
والخير كله يجمعه[3]	الحياء والعقل .

ونقول إن الشيء الواحد بعينه من شأنه أن يفسد من الزيادة [١٠ ب] والنقصان . وقد ينبغي ان نستشهد[4] على ما خفى وغاب عنا بالاشياء الظاهرة لنا . كما قد نرى في القوة وفي الصحة . فإن الرياضة الزائدة والناقصة تفسد القوة . وكذلك الأطعمة والأشربة ، اذا زادت على ما ينبغي أو نقصت افسدت[5] الصحة ، والمعتدلة تزيد فيها وتحفظها والحال في العفة والشجاعة وسائر الخصال الأخرى كذلك فأن من هرب من كل شيء وخافه ولم يحتمل شيئاً صار جباناً ، ومن لم يخف شيئاً ، لكن يلقى[6] كل شيء صار مقداماً . وكذلك من تناول كل لذة من اللذات[7] صار شرهاً . والذي يفر من كل لذة فلاحس له ، لأن العفة والشجاعة تفسدان[8] من الزيادة والنقصان . ويحفظهما التوسط[9] ،

١ – ق : الجملة كلها ساقطة .
٢ – « : الجملة كلها ساقطة . س : يفيد الانسان .
٣ – ق : والخير يجمعه كله .
٤ – « : يستشهد .
٥ – س : فسدت .
٦ – ق: تلقى.
٧ – « : لذة (من اللذات) ساقطة .
٨ – « : يفسدان .
٩ – س : يظهر ان الناسخ اضاف جملة زائدة لا محل لها هنا وهي (وبالله المستعان وعليه التجلات ولا حول ولا قوة الا بالله).

ولنذكر لذلك مثـــالا يقاس عليه ، ويرجع في الباقي عليه [١] . لذا [٢] كان غرضنا الايجاز [٣] .

المثال في توسط الفضائل بين ما نذكره من [٤] الرذائل .

(١) الحكمة (وسط بين [٥]) الجهل والدهاء [٦] (ووسط بين) الخبث والبلادة .

(٢) الشجاعة (وسط بين) التهوّر والجـــبن ، (ووسط بين) الاقدام والخوف .

(٣) العفة (وسط بين) النهم وضعف الشهـــوة ، (ووسط بين) الشره والكلال .

(٤) السخاء [٧] (وسط بين الاسراف والتقتير ، (ووسط بين) التبذير [٨] والإمساك.

ومثـــال آخـــر

[١١ أ] (١) الحلم بين ضعف النفس والسفه [٩] .

(٢) الحريـــة بين النذالة والشطارة [١٠] .

(٣) الحياء بين التخنث والقحة [١١] .

(٤) الوقار بين التواضع والكبر [١٢] .

---

١ – ق : عليه .
٢ – « : اذ .
٣ – « : الايجاز (والاختصار) زائدة .
٤ – ق : (ما نذكره من) ساقطة .
٥ – (وسط بين) من اضافة المحقق ، وكذلك ما يليها في الأسطر اللاحقة .
٦ – ق : الدها .
٧ – « : سخا .
٨ – ق : التدبير .
٩ – « : (ضعف النفس والسفه) ساقطة .
١٠ – « : (النذالة والشطارة) ساقطة .
١١ – « : التخنيث والقمة) ساقطة .
١٢ – « : (التواضع والكبر) ساقطة .

وقد يحدث من تركيب فضائل مع فضائل غيرها من الفضائل ، كما يحدث من تركيب الرذائل . ومثال الأول :

١ - يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعه الصبر في الملمات .

٢ - ويحدث عن تركيب العقل مع السخاء انجاز المواعيد .

٣ - ويحدث عن تركيب العقل مع العفة الصيانة والنزاهة .

٤ - ويحدث عن تركيب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاملاق .

٥ - ويحدث عن تركيب الشجاعة مع العفة الغيرة على الحرم وانكار الفواحش .

٦ - ويحدث عن تركيب السخاء مع العفة الايثار على النفس .

اختلف العلماء في الفرق بين السجايا [1] والأخلاق [١١ ب]

١ - فذهب قوم الى ان السجايا ما لم تظهره الطباع [2] ، والاخلاق ما ظهرته . وسميت الاخلاق اخلاقاً لأنها تصير كالخلقة .

٢ - وذهب آخرون [3] الى ان السجايا ما لم تتغير بطبع ولا تطبع ، والاخلاق ما يتغير بهما ، والشيم كالسجايا .

٣ - وزعم اكثر اهل الطب ان السجايا والاخلاق تابعة لمزاج البدن ، فتكون مستقيمة بصحته ومتغيرة بفساده والغرائز ما امتزج بالطبع .

---

١ - س : السحايا .
٢ - س : يظهره للطباع .
٣ - ق : قوم .

٤ – وذهب المتدينون الى ان الله تعالى ركّبها في النفوس بحسب[١] ارادته، وجعل اختلاف الاخلاق كاختلاف الصور التي ليست لها علة غير[٢] ارادته .

واختلف الحكماء في فضائل الاخلاق ، هل تراد لذواتها[٣] أو للسعادة الحاصلة[٤] عنها ، على نوعين :

١ – فذهب[٥] بعضهم الى ان المراد بالفضائل ذواتها لأنها المكسبة[٦] للسعادة .

٢ – وذهب آخرون الى ان المراد بها السعادة الحادثة عنها ، لانها الغاية المقصودة بها .

واختلفوا في اخلاق الطبع والتطبع :
١ – فذهب[٧] قوم : الى تفضيل اخلاق الطبع الغريزي على اخلاق التطبع ، لقوة الغريزي وضعف المكتسب .

٢ – وقال آخرون : بتفضيل اخلاق التطبع على اخلاق الطبع، لأنها قاهرة لاضدادها .

٣ – وقال آخرون : كل واحد منها يحتاج الى الآخر ولا يستغني عنه ، لأن الاخلاق لا تنفك عنها ، فهما بمنزلة الروح والجسد .

---

١ ـ س : بحيث .
٢ ـ ق : ملة خير .
٣ ـ س : ذواتها .
٤ ـ ق : الحادثة .
٥ ـ س : وذهب .
٦ ـ ق : لا لكونها المكتسبة .
٧ ـ « : وذهب .

٤ – وفرّق أهل اللغة بينهما، فقالوا : الطبع هو الجسم [١] ، والتطبع هو الخلق .

أما الدماغ فهو مسكن الروح النفساني ، وفيه ثلاث [٢] خزائن : [١٢ أ]

١ – الخزانة الأولى : في مقدمه يشارك بها الحيوان ، وفيها قوة الحس : البصر (و) [٣] السمع (و) الشم (و) الذوق . وجوهر هذه ، الروح الساكن بتجويف هذه الخزانة ، مائل الى الرطوبة حال الاعتدال ، فإن مال الى اليبس أبطأ احساس [٤] صاحبه .

٢ – الخزانة الثانية : هي في وسطه ، ينفرد الانسان ، وفيها قوة العقل : الفكر (و) التمييز (و) الفهم (و) الروية . وجوهر هذه الروح معتدل المزاج ، فإن خرج عن الاعتدال كان صاحبه رديء التمييز .

٣ – الخزانة الثالثة : هي في مؤخره ، يشارك بها الانسان الحيوان ، وفيها قوى : الحركة (و) الحفظ (و) الذكر . وجوهر هذه الروح مائل الى اليبس ، فإن مال الى الرطوبة كان صاحبه بطيء الذكر والحفظ .

فمن حكمة الله تعالى ، انه جعل قبول الصور في الروح التي في مقدمة . وجعل حفظ هذه الصور في الروح التي في التجويف المؤخر منه . وجعل الفكر والتمييز والفهم والروية [٥] في الروح التي في التجويف الأوسط . وجعل الاول مائلاً الى الرطوبة ، والاوسط معتدلاً ، والمؤخر مائلا الى اليبوسة :

---

١ – ق : الخيم .
٢ – د : ثلاثة .
٣ – (و) من اضافة المحقق .
٤ – س : فهم .
٥ – ق : (والفهم والروية) ساقطة .

١ – ليقبل المقدم من الحواس صور الاشياء بسهولة .

٢ – ويحفظ المؤخر ما يرد عليه ، فلا يغيب عنه .

٣ – ويميز الاوسط بين الاشياء باعتداله .

فقد بان بما ذكرنا علة اختلاف الناس في اخلاقهم وأفعـــالهم ، وحصل لك الفرق بين هذه الأمور :

أ – بين صواب الرأي وخطئه (١) .

ب – بين جودة التخيل ورداءته (٢) .

ج – بين كثرة النسيان وقلته (٣) .

د – بين سرعة الفهم وبطئه (٤) .

هـ – بين قوة التمييز وضعفه .

و – بين الذكاء والبلادة .

ز – بين العقل والحمق .

[١٢ ب] وأما القلـب : فقد جعـل الله فيـه روحـاً تنفذ منه إلى سـائر العـروق الضوارب ، التي هي الشرايين ، فيكون الانسان بها حياً ، وببطلا نهـــا ميتاً . ويشارك بهـــا الحيوان ، وبها يكون التنفس والنبض والحرارة الغريزية . وفيه ايضاً تجويفان كما في الدماغ ، بهما تكون افعـال النفس الحيوانيـة ، وهما سبب حياة سائر الحيوان :

احدهما في الجانب الأيمن ، وفيه توجد السويداء ، وذلك سبب لوجود الحرد

---

١ – س : وخطابه ، ق : وخطائه .

٢ – س: ق : ورداته .

٣ – ق : (الجملة ساقطة كلها) .

٤ – س : وبطيه ، ق : وابطائه .

(و) الغيض (و) الجرأة .

والثاني في الجانب الايسر ، وفيه من الروح اكثر من الدم [١] ، وذلك سبب لوجود الرضا (و) السكون (و) العجز .

واما الكبد : فقد جعل الله [٢] فيه قوة بها نفوذ الغـذاء [٣] الى الاعضاء في العروق غير الضوارب ، ويشترك فيها الحيوان . وفيه من القوى قوة الاغتـذاء والنماء والتربية ، وبها تكون شهوة المطعم والمشرب والمنكح [٤] واشباهها .

والسعادات على رأي الفلاسفة تنقسم إلى هذه الأقسام : أما أفلاطون ومن تقدمه، [١٣ أ]
فإنه يرى أنها في النفس خاصة دون البدن، وتنقسم على مذهبه إلى أربعة أقسام :

١ - الحكمة ٢ - الشجاعة ٣ - العفة ٤ - العدالة .

واما ارسطاطاليس ومن أتى بعده فقد شـارك فيها بين النفس والبدن ، وقسمها الى خمسة اقسام [٥] :

احدها : في لطف الحس [٦] وصحة البدن ، وذلك يكون بسلامة الاعضاء واعتدال المزاج [٧] ، كما ينظر حسناً ويسمع جيداً ، وكذلك باقي الحواس [٨] .

---

١ - ق : الجسد .
٢ - « : (الله) ساقطة .
٣ - س : الغذى .
٤ - ق : المطاعم والمشارب والمناكح .
٥ - « : اقسام (يأتي ذكرها) زائدة .
٦ - س : الحسن .
٧ - ق : الاعتدال الى المزاج .
٨ - « : الحواس (والله اعلم) زائدة .

الثاني : في جودة الفكر والرأي ، وذلك يكون بتعلم العلوم وحسن الأدب وكثرة التجارب [1] .

الثالث : في نجح الامور ، وذلك يكون اذا استتم الانسان كلما روى فيه وعزم على فعله .

الرابع : في المحمدة والحمد ، وذلك اذا أحسن الناس الثناء على بعضهم ، بذكر الآثار الحسنة والشيم [2] الزكية .

الخامس : في الثروة والغنى ، وذلك ان اجتمع للمرء من معاشه ما يمكنه به مواساة اصدقائه والمستحقين ، ووضعه مواضعه ومن تهيأ له ذلك فهو كامل السعادة .

وتنقسم الخيرات الى قسمين :

١ — محمود عند كل احد : كالعدل والصدق والكرم. فأن ذلك محبوب محمود عند كل أحد .

٢ — ليس بمؤثر عند كل احد : كالشجاعة والغنى وما اشبهها ، فانه ليس محبوباً مختاراً عند الجميع .

والخيرات ايضاً ثلاثة أنواع :

احدها في النفس كجودة الفضائل المذكورة فيها ، وحسن عملها واعتدالها.

الثاني في البدن كحسن البدن وصحة اعضائه وسلامته من الآفات والعوارض.

الثالث خارج عنها كالمال والسلطان والاصدقاء وسائر المقتنيات مما قوامه من خارج .

---

١ — ق : التجارب (والله اعلم) زائدة .

٢ — « : الشيم (الواو) ساقطة .

والفضائل تنقسم قسمين [١٣ ب]

احدهما ما اوجب ثناء المخلوقين ، وهو ما عاد نفعه عليهم .

الثاني ما اقتضى ثواب الخالق ، وهو ما قصد به وجه الله تعالى .

ونقول ان الاخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختبار وتقهر بالاضطرار ، وللنفس اخلاق تحدث عنها بالطبع ، ولها افعال تصدر عنها بالارادة . فهما ضربان : اخلاق الذات وافعال [١] الارادة . والانسان مطبوع على الاخلاق قلّ ما حمد جميعها أو ذم سائرها ، وانما الغالب : بعضها محمود وبعضها مذموم . فتعذر لهذا التعليل ان نستكمل فضائل الاخلاق طبعاً وغريزة ، ولزم لاجله ان يتخللها رذائل الاخلاق طبعاً وغريزة ، فصارت غير منفكة من جبلة [٢] الطبع . وغريزة الفطرة عن [٣] فضائل محمودة ورذائل مذمومة . واذا استقر ذلك فالسعيد من غلبت فضائله على رذائله . فقدر بوفور الفضائل على قهر الرذائل ، وسلم من شين النقص ، وسعد بفضيلة الفضل . فالانسان يستحق الحمد على الفضائل المكتسبة لأنها مستفادة بفعله ولا يستحق على الفضائل المطبوعة وان حمدت فيه لوجودها بغير فعله . ومن القبيح ان يتحرز المرء من اغذية البدن كي لا تكون ضارة ، ولا يعني بتهذيب اخلاق نفسه ومداواتها بالعلم الذي غذاؤها ، كي لا يكون باطلاً وضاراً . واذا كنا لا نعني [٤] بجميع اعضاء البدن ، وخاصة بالاشرف منها ، فبالحري ان نعني باجزاء النفس ، وخاصة بالأشرف منها وهو العقل . وكما ان الامراض التي تعرّض للبدن ان لم [٥] يعلم الطبيب الأسباب الفاعلة لها لم يتمكن من علاجها . فكذلك علل النفس

١ — س : وفعال .
٢ — « : حله .
٣ — « : من .
٤ — ق : كنا (لا) ساقطة.
٥ — س : ان (لم) ساقطة .

ينبغي ان نعني بقلع اسبابها ، فمتى احس الانسان بأنه قد اخطأ ، واراد ان لا يعود ثانياً فيخطيء[1] فلينظر أي أصل في نفسه حدث ذلك عنه فيحتال [2] في ازالته .

وبعد فلو لم يكن الى تغيير الاخلاق سبيل ، لما كان للأقاويل التي اودعتها الحكماء كتبها ، في استصلاح الاخلاق معنى ، اذ لم يرجع لها نفع ولا جدوى . وكذلك اذا لم يكن للمواعظ التي يقصد بها ذوو[3] الاخلاق الذميمة من الاشرار معنى ، اذا لم نطمع في انتقالهم عما هم عليه من الشر . واذا قد انتهينا الى ما اردنا بيانه، في هذا الفصل [4]،فلنختم[5] الكلام فيه ههنا [6] بعون الله [7] ولطفه ولله الحمد والمنة [8] .

[١٤ أ] والسبيل الى اعتياد [9] الانسان الأخلاق المحمودة واستعمالها ، واجتناب المذمومة واهمالها ، ثلاثة امور :

الأول : بتميز القوة الناطقة ، بأحوال ثلاثة :

١ – بمداومة الاطّلاع على كتب الاخلاق والسياسات والعمل بها .

٢ – بالتدّرج الى استعمال العادات الجميلة وترك ضدها .

---

١ – ق : ثانياً (فيخطيء) ساقطة .
٢ – « : فنحتال .
٣ – « : ذووا .
٤ – « : (في هذا الفصل) ساقطة .
٥ – « : فلنتم .
٦ – « : ها هنا .
٧ – « : الله (تعالى) زائدة .
٨ – « :والحمد لله وحده.
٩ – « : اعتقاد .

٣ ـ بتدقيق النظر في العلوم العقلية والبحث عنها.

الثاني : بقهر القوة الشهوانية ، بأحوال ثلاثة :

١ ـ بأن يجتنب مجالسة السفهاء والخلعاء والنساء والاراذل .

٢ ـ بأن يكثر مجالسة الزهاد وذوي الاجتهاد والورع .

٣ ـ بأن يتذكر اوقات شهوته ، فيعدل الى الجميل منها .

الثالث : تبديل القوة الغضبية بأحوال ثلاثة :

١ ـ بأن يتذكر من يؤذيه ، ان لو كان هو المؤذى ، هل كان يختار ذلك لنفسه [١] أو ينفر عنه [٢]؟

٢ ـ بأن يتذكر ما شاهده من طيش غيره ، فلا يرضاه لنفسه عند الغضب .

٣ ـ بأن يكسر سورة الغضب ، بالرفق ، ويستعمله على القوة الشهوانية فقط .

وقيل ان الاحوال التي تلحق الانسان على خمسة وعشرين وجهاً وهي هذه[٣].

١ ـ خمسة بالبخت [٤] :

أ ـ الجاه (ب) المال (جـ) الملك (د) التزويج (هـ) الولد .

٢ ـ وخمسة بالعمل :

أ ـ العلم (ب) الفروسية (جـ) الفلاحة (د) الثواب (هـ) الاثم .

٣ ـ وخمسة بالعادة :

أ ـ الأكل (ب) الشرب (جـ) الجماع (د) المشي (هـ) النوم .

---

١ ـ ق : (لنفسه) ساقطة .

٢ ـ « : منه .

٣ ـ « : (وهي هذه) ساقطة .

٤ ـ س : بالبحث .

٤ – وخمسة بالجوهر :

أ – السخاء (ب) الصدق (ج) التواضع (د) الحرية (هـ) محبة الناس .

٥ وخمسة بالسجية :

أ – الفطنة (ب) الذكاء (ج) الحزم (د) التروي [١] (هـ) الشجاعة.

[١٤ ب] واعلم أن الله تعالى، خلق بدن الإنسان. بحكمة واتقان، إذ كان تبارك وتعالى تام الحكمة كامل القدرة . وكان من الحكمة والاتقان ، ان لا تكون افعال الانسان كلها بعضو واحد من اعضاء بدنه [٢] ، بل بأعضاء معدودة ، لئلا ينال ذلك العضو آفة ، فتبطل افعال جميع البدن ببطلانه . لكنه تعالى [٣] خلق بدن الانسان وركبه من اعضاء كثيرة ، وجعل لكل منها قوة تخصه ، وجعل سبحانه وتعالى [٤] الافعال الجليلة والقوى العظيمة ، التي هي الاصول والينابيع لسائر الافعال والقوى [٥] في ثلاثة [٦] اعضاء :

١ – الدماغ : ولا يخلو بجملته ان يكون :

أ – معتدل المزاج : فتحصل له الحكمة ، فإن استعملها فهو المؤيد بالتوفيق .

ب – او خارجاً إما الى :

أ – الحرارة : فتميل افعاله الى الطيش والتهوّر.

ب – او البرودة : فتميل افعاله الى الثقل والابطاء .

---

١ – س : الروا .
٢ – « : من اعضاية في بدنه .
٣ – ق : (تعالى) ساقطة .
٤ – « : (سبحانه وتعالى) ساقطة .
٥ – « : (لسائر الافعال والقوى) ساقطة .
٦ – « : ثلثة .

٢ – القلب : ولا يخلو بجملته ان يكون :

أ – معتدل المزاج : فتحصل له الشجاعة المعتـــدلة ، ولا يحرد في غير موضعه .

ب – او خارجاً اما الى :

أ – الحرارة : فتحدث الجرأة والقحة والغضب له .

ب – أو البرودة : فتحدث مهانة النفس والكسل له .

٣ – الكبد : ولا يخلو بجملته ان يكون :

أ – معتدل المزاج : فيحصل له فضل العفـــة والقناعة والقصد في الأمور .

ب – أو خارجاً اما الى :

أ – الحرارة : فيحدث له الشره والنهم والمبالغة فيها .

ب – او البرودة : فيحدث له الكلال وضعف الشهوة .

الفصل الثالث[1] [١٥ أ]

في أصناف السيرة العقلية الواجب على الإنسان اتباعها والعمل بها

اللهم صل التوفيق بقولنا ، والتصديق بعملنا ، والتحقيق بقلوبنا ، ولا تكلنا الى انفسنا [٢] وأحوالنا [٣] وقوتنا ، ولا تحل بيننا وبين ما يقربنا منـــك ، ويدنينا من بابك ، ويجيرنا من عذابك ، ياذا الجلال والاكرام .

ذكر بعض العلماء ان المخلوقات بأسرها على أربعة اقسام :

القسم الاول : الذي له عقل وحكمة ، وليس له طبيعة [٤] ولا شهوة ، وهم الملائكة [٥] .

القسم الثاني : الذي له طبيعة [٦] وشهوة ، وليس له عقل ولا حكمة ، وهم الحيوان غير الانسان .

---

١ ـ س ، ق : الثاني .
٢ ـ ق : (انفسنا) ساقطة .
٣ ـ س : حوالنا .
٤ ـ د : طبع .
٥ ـ ق : الملئكة ، س : المليكة .
٦ ـ س :طبع.

القسم الثالث : الذي ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة، وهو[1] الجماد والنبات .

ولما دخلت هذه الاقسام الثلاثة [2] في الوجود ، لم يبعد من الممكنات إلا القسم الرابع : وهو الذي يكون له عقل وحكمة وطبيعة وشهوة ، وذلك هو الانسان . ولما ثبت في المعارف الحكمية انه تعالى عامّ الفيض على الممكنات ، اقتضى عموم جوده ادخال هذا القسم في الوجود ، فلهذا قال اني جاعل في الارض خليفة لئلا يبقى شيء من الممكنات محروماً عن تأثير ايجاده .

فأول نعمة انعمها على الاعجم والفصيح حياة الروح ، لان بالحياة يذوق اللذات وينال الشهوات ، وهي نعمة عامة على جميع الحيوان ، ليست بخاصة للانسان ، لكن النعمة التي هو بها مخصوص العقل ، وبه حصل له النبل ، وبقوته ملك الحيوان وقهر ، وساس الاشياء ودبر ، واخص منه العلم وهو نتيجة العقل، وبه التفاضل بمقدار النقص والفضل[3] ، وبحسب الطلب والحث، وبقدر الفحص والبحث ، وغاية ما خلق له وطلب منة العلم [4] العمل . وهو الذي احرى اليه واثبت عليه ، وهو قوله سبحانه [5] تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا [١٥ب] ليعبدون». والحياة [6] والعقل هبة الماجد الوهاب، والعلم والعمل درج العبد بالاكتساب ، ولذلك استحق بطلبها جزيل الثواب ، وبتركها اليم العقاب ، ولا حياة[7] بالحقيقة لمن لا روح له ، ولا عقل لمن لا حياة [8] له، ولا

---

١ – ق : وهم .
٢ – س : الثلثة .
٣ – « : (والفضل) ساقطة .
٤ – ق: (العلم) ساقطة .
٥ – ق : (سبحانه) ساقطة .
٦ – « : (والحياة) ساقطة .
٧ – « :حيوة.
٨ – « :حيوة .

علم لمن لا عقل له ، ولا عمل لمن لا علم له ، ولا ثواب لمن لاعمل له . ومن لا يظفر من هذه النعم الا بروح الحياة [١]، فقد سقطت عنه الكلفة ، ومن اعطى العقل[٢] فقد وجبت عليه الحكمة [٣] ، ومن اوتي الحكمة فقد اجزلت له العطية ، ومن عمل بعلمه فقد تمت عليه النعمة ، واجتمعت له الدنيا والآخرة. وقد سبق القول ان الذي خلق له الانسان واريد منه امران هما [٤] :

١ ــ العلم : وينقسم الى ثلاثة [٥] اقسام :

أ ــ العلم الاعلى : وهو علم الالهيات ، ويأتي ذكره صاحبه ينظر في الامور التي وجودها في العقل .

ب ــ العلم الاوسط : وهو علم الرياضيات ، ويأتي ذكره . صاحبه ينظر في الامور التي وجودها في الذهن .

جـ ــ العلم الاسفل : وهو علم الطبيعيات ، ويأتي ذكره . صاحبه ينظر في الامور التي وجودها في الحس .

٢ ــ والعمل : وهو على ثلاثة انحاء [٦] :

أ ــ سياسة الانسان نفسه وبدنه : وهي سيرته في نفسه ، بالاعمال الصالحة والافعال الحسنة وتنقسم الى قسمين .

---

١ ــ ق : حيوة .
٢ ــ د : (العقل) ساقطة .
٣ ــ س : الحجة .
٤ ــ ق : (امران هما) ساقطة .
٥ ــ س : ثلثة .
٦ ــ س : ثلثة انحا .

ب ـ سياسة المنزل : وهي سيرته في[1] اهله وآله [2] وولده وعبيده[3] وما لا غناء به عنه [4]، وينقسم الى اقسام .

جـ ـ سياسة أهل نوعه : وهي سيرته التي لا يستغني عنها ما دام حياً ، وتنقسم الى اقسام .

[١٦ أ] أما العلم الاعلى فأربابه هم [5]المصطفون ، وينقسم الى قسمين :

١ ـ العلم [6] بالكتاب : وينقسم قسمين :

أ ـ اختلاف القراآت واحوالها [7] .

ب ـ علم المعاني والاحكام ، وينقسم الى قسمين :

أ ـ علم التأويل ، وينقسم الى النظر في فروع الدين والاختلاف فيها ، وارابه هم الفقهاء ،وهم على نوعين :

١ ـ اصحاب نص .

٢ ـ اصحاب قياس .

ب ـ علم التفسير وينقسم الى : قصص الكتاب وأسباب نزوله ،وارابه هم المتكلمون ، وهو على انحاء :

١ ـ معرفة الاسماء والاحكام .

٢ ـ تصحيح النبوة .

---

١ ـ ق : مع.
٢ ـ د : وماله .
٣ ـ د : وعبده .
٤ ـ د : وما لا غنيان له عنه .
٥ ـ د : (هم) ساقطة .
٦ ـ د : العمل .
٧ ـ س : (واموالها) ساقطة .

٣ ـ اثبات التوحيد .

٢ ـ العمل بالسنة : وقد اختص به المحدثون ، وينقسم الى :

أ ـ معرفة تواريخ المشايخ ومواليدهم .

ب ـ معرفة المرفوع من الحديث والموقوف .

جـ ـ معرفة مشاهير الحديث الدائرة عليها احكام الشريعة .

وينقسم الى :

١ ـ قصص الكتاب .

٢ ـ واسباب نزوله [١] .

والعلم الالهي عند الفلاسفة ينقسم الى أربعة اقسام : [١٦ ب]

القسم الاول : في خروج كل خارج من القوة الى الفعل ، وسبب القوة والفعل معاً .

القسم الثاني : البحث عن مبادىء البراهين ، في [٢] جميع العلوم النظرية .

القسم الثالث : الفحص عن الموجودات التي ليست باجسام، ولا في اجسام، ولا تعلق لها بالمواد .

القسم الرابع : الفحص عن الشيء المتقدم لهذه الموجودات كلها .

وبيان فضيلة هذا العلم من وجوه ثلاثة [٣] :

الوجه الأول : انه علم يبحث عن علة ، وما سواه يبحث عن المعلومات ، ولا شك ان علم العلة اشرف [٤] .

---

١ ـ ق : (وينقسم الى : ١ ـ قصص الكتاب ٢ ـ واسباب نزوله) ، ساقطة.

٢ ـ س : و ،

٣ ـ ق : ثلاثة (يأتي ذكرها) زائدة .

٤ ـ س : التعريف كله من (انه علم ... اشرف) ساقط .

الوجه الثاني : انه علم يبحث عن معنى هو النهاية ، وهو ربوبية الخالق تبارك وتعالى ، لانها نهاية أوصاف الواصفين [1] .

الوجه الثالث : انه علم يبحث عنه بقوة العقل مجردة ، ولا يستعان فيه بشيء من القوى الحسية [2] .

ويتصل بالعلم الاعلى علوم عدة ، اختلف الناس فيها ، فمنها :

أ ـ علم الكهانة .

ب ـ علم الرياضة [3] .

جـ ـ علم الطلسمات .

د ـ أحكام النجوم .

هـ ـ عبارة الرؤيا .

و ـ الفراسة .

ز ـ علم العيافة .

ح ـ الرقي والسحر .

ط ـ علم العزائم .

ي ـ علم [4] الفأل والزجر .

وأما العلم الاوسط : فهو علم الرياضيات ، وليقدّم عليه تقويم اللسان ،

[١٧ أ] إذا كان أول مشتغل به ومفتقر إليه، وهو داخل في هذا القسم، فنقول علم اللسان ينقسم إلى:

(١) مفرد : كاللغة والنحو .

(٢) مركب :

---

١ ـ س : التعريف كله من (انه علم ... الواصفين) ساقط.

٢ ـ د : التعريف كله من (انه علم ... الحسية) ساقط .

٣ ـ ق : (علم الرياضة) ساقطة .

٤ ـ س : (علم) ساقطة .

أ ـ المنظوم : كالرجز والقصيد .

ب ـ المنثور : كالخطب[1] والرسائل[2] وعلم الاخبار وتنقسم الى[3] :

أ ـ اخبار الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم وسلامه .

ب ـ اخبار الملوك وسياساتهم ، وذكر الدول والحوادث .

جـ ـ اخبار الفضلاء والحكماء والكرماء من سائر الناس واضدادهم .

وينقسم ايضاً الى هذه القسمة :

الاول[4] : الامر والنهي والتحريض ، كما يأمر بفعل امره[5] او يحرض على لقاء عسكر ، او ينهي عن منكر .

الثاني : الشكاية ، كما يشكو الرجل صاحبه او زمانه ويذم افعاله .

الثالث : الاعتذار ، كما يعتـــذر المرء عن فعله ، ويدلي بحجته فيما أتى او قيل عنه .

الرابع : المديح ، لمدح المرء صاحبه بأنه خير ، او مدحه كبير قوم رجاء[6] منفعته .

الخامس : الهجاء ، كذم المرء صاحبه ، او من اساء اليه[7] بذكر مذموم[8] طرائقه .

وينقسم ايضاً الى اقسام خمسة[9] : [١٧ ب]

١ ـ ق : (الواو) ساقطة .

٢ ـ ق : » » .

٣ ـ الاخبار يقصد .

٤ ـ س : (الاول) ساقطة .

٥ ـ س : و .

٦ ـ ق : او مدحه كبيراً ارجاء .

٧ ـ س : اسى (اليه) ساقطة .

٨ ـ س : يدم .

٩ ـ ق : (اقسام خمسة) ساقطة .

الاول [1] : علم الالفاظ المفردة وقوانينها .
الثاني : علم الالفاظ المركبة وقوانينها ، وينقسم الى :
أ ـ كلام الولاة : هو الذي يستعمله ولاة المدن في محافلهم ، ويقصدون به التفخيم .
ب ـ كلام البلغاء : هو الذي يستعمله الفصحاء في اظهار بلاغتهم .
ج ـ كلام السوقة : هو الكلام المرذول المستعمل بين العوام .
د ـ كلام الجدل : هو الذي يبحث به اهل الجدل بعضهم لبعض بقصد الايجاز .
هـ ـ كلام الصناع : هو اصطلاح ارباب الصناعات في صناعاتهم .
الثالث : علم قوانين تصحيح الكتابة .
الرابع : علم قوانين تصحيح القراءة .
الخامس : علم قوانين الاشعار .
وصواب البلاغة والنطق[2] والنطق ينقسم الى هذه الاقسام [3]:
الاول : ان ينطق بما ينبغي ، وذلك ان يتكلم بما ينتفع به السامع والقائل لا غير .
الثاني : ان ينطق بقدر ما ينبغي ، وذلك بقدر الحاجة ، فان [4] زاد كان هذرا ، وان نقص كان حصرا [5] .
الثالث : ان ينطق كما [6] ينبغي ، وذلك ان يخاطب كل طبقة بما يليق بهم .
الرابع : ان ينطق متى ينبغي ، وذلك ان يكون كلامه عند الحاجة اليه فقط .

---

١ ـ ق : (الاول) ساقطة وكذلك (الثاني ، الثالث ، الرابع ، الخامس) في بداية التعاريف ، ساقطة .

٢ ـ هذه وثيقة تدل دلالةً واضحة ، أن المؤلف قد نما إليه تطور فكرة الاتصال بين اللغة والمنطق ، والتي برزت في القرن الرابع الهجري .

٣ ـ ق : ينقسم الى اقسام يأتي ذكرها .

٤ ـ ق : فاذا .

٥ ـ ق : خصرا .

٦ ـ س : يناطق ، كما : غير واضحة .

وصناعة المنطق[1] تابعة لما قدمنا ، وتنقسم الى خمسة اقسام [2] : [١٨ أ]

١ ـ اما ان يؤدي الى الحق المحض والصدق في سائر احواله ، ويسمى برهاناً، وهو صناعة اليقين .

٢ ـ واما ان يؤدي في اكثر احواله الى الصدق، وقد يكذب يسيراً، ويسمى جدلاً [3] ، وهو صناعة الظنون .

٣ ـ واما ان يؤدي بالسواء[4]، الى الحق مرة والى الباطل اخرى، ويسمى خطابة ، وهو صناعة الاقناع .

٤ ـ واما ان يؤدي في اكثر احواله الى الكذب ، وقد يصدق يسيراً ، ويسمى سوفسطائياً [5] وهو صناعة المغالطة.

٥ ـ واما ان يؤدي الى الباطل المحض ، ويسمى شعرياً ، وهو صناعة التخييل . والرياضيات على رأي الفلاسفة [6] تنقسم الى اربعة اقسام :

١ ـ علم العدد :

أ ـ نظري ؛ هو الذي ينظر في الاعداد المجردة [7] عن الاجسام بالاطلاق.

ب ـ وعملي ؛ كالذي ينظر في الاعداد من حيث هي معدودات كالدراهم.

٢ ـ علم الهندسة :

أ ـ نظري؛ كالنظر في الخطوط وغيرها ، مما لا تعلق لها بمادة ولا جسم.

---

١ ـ إن الفقرة اللاحقة تثبت أن المؤلف من المتأخرين لأن تقسيماته المنطقية تنم عن معرفته التامة بمنطق أرسطو، الذي لم يكن قد ترجم كاملاً في مطلع القرن الثالث الهجري. انظر:

أ ـ ابن النديم ص ٢٤٨ ـ ٢٥٢ .

ب ـ ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٦٧ وما بعدها .

جـ ـ القفطي: ص ٣٤ ـ ٣٧.

د ـ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم ص ٢٦ .

هـ ـ دائرة المعارف الإسلامية، مادة أرسطو، (الترجمة العربية) الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩، المجلد الثاني ص ٥٨١ ـ ٥٩٣.

٢ ـ س : (اقسام) ساقطة . ٣ ـ ق : جلالا . ٤ ـ س : بالسوي .

٥ ـ س : سوفسطانا . ٦ ـ ق : (الفلاسفة) ساقطة . ٧ ـ ق : المتجردة .

ب ـ وعملي ؛ كعمل الخطوط والسطوح ، اذا كانت في مـادة ، كالحديد والخشب .

٣ ـ علم الهيئة :

أ ـ نظري : ١ ـ النظر في الاجرام العلوية .
٢ ـ النظر في حركات الاجرام ودورانها .
٣ ـ النظر في الارض وكونها ساكنة بجملتها .

ب ـ وعملي ؛ وهو الذي يؤدي الى الاحكام ، واتخاذ آلات الرصد .

٤ ـ علم الموسيقى :

أ ـ نظري ١ ـ النظر في مبادىء هذا العلم .
٢ ـ استخراج النغم واصنافه .
٣ ـ اتخاذ ما حصل بالبراهين في الآلات
٤ ـ النظر في انواع الايقاعات .
٥ ـ تأليف الالحان على طريق الاجمال .

ب ـ وعملي ؛ وهو الذي يصنع الألحان ويضعها على الآلات .

[١٨ ب] وصناعة الهندسة تنقسم الى خمسة اقسام :

القسم الاول : في الخطوط والسطوح ولواحقها .

القسم الثاني : في المجسمات من المكعب والمدور وانواعها .

القسم الثالث: في المناظر من الامتداد والانعكاس .

القسم الرابع: في مراكز الاثقال واستخراج كميات الاجرام .

القسم الخامس: في الحيل وعمل الآلات النجومية والإواني .

وصناعة الموسيقى تنقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : ما يستعمل الفم وحده ، بمنزلة الاصوات وتركيباتها [١] في الحنجرة .

---

١ - ق : وتركيبها .

القسم الثاني : ما يستعمل الفم واليدين جميعاً ، بمنزلة الايقاع والضرب بالعود وأمثاله ، والآلات على نوعين :

أ ـ طبيعية : كالحنجرة واللهاة .

ب ـ صناعية : كالعيدان والمزامير .

القسم الثالث : ما يستعمل اليدين خاصة ، بمنزلة ضرب الدف والطبل واشباهها .

وأما العلم الأسفل: فهو علم الطبيعيات، وصاحبه هو الذي ينظر في [١٩ أ]
طبائع الموجودات وكيفية العناصر وتركيباتها وافعالها في النبات والمعدن والحيوان ، وتنقسم الى اقسام :

الاول : معرفة العناصر التي هي اركان العالم وكيفية امتزاجها وتركيبها .

الثاني : معرفة القوى المدبرة لابدان (١) الحيوان ، وهي اربعة :

١ ـ جاذبة ٢ ـ ممسكة ٣ ـ مغذية ٤ ـ دافعة .

الثالث : معرفة عللها واعراضها وامراضها ودلائلها على كل مرض وسائر أسبابها(٢) .

الرابع : معرفة الادوية المفردة والمركبة ، واستعمالها في استجلاب الصحة المفقودة وحفظ الموجودة ، وهي صناعة الطبيب ، وتنقسم الى اقسام :

احدها بالعقاقير : كالذي يداوي باستعمال الادوية المفردة والمركبة .

ثانيها بالحديد : كالذي يداوي بالقشط والقطع والكي واشباه ذلك .

ثالثها بالاغذية : هو الذي يسوس المريض بالاطعمة والاشربة .

رابعها بالدلالات (٣) : كالذي يكون خبيراً بالدلالة على الدواء والامراض .

خامسها بالمعونة : كالذي يخلص من الاوجاع بالمعونة من خارج .

واعلم أن كل إنسان إذا رجع إلى نفسه وتأمل أحوالها بعين بصيرته [١٩ ب]

---

١ ـ س : الابدان . ٢ ـ س: أسبابه. ٣ ـ ق : بالآلات .

واحوال غيره من الناس وجد نفسه في رتبة يشركه فيها طائفة منهم ، ووجد فوق رتبته طائفة هم اعلى[1] بجهة أو جهات ، ووجد دونها طائفة هم اوضع منه بجهة او جهات . لان العظيم منهم ، وان وجد نفسه في محل لا يرى لاحد من الناس في زمانه منزلة اعلى [2] من منزلته ، فانه اذا تأمل حاله وجد في الناس من يفضله [3] بنوع من الفضيلة . وكذلك الوضيع الخامل يجد من هو اوضع منه بنوع من الضعة ، اذ ليس في اجزاء العالم من [4] هو كامل من جميع الجهات ، فانتفاع المرء بالسيرة الصالحة بين هؤلاء الطبقات الثلاث. اما مع العظماء فليقرب من مرتبتهم ، واما مع الاكفاء فليفضل عليهم ، واما مع الاوضعين قليلا فلا ينحط[5] الى رتبتهم .

ونقول ان انفع الطرق [6] التي يسلكها الانسان فيما تقدم ، هو ان يتأمل احوال الناس واعمالهم وتصرفاتهم[7]، مما يشاهد ويسمع ويقسّم النظر فيها ، اويميز بين محاسنها ومساويها ، ويبين النافع لهم والضار منها ، ويجتهد حينئذ في التمسك بمحاسنها لينال [8] من منافعها ما نالهم ، وفي التحرز من مساويها ليأمن مضارها ، ويسلم مثل ما اسلموا. وليعلم ان المقصود من العبادات والطاعات. والتخلق بجميل الاخلاق ، انقطاع النفس عن عالم المحسوسات واقبالها على عالم الروحانيات ، حتى ان الانسان عند الموت يفارق من المنافي الى الملائم . ومن قصد باستعمال الطاعات والعبادات غير ذلك ، فقد احكم العلاقة مع عالم المحسوسات ، وبالغ في الفرار من عالم الروحانيات . فعند المفارقة ينتقل من الملائم الى المنافي ، نعوذ بالله من ذلك ونسأله ان ينظمنا على ابتغاء رضوانه ، ويلم شعثنا بضروب احسانه ، ويختم اعمالنا برحمته وغفرانه ، ويسهل علينا طلاب ما اعده لاوليائه ، انه على كل شيء قدير .

---

١ — س : أعلا .
٢ — » : » .
٣ — س : يفضل عليه .
٤ — س ، ق : ما .
٥ — س ، ق : فلينحط ، وهذا منافي للقيم والتعاليم الاخلاقية ، ولذا نحبذ ان تكون كما ثبتنا اعلاه .
٦ — ق : الاشياء .
٧ — س : ومتصرفاتهم .
٨ — ق : لينالها .

قد ذكرنا في اول هـذا الفصل ، ان العمـل المطلوب من الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام وبيناها[1] هناك . وسنفرد الآن كل قسم ونتكلم عليه[2]. [٢٠ أ]

القسم الاول في سيرة الانسان :

١ ـ في نفسه ؛ وذلك باستعمال ما قدمنا ذكره من اصلاح اخلاقها، وتجويد افعالها ، واجتهادها في بلوغ الكمال .

٢ ـ في بدنه ؛ وذلك بصناعة الطب ، وتنقسم الى حفظ صحـة موجودة وارتجاع صحة مفقودة ، وذلك ان الانسان مضطر الى هذه الاحوال مدة حياته :

أ ـ الهواء ؛ لكونه خلفاً لما يتحلل من روحه ، ومعدّلاً لحرارتـه الغريزية .

ب ـ الطعام والشراب ؛ ليصير خلفاً لما يتحلل من جسمه ، ويحفظ رطوباته .

جـ ـ الحركة والسكون ؛ ليتصرف في ضرورياته ، ويستريـح وقت حاجته .

د ـ النوم واليقظة ؛ لاستراحة القوى النفسانيـة ، وتتميم الافعال الطبيعية .

هـ ـ الاستفراغ ؛ لاخراج ما لا حاجة اليه من فضول البدن .

و ـ الجماع ؛ ليبقى النوع ، اذ لا سبيل الى بقاء الشخص . وصحة بدنه تحفظ بتعديل هذه الامور :

١ ـ الكمية : بأن يعدل مقدارها بحسب الحاجة بغير زيادة ولا نقصان.

٢ ـ الكيفية[3]: بأن يختار منها ما هو أوفق وأصلح.

٣ ـ الزمان[4]: يستعمل كل حاجة في وقتها وأوانها.

---

١ ـ ق : أو بيناها .

٢ ـ ق : تضيف ما يلي : وبالله سبحانه وتعالى المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا به .

٣ ـ س: والكيفية ٤ ـ س: والزمان.

٤ ـ الترتيب[١]: يقدم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخيره.
٥ ـ تدارك الخطأ[٢]: من قبل أن يحدث ضرر أو مرض.

[٢٠ ب] القسم الثاني في سيرة [٣] الانسان في خمسة اشياء [٤] :
١ – المال : به يمكن الانسان التوصل الى مآربه .
٢ – الزوجة : هي ربة المنزل ، وشريكة الرجل فيه .
٣ – الولد : وهم الخلف والذرية ، وهم قوام الانس.
٤ – العبيد [٥] : وهم خدام المنزل والقوام به .
٥ – التدبير : وهو اجراء اموره على الصواب .

اما المال ؛ فانه لما كان الانسان منتقصاً دائم التحلل ، احتاج الى ان يستمد من الغذاء مكان ما يتحلل منه بالحركة. ولما افتقر الى الاغذية وجد اعدلها وارفقها له الحيوان والنبات، وكلاهما يحتاج الى مراعاة .

اما الحيوان؛فيحتاج ان يحفظ ويغذى ويكنّن من الحر والبرد .

واما النبات؛فيحتاج الى ان يزرع ويغرس ويسقى ويربى الى غير ذلك . واحتاج ايضاً لجمع الغذاء واتخاذه الى صناعات اخر كثيرة . وذلك هو السبب في اتخاذ المدن والممالك. وسنذكره اذا انتهينا اليه في الفصل الرابع [٦] من الكتاب. فان النجار يحتاج الى الحداد ، والحداد يضطر الى صناعة اصحاب المعادن ، وتلك الصناعة تحتاج الى البناء . وكل واحدة من هذه الصناعات ، وان كانت تامة في نفسها ، فانها تحتاج الى الأخرى كما يحتاج بعض اجزاء السلسلة الى بعض ، فوقع الاضطرار الى التعاون والتعاضد والتساعد ، ولم تكن حاجة كل واحد منهم في وقت حاجة صاحبه في اكثر الاوقات ليعنوا بالمعاوضة . ولم تعلم قيم الاشياء واجرة الصناعات فاحتيج حينئذ الى شيء يثمن

---

١ – س: والترتيب.
٢ – س: وتدارك الخطأ.
٣ – س : سيرته (الانسان) ساقطة .
٤ – ق : (خمسة اشياء)
٥ – « : العبد .
٦ – س ، ق : الثالث .

به جميع الاشياء وتعرف قيمها . فمتى احتاج الانسان الى شيء ما دفع ثمنه ، او وزن اجرته من هذا الجوهر النفيس.

فقد بان بما ذكرناه انه من صار في يده[1] شيء من هذا الجوهر الذي سميناه، فكأن الأنواع التي يحتاج إليها كلها قد حصلت في يده. ويحتاج المال إلى [٢١ أ] امور ثلاثة [2] ،هي :

١ ـ اكتسابه : يجتنب في الاكتساب هذه النقائص :

أ ـ الجور : ١ ـ كالبخس في الوزن .
٢ ـ التطفيف في الكيل .
٣ ـ الجحود للحق .
٤ ـ المغالطة في الحساب .

ب ـ العار : ١ ـ كمثل الشتم والصفع والاهانة .
٢ ـ واحتمال اشباه ذلك طلباً للكسب .

ج ـ الدناءة : ١ ـ بأن يترك صناعة آبائه من غير عجز .
٢ ـ او ينتقل عن تلك الصناعة الى ادون منها .

٢ ـ حفظه [3] : يحتاج في ذلك الى هذه الاحوال :

أ ـ احدها : ان لا يكون ما ينفق اكثر مما يكسب .

ب ـ الثاني [4]: ان لا يكون ما ينفق مساوياً لكسبه .

ج ـ الثالث [5] : ان لا يمد يده الى ما يعجز عن القيام به

---

١ ــ س . (يده) ساقطة .
٢ ــ » . ثلثة .
٣ ــ ق . وحفظه .
٤ ــ » . ثانيها .
٥ ــ » . ثالثها .

د ـ الرابع [1] : ان لا يستعمل ماله في شيء يبطىء خروجه عنه .

٣ ـ وانفاقه [2] : ينبغي ان يحذر فيه هذه الامور :

أ ـ اللؤم : هو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل .

ب ـ التقتير : هو التضييق فيما لا بد منه ، مثل قوت العيال .

جـ ـ السرف : هو الانهماك في الشهوات واللذات .

د ـ البذخ [3] : هو ان يتعدى المرء ما يتخذه أهل طبقته مباهاة .

هـ ـ سوء التدبير : هو ان ينفق في غير ضرورة ، ويهمل الأهم من اموره .

ويؤتى من قبل انه لا يعرف مقادير النفقة ، لا مال يحفظ صاحبه ، ولا بلذة يتمتع ، ويؤتى صاحبه من قبل ايثاره اللذات ، ويؤتى صاحبه من قبل انه لا يعرف اللذات [4] ، ويؤتى صاحبه من قبل انه لا يعرف طرق الجميل .

والذي يجب على الانسان في ماله :

١ ـ ان يعرف ابواب الجميل ، ويرغب فيها ويبتغيها ، ويستميل اليها [5] .

٢ ـ ان يعرف الحق اللازم ، ويوجبه على نفسه .

٣ ـ ان لا يقصد الانفاق على شهواته ولذاته .

٤ ـ ان لا يتعدى ما يفعله أهل طبقته .

---

١ — ق : رابعها .
٢ — « : وانفاقه (الواو زائدة) .
٣ — « : الذح .
٤ — « من و(يؤتى ... اللذات) ساقطة .
٥ — « : (ويستميل اليها) » .

٥ ـ ان يعرف مقادير [١] استحقاق كل حال ، مما يحتاج اليه .

٦ ـ ان يكون انفاقه كرماً لا تبذيراً واسرافاً ، فاذا فعل ذلك ، نسب الى كل خلق محمود .

والزوجة تراد لشيئين : [٢١ ب]

احدهما من طريق الرأي : وذلك ان اكثر اشتغال الرجل خارج منزله ، فهو مضطر الى الخروج عنه ، ولا بد له اذ هو كذلك من يحفظه له ويدبر له ما فيه . وليس يمكن ان يبلغ أحد من العناية بشيء غيره ما يبلغه بشيء نفسه . فلما كان الأمر كذلك ، كان اصلح الاشياء للرجل ان يكون في منزله شريك يملكه كملكه ، حتى يعنى كعنايته ، ويكون تدبيره كتدبيره ، فهذا هو الباب الذي دعى الرأي اليه ودل على الاختيار . والغرض من ذلك أمران :

أ ـ أحدهما النفس : وهو صحة العقل وجودته والعمل به .

ب ـ والآخر البدن : وهو صحة البدن والبنية وكمال الاعضاء وبعض الحس .

ومتى خلت من هذين الامرين [٢] ، فليس مع سقم البدن وفساد العقل نجابة أصلاً .

الثاني من طريق الطبع : وهو ان الخالق تعالى لما جعل الناس يموتون ، وقدّر بقاء الدنيا الى وقت ما جعلهم يتناسلون . وجعل التناسل من شيء يجتمع فيه الحرارة والرطوبة . فاما الحرارة فلأن النشوء [٣] والنماء والحركة لا تكون الا بها . واما الرطوبة فلأن الانطباع والتصوير على اختلاف مقاديره واشكاله لا يكون الا فيها . وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء ، لان الحرارة

---

١ ـ ق : (مقادير) ساقطة .
٢ ـ ق : (الامرين) ساقطة .
٣ ـ « : نشو .

تحللها وتفنيها . فلما كان لا يوجد من كل واحد منهما في بدن واحد مقدار القوة التي يكون منها الولد فكذلك صار الولد [1] من ذكر وأنثى . لأن الحرارة في الذكر اكثر، والرطوبة في الانثى اكثر . فاذا القى الذكر في الانثى من الحرارة ما قدّر الباري عز وجل ان يكون مثله الولد ، استمدت تلــك الحرارة من رطوبــة الانثى ما يكون منه تمــام الخلقـــة بقدرة الله تعــالى وتقدس .

[٢٢ أ] وليس ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة هذه الأمور [2] :

١ ـ لا حسباً [3] : لكونه يدعو صاحبه الى الاتـكال عليه ، ويترك كثيراً مما يزينه .

٢ ـ ولا مالاً : لكونه يبطر الرجل ويفسد ماله ، هذا مع فضيلة الرجل ، فما ظنك بالمرأة ونقصانها .

٣ ـ ولا جمالاً : لكثرة من يرمقه ببصره ، فيكون سبباً لفساد صاحبــه . فانه متى قصد واحداً من هذه ، وكان موجوداً عند المرأة ، رأت انه قد ظفر ببغيته منها ولم يبق عليها شيء تتقرب به اليه ، فقصرت في تدبير منزله ، الذي أرادها له وفسد حاله .

وينبغي ان يستعمل صاحب المرأة ، هذه الاحوال الستة [4] :

الأولى : ان يبدأ فيفهمها انه لم يردها للولد دون العناية بمنزله وتدبيره .

الثانية : ان يأمرها بحفظ منزله ، في حضوره وغيبته ، وصحته ومرضه ،

---

١ ـ ق : (فكذلك صار الولد) ساقطة .

٢ ـ ق : (هذه الامور) ساقطة.

٣ ـ ق : حسبا .

٤ ـ ه : الستة (وهذه هي) زائدة .

وسائر احواله .

الثالثة : ان لا يمكّنها من رأس ماله ، ولا يظهر لها ولوعاً وعشقاً مفرطاً .

الرابعة : ان يكتم اسراره عنها ، ولا يطمعها في مطاوعته اياهـا ولا يستشيرها في شيء [1] .

الخامسة : ان يقتصر على الواحدة ما أمكن ، فهو ادعى للنظام .

السادسة : اذا ابتلى بصاحبة ردية ، فليحتل في الخـلاص منها بأسرع ما يقدر عليه .

وأما الولد فينبغي أن يؤخذ بالأدب من صغره، فإن الصغير أسلس [٢٢ ب] قياداً واسرع مواتاة ، ولم تغلب عليه عادة تمنعه من اتباع ما يراد منه . ولا له عزيمة تصرفه عما يؤمر به ، فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيراً كان او شراً ، لم يكد ينتقل عنه ، فان عوّد من صباه المذاهب الجميلة والافعال المحمودة ، بقي عليها ويزيد فيها اذا فهمها . وان اهمل حتى يعتاد بما تميـل اليه طبيعته مما غلب [2] عليها أو عوّد اشياء ردية ، مما ليس في طبيعته ، ثم اخذ بالادب بعـد غلبته تلك الأمور عليه عسر انتقاله مع الذي يؤذيه . ولم يكد يفارق ما جري عليه فان اكثر الناس انما يؤتون في سوء مذاهبهم من عـادات الصبا . واعلم ان اصلح الصبيان من كان منهم على الحياء وحب الكرامة ، ومن كانت له انفة . فاذا كان كذلك كان تأديبه سهلاً ، ومن كان من الصبيان بالضد عسر تأديبه . ثم لا بد لمن كان كذلك من تخويف عند الاساءة ، ثم [3] تحقيق ذلك بالضرب اذا لم ينفع التخويف ، ثم الاحسان اذا احسن .

---

١ – ق : (في شيء) ساقطة .
٢ – « : اغل .
٣ – س : (ثم) ساقطة .

فما يجب ان ينشأ عليه :

١ ــ حسن التأديب :

أ ــ نفساني : ١ ــ بالنظر في أمور الشريعة .

٢ ــ وتعلم [١] العلوم والآداب .

٣ ــ وابداء [٢] الرأي بمشورة العلماء .

٤ ــ وتصفح [٣] الكتب والسير .

ب ــ جسماني : ١ ــ بالفروسية ومشاهدة المعارك .

٢ ــ في [٤] الاكل والشرب والنوم واليقظة .

٣ ــ في سائر الحركات والتصرفات .

٢ ــ حسن التشبيه :

أ ــ بتلقين كلام حسن لا فحش فيه .

ب ــ وان [٥] يمنع من عَوَرِ[٦] الكلام .

جـ ــ ولا يمدح[٧] ولا يذم .

٣ ــ حسن التربية :

أ ــ اختيار مذهب جميل .

ب ــ عادات مرضية .

جـ ــ تعذيبه بلين لا آفة فيه .

د ــ تحفظ بقانون الصحة .

---

١ ــ ق : تعليم و(الواو) ساقطة .

٢ ــ « : (الواو) «.

٣ ــ « : « «.

٤ ــ ق : (في) ساقطة .

٥ ــ « : (الواو) «.

٦ ـ العوراء: الكلمة القبيحة، والعَوَرُ: شَيْنٌ وقُبْحٌ . ابن منظور: لسان العرب، مادة: عور جـ ٤ ص ٦١٥.

٧ ـ ق: لا يمزح.

وللولد حالان :

١ ـ حال في صغره عند التربية يؤخذ بهذه :

أ ـ يجب ان يصغّر الطعام في عينه ، ويقبّح لديه الشره والنهم .

ب ـ ويؤمر [١] ان يأكل من بين يديه خاصة ، ولا ينظر الى احد من الحضّر .

ج ـ ويعوّد القناعة بادون الاطعمة ، ويؤمر بخدمة الناس .

د ـ ويجعل طعامه وقت الفراغ من وظائف الاشتغال .

هـ ـ ويجعل عادته السخاء والخدمة ، ويمنع من التكاسل ، ويحث على النشاط .

و ـ ويحذّر من الاقوال القبيحة كالشتم والحلف[٢] .

ز ـ ويعاقب على الكذب والقحة .

ح ـ ويبغض اليه الذهب والفضة ، ويمنع من سماع حديث الباه .

ط ـ ويؤذن له في اللعب اليسير الخالي من السفه .

٢ ـ حال في بلوغه رق التأديب ، يجب ان يؤخذ بهذه :

أ ـ ينبغي ان يطلب له معلماً عاقلاً حسن العلم ، يبتدى به في كتاب الله تعالى لا يشغله بغيره .

ب ـ ثم يعلم الكتابة والقراءة ، ويحرّض على تجويد الخط .

ج ـ ويعرّف طرفاً من اللغـــة والنحو بقدر قوته ، ويعتني بشيء من البلاغة والرسائل .

---

١ ـ س : ويأمر .

٢ ـ ق : والخلف .

د ـ ثم يراض خاطره بالحساب والهندسة واستخراج المجهول بالمعلوم .

هـ ـ وليعتني بالفضائل المختارات واعرابها ومعانيها .

و ـ وليشتغل بطرف من الفقه ، ويطالع كتب الأحاديث .

ز ـ ويؤمر مع ذلك باكرام معلمه ، والمبالغة في خدمته ، ويعرف حقه .

فعند ذلك يبلغ الى حال يتناول فيه ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره .

[٢٣ أ] وأما العبيد فهم ثلاثة [١] :

١ ـ عبد الطبع : هو الذي بدنه قوي على التعب ، وليس له في نفسه تميز ، ولا معه من العقل الا مقدار ينقاد لغيره ، ويقرب من البهائم .

٢ ـ عبد الرق : هو الذي اوجبت الشريعة عليه العبودية ، وينقسمون ثلاثة اقسام [٢] :

الأول [٣] يراد للمنزل : ينبغي ان يكون حسن الوجه جميل الاخلاق لطيف الشكل ذكياً فطناً عاقلاً . وهذا بمنزلة الحواس لان الانسان بهم يعرف احوال منزله .

الثاني يراد للمناولة : ينبغي ان يكون حراً بالطبع ، ذا نفس ليّنة ذليلة وبدن متوسط . وهذا بمنزلة اليدين لكونه يتوصل بهما الى اخذ الموافق ومنع المنافي .

الثالث يراد للاعمال الجافية : ينبغي ان يكون حراً ذا نفس قوية وبدن قوي يواتيه على الاعمال الجافية . وهذا بمنزلة الرجلين لان بهما وعليهما كل البدن وثقله .

٣ ـ عبد الشهوة : هو الذي لا يملك نفسه لغلبة شهوته وخواطره ، ومن

---

١ ـ ق : فثلاث (فهم) ساقطة . س : ثلثة .

٢ ـ س : ثلثة (اقسام) ساقطة .

٣ ـ « : احدهم .

كان كذلك فهو عبد سوء لا ينتفع به .

واما سيرة المرء معهم ، واتخاذه لهم ، فسنصف ذلك هنا [1] :

١ – ينبغي ان يحفظ عبيده كما يحفظ اعضاءه ، ويفكر لهم في امرين : الاول [2] الجنس الذي يجمعه واياهم . الثاني فيما ابتلوا به .

٢ – ويجب ان يفكر في جنسهم ، وانه لو ابتلى بمثل ما ابتلوا به لأحب ان يرزق من يلطف به .

٣ – وينبغي ان يتغافل عن أول زلة ، ثم يعاتبه على الثانية ، ثم يحذره ثم ينذره ثم يعاقبه .

٤ – وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من الاحسان كلما أحسن احدهم رفعه .

٥ – وان يجعلهم اقساماً ويرتبهم مراتب يعرف كل امرىء منهم مقامه .

٦ – وان يكون غرضه من الرياسة عليهم ، ان تكون خدمتهم محبة لا خيفة ، وطاعتهم رغبة لا رهبة .

٧ – وينبغي ان يستقصي عليهم في الخدمة وينيلهم في تضاعيف الخدمة حظاً من الراحة .

٨ – ويجتهد في قضاء حقوقهم المتقدمة بقسط من النفع الذي لا يضر بالموالي .

٩ – وان يلقي بجيئهم بالبشر ، ويقابلهم بالاكرام ، ويدرّ عليهم رزقهم على عادة [3] العبيد والعامة ايضاً .

---

١ - ق : (هنا) ساقطة .

٢ - « : احدهما .

٣ - س : عادته .

١٠ – وينبغي ان يستخلص العبيد[١] العامة لسلطانهم ايضاً اولاً ، ويحثهم على طاعته ، ثم بعد ذلك لنفسه .

[٢٣ ب] التدبير وهو على ستة انحاء :

١ – طلب المرتبة التي تخص كل انسان ، وهي على ضربين :

أ – المرتبة الخاصة ، وهي على ثلاثة انواع :

١ – الرياسة السلطانية ، وهي صنفان :

أ – رياسة الملك : نذكر ذلك في الفصل الرابع من الكتاب انشاء الله تعالى .

(ب) رياسة الحشم ، وهي على ضربين :

١ – صاحب سيف : (أ) تحصل باستعمال الفروسية والاسلحة .

(ب) وبمباشرة الحروب والوقائع واظهار الشجاعة .

٢ – صاحب قلم : (أ) تحصل بكمال الادب من الخط والبلاغة .

(ب) وحذق صناعته التي يقصدها .

(ج) ومعرفة رياسته واجرائها على الترتيب .

(٢) رياسة الرعاية ، وهي صنفان :

(أ) رياسة العلماء ، وتحصل بثلاثة اسباب :

١ – تحصل بعنايته اولاً ، بجمع العلوم وحفظها .

٢ – وان يبدأ بالاحمد عند الجمهور كالخط والفقه .

٣ – وان يتبع ذلك باظهار الدين والورع والخير .

(ب) رياسة الدهاقنة ، وهي على ضربين :

١ – تحصل بكثرة الاطعام ، وقضاء الحوائج ، وبذل المال .

٢ – وبالاهتمام باحوالهم واظهار النصح والشفقة عليهم .

---

١ – ق : (العبيد) ساقطة .

٣ ـ الواسطة بينهما : كرياسة القضاة ، وهي على ثلاثة [١] اضرب :

أ ـ تحصل بمعرفة العلوم الشرعية واحكامها .

ب ـ وبصرف العناية الى ارباب [٢] الدعاوى والبينات .

(جـ) وان يحضر مجالس القضاة دائماً ليعرف احوالهم .

ب ـ المرتبة العامة ، وهي على نوعين :

(١) مرتبة التجار واهل المراتب :

(أ) تحصل بجمع المال من احسن وجوهه ، والإكتساب الدائم المعتدل .

(ب) وبأظهار العدل في المعاملات ، والانصاف من نفسه .

(جـ) واظهار السيرة الحسنة ، ومعاونة الاصحاب .

(٢) مرتبة السوقـــة والجمهور : هي ادنى المراتب ، وهي مبذولة لكل دنيء النفس .

٢ ـ اتخاذ الحرف : ليقيم منها معاشه ، وما يحتاج اليه : [٢٤ أ]

آ ـ وينبغي ان لا يدنس عرضه بصناعة دنية ، وأن كانت حرفة آبائه .

ب ـ وينبغي ان يعتني بما كان اعم نفعاً واشرف عند الخاصة والعامة .

جـ ـ وليجتهد في الاحاطة بجزئيات صنعته وكلياتها ، ليتقدم فيها ويبلغ غايتها .

٣ ـ القنيات [٣]: ليستعين بذلك على سائر اموره :

أ ـ اشرفها النفس الكريمة والأخلاء الافاضل .

ب ـ ثم الضياع والعقار ، وكلّ ثمرته اشرف .

---

١ ـ س : ثلثة .　　٢ ـ ق : ازباب .

٣ ـ القِنْيَة وهي المِلْكُ　ابن منظور: لسان العرب، مادة: قنن جـ١٣ ص ٣٤٨ .
واستعمل إخوان الصفا كلمة (قنية) في الفلسفة فقالوا:
«إن العلم قنية للنفس كما أن المال قنية للجسد». انظر: رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ١٩٨ .

جـ – وليختر منها ما قرب من العمران وبعد من جوار المتغلبين .

٤ – استعمال الآلات : لدوام حاجته اليها واضطراره :

أ – ينبغي ان يكون مسكنه بين اقوام صالحين ، وسطا في العمران، لا يضيق على رحله .

ب – وينبغي ان لا يخلي وطنه مما تكثر حاجته اليه ولا يستكثر .

جـ – وان زاد مكسبه ، فليكثر من التجمل وزينة البيت .

٥ – الآداب المستعملة : ليحسن حاله وتستقيم عيشته :

أ – منها ما يستعمله الانسان في خلوته عند طعامه .

ب – ومنها ما يستعمله في خطابه وعشرة اصدقائه .

جـ – ومنها ما يستعمله مع العظماء ، وقد بينا ذلك .

٦ – الاعراض النفسانية : ليروض بها نفسه ، كما يروض بالحركة بدنه :

أ – ينبغي ان لا يجزع ولا يحزن على ما يفوته من الحسيات .

ب – وينبغي ان لا يفرح بأمور سريعة الانتقال عنه .

جـ – ويعلم ان السرور الدائم موجود [1] في الآخرة فيطلبه .

فهذه مراتب الناس ، وكل واحد منها يطلب على قدر همته وآلته وتمكنه :

فصاحب القوة الناطقة [2] أعني من كانت هي الغالبة عليه ، يطلب شرفها في العقل واحمدها عاقبة .

وصاحب القوة الغضبية بالحكاية : يعني يطلب اكثرها غلبة للناس واعمها رياسة ولو قبّح وجهها .

وصاحب القوة الشهوانية بالحكاية : يعني يطلب اكثرها نفعاً واجلها راحة

---

١ – ق : (موجود) ساقطة .

٢ – ق : النطقية .

وادلها ، ولو كانت من احسن الوجوه .

القسم الثالث في سيرة الانسان مع اهل نوعه ، وهي ثلاثة [1] انواع : [٢٤ ب]

١ ـ سيرته مع من فوقه :

أ ـ الآباء [2] :

الاول [3] : ينبغي ان يعتقد حرمة من تولى ولادته وتربيته .

الثاني : وان يكون من حرسه من الآفات ، حتى يبلغ ويلقاه بالخضوع .

الثالث : ويجب ان يعظمها ويبجلها ويعينها على طلباتها .

الرابع : ويساعدها [4] بماله ونفسه وبدنه وجاهه .

الخامس : وينبغي ان لا يلاحّها في امر ، ولا يخاصمها ولو اذياه .

السادس : وينبغي ان لا يقطع عليها حديثاً ، ولا يداخلهما في كلام .

السابع : ويجب ان لا يظهر منهما شكوى ولا يعصيهما امراً .

الثامن : وينبغي ان لا يجلس وهما قائمان بل بالضد .

التاسع : وينبغي ان لا يستبيح خدمتهما له ، ولا يتصدر في مجالسهما .

ب ـ المعلمون :

الأول [5] : ينبغي ان يعلم ان الوالدين سبب نشوئه [6] .

الثاني : وان المعلمين سبب نشوء [7] نفسه ، وجوهر النفس اشرف .

---

١ ـ س : ثلثة .

٢ ـ نلاحظ ان المؤلف يقصد مرة الاب ومرة الام ، ويقصد الاثنين معاً تارة ثالثة .

٣ ـ س : استعمل الحروف الابجدية : أ ب ج ... الخ .
بدلا من : الاول الثاني الثالث ... الخ .

٤ ـ ق : ويسعدها .

٥ ـ س : استعمل الحروف الابجدية : أ ب ج ... الخ
بدلا من : الاول الثاني الثالث ... الخ

٦ ـ س ، ق : نشوه .

٧ ـ ق : نشو .

الثالث : وان لم يزدهم على مرتبة والديه ، فلا ينقصهم عنها .
الرابع : وان لم يفعل ذلك ، وصف بانه غير مستحق لما اوصلوه .
الخامس : ولا يجري المعلمين كلهم مجرى واحداً ، فانهم مختلفون .
السادس : ونعني بهم الذين غرضهم تربية النفوس واصلاحها .
السابع : وان ينظر اليهم عند احتياج احد منهم .
الثامن : وان يقوم بقضاء حقوقهم ، ويبالغ في خدمتهم .
التاسع : ولا يتكرّه لما يلقي منهم من الغلظة والتأديب .

جـ ـ الرؤساء :

الاول [١] : ينبغي ان يكون بينه وبين الرئيس ملازمة دائمة ، لما هو بصدده .

الثاني : ينبغي ان يواظب على ما فوض اليه من امره ويشكره على ذلك سراً وجهراً .

الثالث : ينبغي ان يمدح فعله ، ويحسّن ما يأتيه ، ويكتم أحواله ظاهراً وباطناً .

الرابع : واذا عرض أمر مستقبح ، توصل في اسناده اليه دون الرئيس .
الخامس : ويجتهد ان ينتفع بالرئيس لأمنه ، ولا يظهر الاستغناء عنه اصلاً .
السادس : وان لحقه ملال [٢] او ضجر ، فليحذر الشكاية والتألم واظهار العداوة .
السابع : وليعلم ان الرئيس كالسيل المنحدر من الربوة ، ومتى واجهه أهلك نفسه .

---

١ ـ س : استعمل الحروف الابجدية : أ ب جـ ... الخ .
بدلا من الاول الثاني الثالث ... الخ .
٢ ـ ق : و .

الثامن : وينبغي ان يريه وجه الصلاح بالاشارة من غير أمر ولا نهي .

التاسع : ويجب عليه النصح والاجتهاد له ، فاذا فعل ذلك استقام أمره دائماً.

د ـــ الملوك :

الاول [١] : ينبغي للداخل على الملـك ان يسلم قائماً على بعد [٢] ، فان استدناه قرب منه فقبل الارض وتنحى عنه .

الثاني : وينبغي ان لا يبدأه بكلام دون ان يسأله ويجيبـه حينئذ بخفض صوت ، فان سكت الملك فلينهض .

الثالث : وان كان له طريقان عدل عند خروجه عن نظر الملك ، ثم يعود اذا طلبه بأذن ثان ، ولا يطيل الجلوس .

الرابع : وينبغي ان يبسط في مطعمه ومشربه في حضرته ، وان بسطه مذموم ، والقصد من ذلك كرامة .

الخامس : ويجب ان لا يرفع صوته ولا يحرك شيئاً من اعضائه بحضرته ، ولا يكثر الالتفات ، ولا يقطع حديثه اعتراضه ، وان كان حسنا .

السادس : ويجب ان لا يضحك عند حديث الملك ، ولايكثر التعجب منه ، ولا يعيد عليه حديثاً مرتين ، الا ان سأله عنه .

السابع : وان قطع الملك الحديث لشغل عرض ، فليقطع خوفاً ان يحرجه الى الاصغاء ، وهو يريد شغلاً آخر .

الثامن : ويجب عليه ان [٣] يخدم الملك بالنصح والشكر والوفـاء وكتمان

---

١ ـ س : استعمل الحروف الابجدية : أ ب ج . . الخ . بدلا من الاول الثاني الثالث لخ .
٢ ـ ق . نعله

«ويذكر الجاحظ رأياً مشابهاً في باب الدخول على الملوك فيقول: إذا كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا ينأى عنه ولا يقرب منه وأن يسلم عليه قائمًا، فإن استدناه قرب منه فأكب على أطرافه يقبلها ثم تنحى عنه.
أنظر: كتاب التاج في أخلاق الملوك ص ٧.

٣ ـ ق . وان ،

السر ، وترك الدولة ، وليجتهد في قضاء حقوق الخدمة بقدر طاقته .

التاسع : فانه اذا سلك هذا السبيل ، كان جديراً بالسلامة ، ونيل الحظوة ، ودرك البغية ، واصابة الامنية ، وجميل العافية .

٢ ـ وأما[١] سيرته مع أكفائه،وهم:اخوة (أو)[٢]أصدقاء (أو)[٣]أعداء (أو) [٤] متوسطون : [٢٥ أ]

أ ـ اما الاخوة : فليس جعل الاختيار في اتخـــاذهم اليه حتى يختار الافضل فالافضل، لكنه حسب ما يتفق له، لكون ذلك الى غيره.

ويجب ان يسير معهم بهذه السيرة :

(١) يجب ان يحافظ على مراتب الاخوة ، ويـــنزل كل واحد منهم منزلته التي يستحقها .

(٢) ويجب ان يخاطب كلا منهم على قدر عقله وعمله وفضله ومحله من السلطان .

(٣) ويجب ان يتخذ من كان منهم ذا حظ وسعادة كالوالد ، وينزله منزلة الرئيس .

(٤) وان كان مساوياً له فينزل منزلة نفسه ، ومن كان صغيراً او دونه في العقل والتدبير منزلة الولد .

(٥) وان يحسن الى سائرهم اذا أمكنه ، ولا يغفل عن خدمتهم وقضاء[٥] حقوقهم .

(٦) وقد ذكرنا ما يجب على الانسان في باب الوالد والولد، وسيرته معهم.

ب ـ واما الاصدقاء ، فهم نوعان :

(١) اصدقاء مخلصون وسيرته معهم : [٢٥ ب]

---

١ ـ ق . (واما) ساقطه .

٢و٣و٤ ـ (أو) من إضافة المحقق.

٥ ـ س: وفقد.

الاول : ينبغي ان لا يؤاخذهم بالتقصير ، ولا يجازيهم عليه ، ولا يعاتبهم عتاباً مفرطاً .

الثاني : وليدم ملاطفتهم ، ويتعهد اسبابهم ، ويهد ما يستحسنه اليهم .

الثالث : ويجتهد في الاستكثار منهم ، فان الصديق زين المـــرء وعضده وناصره [1] ومذيع فضائله .

الرابع : وافضل ما استعمل المرء مع اصدقائه ، مواساته لهم بما يمكنه .

الخامس : وليتفقد اقاربهم وعيالهم اذا ماتوا ، فانه من فعل ذلك، رغب في صداقته كل احد [2] .

السادس : وينبغي ان يبدأهم بالبر ، ولا يحوجهم الى مسألة ، ويسأل [3] عمن غاب ، ممن حضر .

(٢) اصدقاء في الظاهر ، وسيرته معهم :

الأول : ينبغي ان يجاملهـــم ، ويحسن اليهم ، ولا يطلعهم على شيء من أسراره وعيوبه .

الثاني : وان لا يلقي اليهم خواص احاديثه واحواله ، ولا يحدثهم بنعمه .

الثالث : ويجتهد في استمالتهم، والصبر معهم ، ويعاملهم بحسب الظاهر .

الرابع : ويعلم ان اول الأشياء على صدق الاخاء تعهد احوال الاصدقاء .

الخامس : وينبغي ان يتعهد حال من غاب منهم ، ويســـأل عنه بحضور الناس [4] ، ليستميلهم بذلك .

السادس : وينبغي ان يتقبل منهم كل مستصلح الى اكرم مرتبته ، ليجتهد الباقون في محبته (٥).

---

١ ـ س : (وناصره) ساقطة .
٢ ـ « : (كل احد) « .
٣ ـ ق : ويسئل.
٤ ـ « : الباقين .

٥ ـ ولو أردنا أن نذكر آراء بعض مفكري الإسلام في الصداقة لوجدنا أن ابن المقفع ينصح بمحبة الآخرين وعمل الخير لهم. «الأدب الصغير ص ٦ ـ ٧».
أبو بكر الرازي ينصح مصادقة الرجل الفاضل. «رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٣٣ ـ ٣٥». =

ويجب ان يختار من الأصدقاء أربعة :

(١) أهل علم وتدين وحكمة وعقل، يفيدونه ويقوّون[١] قوة تمييزه وعلمه.

(٢) ارباب محادثة طيّبة في سائر خلواته، ويفزع اليهم عند كربه والضجر من اعماله.

(٣) اهل شرف يستعين بجاههم في حوادث زمانه، التي لا يخلو منها.

(٤) اهل ثروة يستعين بهم في الهم والغم والعوارض التي يقصد لمّ شعثها وخير حيفها.

[٢٦أ] جـ - واما الأعداء، فهم على ضربين :

(١) صنف هم ذوو الأضغان والاحقاد، وسيرته معهم :

أ - ينبغي ان يحترس (منهم)[٢] كل الاحتراس، ويستطلع أخبارهم.

ب - ومهما وقف على تدبير أو مكر لهم، قابله بما ينقضه عليهم.

جـ - وليكثر النكاية فيهم [٣] الى الولاة وغيرهم، لئلا تنجع فيه مكايدهم.

د - وكل من يئس من صلاحه، وتيقن سوء طبعه، فلينتهز الفرصة في

= وكذلك يحث الرازي على معاملة الآخرين بالنصح والاجتهاد في نفع الكل. «رسائل فلسفية (الطب الروحاني) ص ٩١».

الفقيه ابن حزم الأندلسي يرشد الإنسان بأن يعامل الآخرين معاملة جيدة، وفي الوقت نفسه لا ينصح بالإستكثار من الأصدقاء. «كتاب الأخلاق ص ١٨ - ٢٠».

يحيى بن عدي ينصح بمصادقة الزهاد والواعظين وأهل العلم، والابتعاد عن صحبة المتهتكين وأهل الفجور. «تهذيب الأخلاق ٧٩ ب».

بينما مسكويه يرى أن من المحال أن يصل الإنسان إلى السعادة بالتفرد، ولذا فهو يحتاج إلى الصديق في حسن الحال وعند سوء الحال. «تهذيب الأخلاق ص ١٥٥ - ١٥٦».

أما الغزالي فيرشد الإنسان بأن يفيد صديقه، لا سيما مما يملكه من علم وأخلاق. «إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ١٥٩». وأن حسن الخلق عند الغزالي هو الطريق الصحيح للصداقة الخيرة. «أيها الولد ص ٣٥».

١ - س : ويقووا.   ٢ - س، ق: يحترس كل الاحتراس (منهم) من إضافة المحقق.

٣ - ق : منهم.

اذاه اذا امكن ، لئلا يظهر ذلك فيفسد حاله .

(٢) وصنف هم الحساد . وسيرته معهم :

أ - ينبغي ان يظهر ابداً ما يغيظهم وما يؤذيهم .

ب - وليحذر من دسيستهم ، ويحتال لظهور حسدهم .

جـ - وليعرّفهم ما هو فيه من النعم ، ليموتوا بغيظهم .

د - ويجب ان يزداد فضلا الى فضله ، فقد قيل : من ازداد فضلاً زاد حاسده غماً .

د - واما المتوسطون ، فهم على اربعة انواع ثلاثة [1] :

(١) صلحاء : وهم ناس يتبرعون باصلاح الناس :

أ - يجب مدحهم ابداً على فعلهم ، ويجتهد في التشبه بهم في سائراحواله [2].

ب - وسيرتهم مرضية عند اكثر الناس ، ومن سار بها عرف بالخير وحسن النية .

٢ - نصحاء : وهم متعاطفون [3] النصيحة :

أ - يجب ان يستمع الى قولهم ، ولا يعجل الى قبوله الا بعد التأمل [4].

ب - وليعرف اغراضهم ومقاصدهم ، ويقف على حقيقة مرادهم .

جـ - وليظهر لهم الطاعة والقبول لما يلقون اليه ، ليستديم صحبتهم [5].

٣ - سفهاء : وهم اراذل الناس :

أ - يجب ان يستعمل معهم الحلم ، ولا يواتيهم بما هو فيهم من السفه .

ب - وان يتلقاهم ابداً بسكون ، ليعرفوا قلة مبالاته بحالهم ، فلا يؤذوه

جـ - فان تلقوه بالشتم والسفه ، تلقاهم بالحقرة وقلة الاكتراث .

٤ - منافسون : وهم ذوو طباع ليست بجيدة :

أ - يجب على المرء ان يقابلهم بمثل فعلهم ، لانه اذا تواضع لهم استضعفوه

---

١ - س : ثلثة ، ق : ساقطة .
٢ - « : (امواله) ساقطة .
٣ - س : المتعاطفون .
٤ - « : تأمل .
٥ - « : (ليستديم صحبتهم) ساقطة .

ب ـ فان تكبر ، علموا ان الذنب في ذلك لهم ، فيلقوه بالتواضع .

[٢٦ ب] ٣ ـ واما سيرة الانسان مع من دونه ، وهم صنفان (١) :

أ ـ متعلمون ، وهم على ثلاثة اضرب (٢) .

الضرب الأول : ذوو الطباع الجيدة . ينبغي ان لا يدخر عنهم شيئاً من العلوم ، بل يوصل ذلك اليهم اولا فأولاً ، ويعرف اقدارهم واذهانهم ليوصل الى كل واحد منهم بقدر استحقاقه .

الضرب الثاني : هم البلداء : هم الذين فيهم ادنى (٣) ذكاء ولا ترجى براعتهم ، فليحملهم على ما هو اعود عليهم ، ليكتسبوا به ما ينفعهم .

الضرب الثالث : ذوو الطباع الردية : هم الذين قصدهم بالعلم استعماله في الشر (٤) وفيما لا يجب ، فينبغي ان يحملهم على تهذيب الأخلاق وازالة ذلك من نفوسهم ، وان لا يعلمهم شيئاً من العلوم النافعة الا بعد معرفة صلاحهم .

ب ـ محتاجون ، اعني فقراءهم على ثلاثة اضرب (٥) .

الضرب الأول : الملحون : ينبغي ان لا يعطيهم ولا يبذل لهم على الحاجة شيئاً ، وليزجرهم عنه ، فان علم صدق حاجتهم اسعفهم .

الضرب الثاني : الكاذبون فيما يدعونه : ينبغي ان يميز بينهم ، فمن كان كذبه لضرب من التدبير فليواسه ، ولتكن مواساته لهم وسطاً ، من غير منع ظاهر ولا بذل تام .

الضرب الثالث : الصادقون فيما يظهرونه : يجب ان يواسيهم بما يقدر عليه ويتهيأ له ، ولا يجبهم ، وليجعل احسانه اليهم بما لا يخل باحوال نفسه ، ولا يضيق عليه .

[٢٧ أ] ويجب على العامل بهذه السيرة العقلية مراعاة هذه الأحوال :

الأول (٦) : ان يعلم انه حق (٧) على المرء ان ينظر الى محاسن الناس

---

١ ـ س : (وهم صنفان) ساقطة. ٢ ـ ق : (وهم على ثلاثة اضرب) ساقطة .

٣ ـ ق : دني . ٤ ـ « : الشره . ٥ ـ « : (اعني ... اضرب) ساقطة .

٦ ـ س : يستعمل الحروف أ ب جـ د ... الخ . بدلاً من الأول الثاني الثالث ... الخ.

٧ ـ س حقاً .

الثاني : ثم يوظف الأمور وظائفها ، ويجعل بين طبقاتها حدوداً ، يظهر له الفرق بينها .

الثالث : ثم يأخذ نفسه بتأديبها في احياء علم ما علم بالعمل واستجلاب علم ما جهل بالتعلم .

الرابع : ثم لا يكون تأديبه لنفسه في وقت واحد ، فانه واجد في كل حين موضع تأديب .

الخامس : وليعلم ان منهاج التأديب ايقاظه نفسه ، ثم لا يمنعه عصيانها من ادامة ايقاظها .

السادس : فاذا همت النفس ببعض الاجابة كان اول ما يؤخذ به ، اعطاء الدين حقه واشعارها حظها .

السابع : ثم احياء الحزم عند المكاره ، والصبر عن المصائب ، والكظم عند الغضب [١] ، والوقار عند المستجهلات .

الثامن : ثم صحبة الملوك بكتمان السر ، وبارشاد الأعمال ، وتقريظ [٢] الأفعال ، وتسديد الأقوال والملازمة .

التاسع : ثم تعهد الأخوان باحياء الملاطفة ، والاستكثار من فوائد الاخوان، ثم حفظ اخوان الأخوان .

العاشر : ثم تعهد اهل المكاسرة ، المتشبهين بالأخوان بالصبر عليهم ، أما طمعاً في تحويل ذلك صدقاً أو ابقاء[٣] عادتهم .

الحادي عشر : ثم يواسيهم ويمتحنهم بالحفظ على العقب عند الزمانة يجبر الكسر والضعف ، وعند الحاجة بقضائها .

الثاني عشر : ثم تعهد الصلحاء بالمصافاة ، والنصحاء بالخلوة ، والالقاء

---

١ ـ س : الغظب .

٢ ـ « ، ق : تقريط .

٣ ـ ق: إبقاء، (أو) من إضافة المحقق.

بالاكرام ، والخاصة يخصهم بمنزلة نفسه .

الثالث عشر : ثم اسعاد ضعفاء ذوي الرحم بالرحمة ، واقويائهم بالتعليم ، واكابرهم بالاحسان ، وارداهم بالمداراة .

الرابع عشر: ثم مقابلة الاعداء بالاذى مع التمكن، وذوي التنصل بالمغفرة ، وذوي الاعتراف بالرأفة .

الخامس عشر : ثم ملاقاة ذوي الاغتيال بالمناقضة ، والحساد بالمغايضة ، واهل المواثبة بالوقار .

السادس عشر : ثم لقاء اهل المشاتمة بالمحقرة ، واهل المنافسة بالمكابرة ، وذوي الملادغة بالاحتراس .

السابع عشر : ثم يأمر في الشبهات بالكف ، والمجهولات بالارجاء ، والواضحات بالعزيمة ، والمستريبات بالبحث .

الثامن عشر : ثم تعهد الجيران بالرفق ، والصاحب بالمطاوعة ، والزائر بالتحفة ، والصديق بالهدية والاكرام .

التاسع عشر : ثم يفرق بين خيار الاخوان وشرارهم ، ونافع الرؤساء وضارهم ، ليميل الى ما كان اعود عليه .

العشرون : ثم يتعهد المعيشة والحرفة التي يحترف بها ، ليتوفر كسبه وينمو ماله ويحسن حاله وينتظم .

[٢٧ ب]

الفصل الرابع

في أقسام السياسات[١]

اللهم انا نحرص على بلوغ الغاية مـــع طول المشقة ، ونشح على زمان العمر لقصر المدة ، ونوقظ انفسنا على الدوام من سنة الغفلة ، ونخرجها ابدا الى حسن الفعل من قبح العطلة ، ونتقرب اليك بالتباعد من الهوى ، ونستريـح الى تعب البصيرة من العمى . اللهم فاعصمنا من مكايد الشيطان ، ولا تكلنا الى النفس الامارة بالسوء ، وبلغنا الدرجـــة العليا برحمتك ، والسعادة القصوى بجودك ورأفتك ، انك على ما تشاء قدير .

وقد قدمنا في الفصل الثاني[٢] من كتابنا هذا ذكر الاخلاق وعللها واسبابها، واختلاف جواهر الناس فيها ، ودللنا على الجميل منهـا ليتبع ، ونبهنا [٣] على القبيح منها ليجتنب ، واوضحنا اقسام الفضائل وحثثنا عليهـا ، وبينا اجزاء الرذائل وحذرنا منها . فمن وفقه الله تعالى للعمل بما تضمنه ، فقـد ظفر بجميل الذكر في الدنيا ، وفاز بجزيل الاجر في الآخرة [٤] .

ثم ذكرنا في الفصل الثالث اقسام السيرة العقلية وفضائلها ، وفصلنا فيهـــا ما اجمل المتقدمون من انواع العلوم الواجب على الانسان معرفتها والعمل بها ،

---

١ ـ ق : السياسات (واحكامها) زائدة .
٢ ـ س : الثامن .
٣ ـ ق : ونبهينا .
٤ ـ س : الاخرى .

وهي السيرة التي من سلك سبيلها وساس بهـــا نفسه وبدنه ومنزله ومعاشه ، نجا من الشرور الدنياوية [1] وتهيأ لاكتساب الفضائل الاخروية .

واذ قد اتينا على ما اردنا بيانــه وتفصيله مما قدمنا ذكره ، فلنورد الآن في هذا الفصل ، وهو الرابع ، ذكر السبب الموجب لاتخاذ المدن والداعي الى اقامة السياسة في العالم .

فنقول ان الذي حدانا على وضع هـــذا الفصل ، وايداعه الكتاب بعد كاله معان :

منها ان الله جل جلاله لمـا خص الملوك بكرامته ، ومكن لهم في بلاده ، وخولهم عبـاده ، اوجب على علمائهم ، تبجيلهم وتعظيمهم وتوقيرهم ، كما اوجب عليهم طاعتهم . فقـال تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفــع بعضكم فوق بعض درجات » . وقال تعالى : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » .

ومنها ان العامة وبعض الخاصة تجهل الاقسام التي تجب لملوكها عليها ، وان كانت متمكنة بجملة الطاعة .

ومنها السعادة العامة في تبجيــل الملوك وتعظيمها وطاعتها ، فاختصرنا من
[٢٨ أ] الأدب ما نجعله قدوة لهم واماماً لتأديبهم ، ولنا في ذلك اجران : اما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة الخاصة، وكذا الأجر فيها[2] يجب علينا من تقويم كل مائل، وردّ كل نافر إليها.

ولما كان الانسان مفتقراً إلى هذه الامور غير مستغن عنها ، وهي :

١ — الغــذاء : ليجعله خلفا لما يتحلل من بدنه بالحركة والرياضة .

٢ — اللباس : ليدفع عن نفسه ألم الحر والبرد والرياح .

٣ — المسكن : ليصون نفسه ويحرسها من تطرّق الآفات .

---

١ - ق : الدنيوية .

٢ - س: فلما انتهينا عليه من معرفة الخاصة، وكذا الآخر فلما. . . الخ.

٤ ـ الجماع : ليبقى به النوع ، اذ لا سبيل الى بقاء الشخص .

٥ ـ العلاج : لتغير الكيفيات التي فيه ، ولما يناله من تفرق الاتصال .

احتاج حينئذ الى الصنائع والعلوم التي تعمل بها هذه الاشياء . ولما كان الانسان الواحد لا يمكنه ان يعمل الصنائع كلها ، افتقر بعض الناس الى بعض ، ولحاجة بعضهم الى بعض اجتمع الكثير منهم في موضع واحد ، وعاون بعضهم بعضاً في المعاملات والاعطاء، فاتخذوا المدن ، لينال بعضهم من بعض المنافع من قرب ، لان الله عز وجل خلق الانسان بالطبع يميل الى الاجتماع والانس ، اذ[1] لا يكتفي الواحد من الناس بنفسه في الاشياء كلها . ولما اجتمع الناس في المدن وتعاملوا ، وكانت مذاهبهم في التناصف والتظالم مختلفة ، وضع الله لهم سنناً وفرائض يرجعون اليها ويقفون عندها ، ونصب لهم حكاماً يحفظون السنن ويأخذونهم باستعمالها[2] لتنتظم امورهم ويجتمع شملهم ويزول عنهم التظالم والتعدي، الذي يبدد شملهم ويفسد احوالهم . ولما كان الشر يدخل على الانسان من وجوه يأتي ذكرها، جعل له ما يتحفظ به من وقوع الشر، وما يدفعه ويداويه[3] إذا [٢٨ ب] وقع، وهي :

١ ـ اما من نفسه : ويدفع ذلك بسلوك الطريق المحمودة ، وضبط النفس ، واستعمال العقل في كل الامور .

٢ ـ واما من اهل مدينته : ويدفع ذلك باستعمال الشرائع والسنن الموضوعة لهم ، واصلاح الكافة .

٣ ـ واما من اهل مدينة اخرى: ويدفع ذلك بالاسوار والخنادق والحراس، ثم اذا وقع المحاربة والقتال .

فقد تبين بما ذكرنا ان الناس[4] مضطرون الى تدبير وسياسة وامر ونهي .

---

١ ـ ق : ولا .

٢ ـ ق : باستعمالهم .

٣ ـ ق : ويدوايه .

٤ ـ س : انا مضطرون (الناس) ساقطة .

وان المتولين لذلك ينبغي ان يكونوا افاضلهم ، فان من نهـى عن شيء أو امر بشيء ، فالواجب ان يظهر ذلك في نفسه اولاً ثم في غيره . ولان كثرة الرؤساء تفسد السياسة وتوقع التشبت ، احتاجت المدينة او المدن الكثيرة ، ان يكون رئيسها واحداً ، وان يكون سائر من ينصب لتمام التأثير والسياسة اعواناً سامعين مطيعين منفـّذين لما يصدر عن امره، حتى يكونوا كالأعضاء له يستعملهم كيف شاء ، ويكون كالحاضر في انفاذهم [1] امره ونهيه وانما اضطر العالم الى سائس ومدبر ليدفع عنهم الأذى الواقع على بعضهم من بعض كما قدمنا ، حتى يقصد كل احد منهم للصناعة التي ينتحلها لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج اليها، ولا يعوقه عنها عائق فيتم بذلك تعاضدهم وتعاونهم على مصالح عيشهم واستقامة أمورهم .

ولنبتدىء الآن بذكر اركان المملكة ، ثم نتبع ذلك بما يجب على الملك الفاضل ، وما يضطر الى استعماله واتخاذه من الاتباع والاعوان لقيام المملكة وحراستها ودوامها ، ونذكر صفاته وصفات كل من اعوانه على التفصيل ، وما يجب على كل منهم وله [2] .

[٢٩ أ] أركان المملكة أربعة :

١ ــ الملك ٢ ــ الرعية ٣ ــ العدل ٤ ــ التدبير .

١ ــ فالملك : مضطر الى ست [3] آلات :

الأولى : الابوة ، وهو ان يكون من أهل بيت الملك ، قريب النسب ممن ملكَ قبله . وذلك بسبب الاتفاق عليه .

الثانية : الهمة الكبيرة ، وحصول ذلك بتهذيب الاخلاق النفسانية

---

١ ــ ق : كالحاضر بجميع عمله بحضورهم وانفاذهم.

٢ ــ « : وله (والله الموفق للصواب) زائدة .

٣ ــ س ، ق : ستة .

وتعديل القوة الغضبية . وذلك لا يكاد ينال الملك الا به .

الثالثة : الرأي المتين ، وحصول ذلك بالبحث والنظر في تدابير السلف وأخبارهم وتجاربهم . وذلك ان ما[1] من أمر الا وهو معرّض لمكيدة .

الرابعة : المصابرة على الشدائد ، وحصول ذلك وتمكنه منه باظهار الشجاعة والقوة واستعمالها[2] . وبذلك يستقيم له امر الملك وقهر الأعداء .

الخامسة : المال الجم، وحصول ذلك له باستعمال العدل في الرعية ودوام العمارة . وبه قوام المملكة ودوامها .

السادسة : الاعوان الصادقون[3] ، وحصول ذلك بالتلطف بهم، ودوام الالتفات والاكرام . وبهم يشتد عضد الملك ويقوى قلبه .

ويخصه من السياسات : [٢٩ ب]

١ — سياسة نفسه :

الاول[4] : ينبغي ان يقسم نهاره اقساماً ، فأوله لذكر الله تعالى وشكره، وصدره للنظر في أمر الرعية ، ووسطه لأكله ومنامه ، وطرفه للذاته ولهوه[5] .

الثاني : سأل الاسكندر حكيماً : من يصلح للملك ؟ فقال له : أما بملك حكيم او ملك يلتمس الحكمة[6].

١ ـ س : (ما) ساقطة . ٢ ـ س : واستعماله . ٣ ـ د : الصادقين .

٤ ـ د : يستعمل الحروف الابجدية أ ب جـ ... الخ .
بدلاً من الاول الثاني الثالث ... الخ . وهكذا في الفقرات التالية .

٥ ـ ق : لهواته .

٦ ـ في الحقيقة أن أفلاطون هو أول من أطلق على لسان سقراط : إن الشقاء لا يزول ما لم يحكم الفلاسفة أو يتفلسف الحكام ـ انظر: كتاب الجمهورية ك ٥ فقرة ٤٧٣ ولا ينسى أفلاطون أن =

الثالث : وقال حكيم : قلوب الرعية خزائن ملوكها ، فما اذ وزعت من خير أو شر فهو فيها .

الرابع : ينبغي ان لا يفرح اذا مدح بما ليس فيه ، ولا يحزن اذ عيّب بما ليس فيه .

الخامس : ولا يجزعن مما لا بد منه ، ولا يأتي الأمر في غير حينه .

السادس : ويجب ان يحافظ على الشكر ويحرص على الاحسان .

السابع : وينبغي ان يكون جيد الحدس والتخمين ، ولا يغيب عنه حال من احواله .

الثامن : وليجعل الحق والعدل [1] امامه ، ويمتثل ما يأمرانه به .

التاسع : وليقابل الخطأ من الناس بالصواب الذي في جوهره .

٢ ــ سياسة بدنه :

الأول : ينبغي ان يقهر شهوته ، فان من كان عبدها لا يستحق الملك .

الثاني : ينبغي ان لا يطلق لنفسه اللذات الا ما كان جميلاً .

الثالث : ويجب ان يكون معدى من الشر، عن شراسة الاخلاق ولينها [2].

الرابع : وينبغي ان لا يكون كسلا ولا بطيء الحركة ولا متغافلاً .

الخامس : وينبغي ان لا يعرف احداً مبيته ومنامه .

السادس : وينبغي ان يكون شديد القوة عالماً بالفروسية .

السابع : ويحسن ان يكون حسن الصورة ، مقبول الشكل .

الثامن : وينبغي ان يكون كامل الاعضاء تامها ، متمكناً من الحركة .

التاسع : وينبغي ان يترك [3] الملك لمن يأتي بعده اعمر مما تسلمه .

العاشر : وان لا يركبن قبيحاً ولا اثماً ، ولا يتكلف ما لا يضره تركه .

= يذكر أوصاف هؤلاء الفلاسفة الحاكمين. ـ كتاب الجمهورية ك ٦ فقرة ٤٨٥ ـ . ويضيف أفلاطون أن البشرية تنال السعادة عندما يحكم الفلاسفة ـ كتاب الجمهورية ك ٦ فقرة ٤٩٩ ـ .

١ ـ س : العدل والحق .

٢ ـ س : بين شراسة الخلق ولينه .

٣ ـ ق : ويجب ان يكون ترك .

الحادي عشر : وان يتصفح في ليله اعمال نهاره، فإن الليل اجمع للخاطر .
الثاني عشر : وان يقدم مصالح ما يقلده [1] على مصالح نفسه ليعود [2] صلاحه اليه .

٣ ـ سياسة خاصته :

الاول : سائسو المملكة : كالوزير والكاتب والعامل .
الثاني : سائسو بدن الملك : كالطبيب والمنجم وصاحب الطعام .
الثالث : ينبغي ان يدل العيون عليهم سراً وجهراً ، ليعرف اخبارهم واسرارهم .
الرابع : ويجب ان يرفق بهم ويحميهم كما يحمي نفسه ، ولا يؤاخذهم بتقصير ما لم يضر .
الخامس : ومن تأكدت حرمته منهم ، رفع منزلته ورعى حقه ، حاضراً وغائباً .
السادس : ولا يقبل فيهم قول ساع [3] ، الا بعد التحقيق واليقين [4] .
السابع : وليراع [5] مراتبهم ، ولا يقدم احداً منهم الا بقدر حاله ، لئلا يسخط الباقون .
الثامن : ويجب ان يحسن الى الطبيب احساناً كثيراً ، فانه امينه على نفسه .
التاسع : وينبغي ان يتخذ جلساء من أعقل الناس واعلمهم ، ويقوم بمصالحهم [6] ، لينتفع في خلوته .
العاشر : ندماء : وهم اصحاب خلوته .

---

١ ـ س : ما تقدمه .
٢ ـ ق : لعود .
٣ ـ س : شاع .
٤ ـ ق : واليقين (له) زائدة .
٥ ـ د : وليرع .
٦ ـ س : بصالحه .

[٣٠ أ] ٤ ـ سياسة جمهور الرعية :
الأول : يجتهد في استمالة قلوبهم ، وجعل طاعتهم رغبة لا رهبة .
الثاني : وليبتدىء بالنفقة عليهم ، ثم باطماعهم في الرفعة لديه وقرب المنزلة.
الثالث : وينبغي ان لا يغفل عن البحث عنهم بلطيف الاخبار حتى يقف على اسرارهم .
الرابع : وليجعل محبتهم له اعتقاداً دينياً لا طمعاً في اغراض[1] الدنيا .
الخامس : وينبغي ان يعرف اكثر اخلاق رعيته ليؤهل كلا لما يصلح له[2] من الولايات .
السادس : ويجب ان يعرف أخبار محاوريه من الملوك ، وان يشحن ثغوره بالرجال .
السابع : ويجب ان يتعهد جنده بجوائزهم ، ولا يحوجهم الى رفع قصة أو شكوى .
الثامن : وينبغي ان يسمع قول القائل والمقول فيه ، ثم يعاقب الباغي .
التاسع : وينبغي ان يخلع على من ادخل عليه سروراً ، لينشر عنه[3] الذكر الجميل .
العاشر : ويجب ان يتفقد عمارات بلده ، واسعاد أهله ، وأحوال اقواتهم .
الحادي عشر : ويجب ان لا يخلي الرعية من وعد ووعيد وايقاع وإنجاز ورجاء وخوف .
الثاني عشر : ويجب ان يكون آثر الأشياء عنده بسط الخير للناس ، وان يعمهم بفضله .
الثالث عشر : وينبغي ان لا يجمع المحسن والمسيء بمنزلة واحدة ، فيزهد

---

١ ـ ق : اعراض .
٢ ـ س : لما له (يصلح) ساقطة .
٣ ـ ق : لينتشر (عنه) ساقطة .

أهل الاحسان .

الرابع عشر : وليحسم اسباب التنازع، ولا يسهل لهم التحرز لثبت الكلمة.

الخامس عشر : ولينه عن اعتقاد رياسة غير رياسته ، ليرجع الأمر بأسره اليه.

السادس عشر : وينبغي ان تعم سياسته سائر اهل مملكته ، وليعاقب على الصغير من الذنب ويعفو عن الكثير .

٥ ـ سياسة الحروب :

الأول : ينبغي ان يعلم حال العدو في كل ساعة بالجواسيس ولايغفل أمره .

الثاني : ينبغي ان يخفي أخباره عن عدوه بكل ممكن ، ويسترها عمن يخاف سريرته .

الثالث: وينبغي أن يبذل المال العظيم في مخادعته ومخادعة أصحابه واستمالتهم.

الرابع : وينبغي ان لا [١] يثق بمستأمن جهة العدو ، الا بعد خبرة حاله وصفاء نيته .

الخامس : واذا قوي عدوه واستظهر ، فالصواب ان يستكثر ويلقاه بنفسه بعد احكام أمره .

السادس : وان كان دونه ، فليخرج اليه من يثق بباسه وشجاعته ونجدته ونجابته .

السابع : وينبغي ان يجعل في مقدم عسكره من الأمور المزعجة ما يذهل أصحاب العدو .

الثامن : وليحتل [٢] في ايقاع العذاب بهم ، اما بقطع المياه عنهم أو القناطر أو النار .

التاسع : ويجب ان يجعل على كل عدة معلومة من عسكره رئيساً من شجعانهم ومجربيهم .

---

١ ـ س : (لا) ساقطة .

٢ ـ س : وليحتال .

العاشر : وينبغي ان يتخذ كميناً ولا يهمل خبره، ويحذر مع ذلك كمين الاعداء.

الحادي عشر: ويجب ان لا يستصغر عدوه ، ويقابله بما يقابل الأمر العظيم، اذ لا معول على ريب الزمان .

الثاني عشر : وليجعل المحاربة آخر حيلة ، فان النفقة فيها من النفوس وفي غيرها من المال .

الثالث عشر : فان افادت الحيلة ، ربح ماله وحقن دمـــاء جيشه ، وان اعيت حارب بعد ذلك .

الرابع عشر : واذا تمكن من العدو ، فليناد [1] في الناس بنشر العــدل والأمان من القتل .

الخامس عشر : وليقسم الغنائم على اصحابه ويرضيهم بقدر الامكان ،ويقدم من يجب تقديمه [2] .

السادس عشر : وليتبع بعد ذلك الاراجيـف ، حتى تنتهي الى منتهاها ، فيعاقب مخترعها .

[٣٠ ب] ويجب على الملك ان يحترز من هذه الخصال ويتوقاها :

الحرص – العجب – الذم – اتباع الهوى – التواني .

وأسبابه ثلاثة :

١ – اما كريم قصر به [3] عن قدره ، فاحتمل لذلك صعباً .

٢ – أو لئيم بلغ ما لا يستحقه ، فأورثه ذلك بطراً .

٣ – أو رجل منعه حقه من الانصاف .

ويجب عليه :

---

١ – س : فلينادى .

٢ – ق : تقدمه .

٣ – د : قصرته .

١ – ان لا يغضب : لان القدرة من وراء حاجته .
٢ – ولا يحلف : لانه لا يقدر احد على استكراهه .
٣ – ولا يبخل : لانه لا يخاف الفقر .
٤ – ولا يحقد : لان حضرته تحل عن المجازاة .
٥ – ولا يلعب : لأن اللعب من الفراغ ولا فراغ له .
٦ – ولا يخاف : لأن الخوف من عمل الجهال .
٧ – ولا يحسد : إلا على حسن التدبير .
٨ – ولا يثق بالدنيا : فانه لا عهد لها .

ولا يكاد يستغني عن هذه :

١ – آخرة تحرسه : بخشية الله تعالى والامتثال لأمره .
٢ – ودنيا تلذه : بأن يقتصد في استعمال اللذات .
٣ – وخاصة تعينه : بأن يودع قلوبهم محبته .
٤ – وعامة ترفده : بأن يودع قلبهم هيبته .

وقوامها بهذه :

١ – العدل : به تكثر العمارة ويدوم الملك .
٢ – العفة : هي سبب ظهور الهيبة .
٣ – العفو : به يظهر شرف القدرة .
٤ – العقوبة : بها تحرس الرياسة .

وليحذر الملك ان يستبطن او يستكفي احداً من هؤلاء الاثني عشر [١] : [٣١ أ]

الأول : شرير متظاهر بالخير ، لأنه ذو نفاق ومكر .
الثاني : مطرح الدين والمراقبة ، لأنه قليل الوفاء سريع الغدر .

---

١ – س : (الاثني عشر) ساقطة .

الثالث : حريص شره ، لكونه يثني باليسير ويطمع بالحقير .
الرابع : مضرور ذو فاقة ، لأنه لا يصفو لمن لا يجبر فاقته .
الخامس : محطوط عن رتبة بلغها، لأنه ساخط متنكر.
السادس : مهاجر بذنب لم يعف عنه ، لأنه خائف وجل حذر .
السابع : مذنب مع جماعة عفى عنهم وعوقب ، لانه مغبون مغتاظ .
الثامن : محسن مع جماعة حوزوا ومنع ، لأنه محروم .
التاسع : ذو كفاء من حسدة واعداء ، لأنه حنق .
العاشر : مستنصر بما ينفع الملك ومنتفع بما يضره ، لأنه مخالف مباين .
الحادي عشر : من كان لمدو الملك ارجى منه له ، لانه يكون بغدره مماثلا .
الثاني عشر : من بغى عليه اعداؤه فوعدوا [1] عليه ، لان عداوته تنتقل الى من ساعدهم اليه .

[٣١ ب] ولا يخلو تدبير الملك من أمور أربعة ، وهي [2] :

١ – أما من طريق العقل :
الأول : لطاعة الله وتصديق رسله .
الثاني : ومجاهدة النفس على مكارم الأخلاق .
الثالث : وان يجعل بينه وبين هؤلاء حاجزاً منيعاً [3] .

٢ – أو من طريق الجود :
الأول : كالتعطف على أهل المسكنة .
الثاني : واكرام ذوي البلاء .
الثالث : واستفتاء[4] طالب الحاجة بحاجته .

---

١ – س : فسوعدا .
٢ – ق : (وهي) ساقطة .
٣ – « : (منيعاً) »
٤ – س: واستعمال.

٣ ـ وأما من طريق السياسة :

الأول : كالعطاء [١] الكثير على السبب اليسير .

الثاني : والعفو عن كثير الجرائم .

الثالث : والعفو عن يسير الذنب .

الرابع : واستعمال المكايد على الأعداء .

٤ ـ أو من طريق الحزم :

الأول : كترك حسن الظن بكل أحد .

الثاني : وكتمان السر وصونه .

الثالث : ومعالجة ما يخشى قوته .

ومما يتصل بالتدبير ، وينبغي ان يحذر ويجتنب ، ستة اشياء :

الأول : من استوزر غير كاف ، خاطر بملكه .

الثاني : من استشار غير أمين ، أعان على ملكه .

الثالث : ومن أسرّ الى غير ثقة ، ضيّع سره .

الرابع : ومن استعان بغير مستقل ، افسد امره .

الخامس : ومن ضيّع عاقلاً ، دل على ضعف عقله .

السادس : ومن اصطنع جاهلاً ، اعرب عن فرط جهله .

٢ ـ وأما الرعية ، فينقسمون اقساماً كثيرة ، فمنهم : [٣٢ أ]

أ ـ متأهلون : هم الذين اقتصروا على العبادة والزهد ، يوعظ العالم بترهيبهم وترغيبهم .

ب ـ حكماء : هم العارفون بالعلوم الحكمية ، كالطب والنجوم والحساب والهندسة ، وأشباه ذلك .

جـ ـ علماء : هم حملة الآثار وخلفاء الأنبياء ، اليهم يرجع في التحريم

---

١ ـ س : كالعطا .

والتحليل والتفسير والتأويل .

د ـ ذوو انساب : هم أهل الشرف والجاه والقدر ، كلما كثروا في المملكة كانوا انبل ، وهم عدة الملك .

هـ ـ ارباب الحروب : هم حرسة المملكة ، بهم تدفع الاعداء وتؤمن غوائلهم ، وبهم تفتح المدن والممالك .

و ـ عمار الاسواق : هم صناع واتباع [1] ، بهم تتم امور النـــاس ، وينالون حوائجهم من قرب [2] .

ز ـ سكان القرى : هم مثمرو [3] الحرث والنسل والزروع والغرس ، وباقي الناس محتاج اليهم .

وهؤلاء ينقسمون ثلاثة اقسام:

١ ـ اخيار افاضل : هم محبو الخير ، مبغضو الشر ، يأتمرون وينتهون طوعاً ، يؤثرون ما عاد بصلاح الملـــك [4] والرعية ويختارونه . وحقهم الاكرام والبر والتقديم ورفع المنزلة بأختيارهم للمهمات .

٢ ـ اشرار اراذل : هم اضداد [5] الاخيار ، لأنه ليس للتأديب فيهم نفع ، فهم كالسباع المؤذية طبعاً.

وحقهم اذا يئس من صلاحهم . ولم تنجع العقوبة فيهم الابعاد لهم الى الاماكن النائية [6] ليؤمن شرهم .

٣ ـ متوسطون: وهم ارباب المكاسب، يتكافى قولهم من محمود ومذموم ، يميلون الى الصلاح مرة والى الفساد اخرى .

وحقهم اصلاح [7] فسادهم ، ورد مائلهم ، وفطمهم عن العادات الرديئة ، باغفال مرة وعقوبة أخرى ، كتدبير الطبيب للعليل .

---

١ ـ س : وتباع .   ٢ ـ س : قريب .   ٣ ـ ق : ثمروا .

٤ ـ س ـ : بصلاح ما عاد الملك .   ٥ ـ س : اضضاص .   ٦ ـ س : الثانية .

٧ ـ ق : استصلاح .

وصلاح هذه الاقسام المقدم ذكرها بهذه الامور : [٣٢ ب]

١ ـ باستعمالهم في صناعتهم ، حتى لا يجدوا فراغاً لفكر في مفسدة .

٢ ـ بالتقدم اليهم في كل وقت ، باجتناب الخوض في اسباب السلطان .

٣ ـ بالأخذ للضعفاء من الاقوياء ، ويساوى الاقربين (٢) والابعدين في السياسة .

٤ ـ وترك التعرض للمظلوم ، وتسهيل الحجاب له ، وانصافه من الظالم (٣) .

٥ ـ وان يجلس لهم في كل وقت لشكوى او وصف حال ، او مسألة (٤) حاجة .

٦ ـ وان يؤمنوا من الاعداء الخارجين عنهم بسد الثغور واحكامها .

٧ ـ وليحرسهم من قطاع الطريق ، لئلا ينقطع معاشهم بانقطاع ميرتهم .

٨ ـ وليؤمنهم من اللصوص في منازلهم لتكون الثغور مصونة ، والطرق آمنة ، وايدي الاشرار مقبوضة .

ويجب على الرعية : (٥)

١ ـ ان لا يشرعوا في شيء من تعنت السلطان وتتبع اسراره .

٢ ـ وان لا يدعوا النصيحة في الله تعالى ، اذا اراد الاقدام على أمر غير جميل .

٣ ـ وليجتهدوا في تحسين العدل عنده وتزيينه ، وتقبيح الجور وتهجينه .

٤ ـ وذلك انما يجب على خواصهم وعلمائهم ، اما غير هؤلاء فليس لهم ذلك .

٥ ـ واذا عرض لهم مكروه من بعض خواصه ، فلا يتعرضوا له دون التألم الى سلطانهم .

---

٢ ـ « : الادنين .

٣ ـ س (من الظالم) ساقطة .

٤ ـ ق : مسئلة .

٥ ـ ونذكر للطرطوشي ما يشير به إلى العلاقة بين الرعية والسلطان فيقول: «اعلموا أن منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد».
انظر: الطرطوشي : سراج الملوك ص ٩١.

٦ ـ واذا اتفق له سرور او فرح ، اظهروا الاستبشار بقدر مــا في طاقتهم[١] .

٧ ـ واذا عرضت بلية او حزن ، فليشاركوه في حزنه ويساعدوه على مــا هو فيه .

٨ ـ وليجيبوه اذا دعا في ليل او نهار ، ولا يخالفوا له امراً ، وليعتقدوا ذلك ديناً .

٣ ـ واما العدل : فهو حكم الله في ارضه ، والدليــل على شرف منزلته

[٣٣ أ] اطباق الأمــم عليـه مع اختـلاف مذاهبــهم، فليس منهم إلا مـن يوصي به ويعرف فضله[٢].

وينقسم الى ثلاثة [٣] اقسام .

احدها : ما يقوم به العباد من حق الله تعالى عليهم :

الاول : كالفرائض وما يتعلق بها .

الثاني : والقرابين والضحايا .

الثالث : وعمارة الجوامع والمساجد .

الرابع : والقيام بالنوافل .

الخامس : واستعمال ما امر الله ورسوله[٤] به.

الثاني : ما يقومون به من حق بعضهم على بعض :

الأول : كاقراض بعضهم بعضاً .

الثاني : وتأدية الأمانات .

الثالث: ورد الودائع .

---

١ ـ ق : طوقهم .

٢ ـ رأي مشابه للطرطوشي في كتابه: سراج الملوك ص ٩٥ في تقويم العدالة إذ يقول: «أول الخصال وأحقها بالرعاية العدل، الذي هو قوام الملك ودوام الدولة وأسس كل مملكة».

٣ ـ س : ثلثة .

٤ ـ س: (به) ساقطة.

الرابع : والشهادة بالحق .
الخامس: وفعل الخير .
الثالث : ما يقومون به من حقوق اسلافهم :
الاول : كتكفين موتاهم .
الثاني : وعمارة مقابرهم .
الثالث: وقضاء ديونهم .
الرابع: وتربية ايتامهم .
الخامس: والصدقة عنهم .

ومن اعمال العدل :
١ ـ ان يقسم المرء كل شيء على حقه وفي [١] موضعه .
٢ ـ وان لا يخالف السنن الموضوعة له .
٣ ـ وان يكون صدوقاً في كل ما ينبغي .
٤ ـ وان يكون حفوظاً لمواعيده منجزاً لها .
٥ ـ وان يكون رحيماً بريئاً من الدنس .
٦ ـ وان يجتمع فيه الوفاء والأمانة وبعض المساوىء [٢] .

٤ ـ وتدبير المملكة على أربعة قواعد [٣] : [٣٣ ب]

أ ـ حراسة الرعية : وهي أمانة الله ، الذي [٤] استودعه حفظها ، واسترعاه القيام بها ، وقد تقدم ذكرها .

ب ـ عمارة البلدان : وهي نوعان :

(١) مزارع : وهي اصول المواد التي بها يقوم أود الخلق ، ويلزمه

---

١ ـ س : في (الواو) ساقطة .
٢ ـ واشتراط المؤلف توفر بعض المساوىء في هذا الموطن اشتراط غريب .
٣ ـ ق : التدبير (المملكة على اربعة قواعد) ساقطة .
٤ ـ ق: وهم أمانات الله الذين.

فيها حقوق ثلاثة [1]

١ ــ القيام بمصالح المياه : لينتفع بها القريب والبعيد .

٢ ــ كف الأذى عنهم : لئلا يشتغلوا بغير الزراعة .

٣ ــ تقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع والعدل : حتى لا ينالهم خوف ولا عسف .

فان حيف عليهم في شيء من ذلك أو عسف بهم انعكس الصلاح الى ضده .

(٢) أمصار : وهي الاوطان الجامعة والمقصود بها خمسة أمور :

احدها : ان يستوطنها اهلها ، طلباً للدعة والسكون .

الثاني : حفظ الأموال فيها من الاستهلاك .

الثالث : صيانة الحريم والخدم من الانتهاك .

الرابع : التماس ما تدعو [2] الحاجة اليه من متاع وغيره .

الخامس: لا يتعرض للكسب وطلب المادة .

وتعتبر في انشاء المدن ست شرائط هي[3]:

احدها : سعة المياه المستعذبة .

الثاني : امكان الميرة المستمدة .

الثالث : اعتدال المكان وجودة الهواء .

الرابع : القرب من المراعي والاحتطاب .

الخامس : تحصين منازلها من الاعداء والذعار .

السادس : ان يحيط بها سواد يعين أهلها [4] .

جـ ــ تدبير الجند : بهم ملك الملك ، حتى قرر واستولى حتى قدر .

[٣٤ أ] وسنذكرهم اذا انتهينا اليهم .

---

١ ـ س ، ق : ثلثة .

٢ ـ س : تدعه .

٣ ـ س: (هي) ساقطة.

٤ ـ س : وردت كلمة (جواز) بعد اهلها وهي زائدة غير ضرورية .

د ـ تقدير الأموال ؛ ويعتبر ذلك [١] من وجهين :

١ ـ تقدير دخلها ؛ مقدر من وجهين :

أ ـ أما الشرع (فقد)[٢] ورد النص فيه بتقديره، فلا يجوز أن يخالف.

ب ـ وأما باجتهاد ولاة العدل فيما أداهم الاجتهـــاد اليه [٣] . فلا يسوغ ان ينقض .

٢ ـ تقدير خرجها : مقدر من وجهين :

احدها فيما كانت أسبابه لازمة أو مباحة .

الثاني بالمكنة ، حتى لا يعجز عنها دخل ، ولا يتكلف معها عسف .

ولا يخلو حال الدخل اذا قوبـل بالخرج من أحوال ثلاثة [٤] :

احدها : ان يفضل الدخل على الخرج : وذلك هو [٥] الملك المستقـــيم والتدبير القويم [٦] ، ليكون فاضل الدخل معرضاً لوجوه النوائب معداً [٧] .

الحالة الثانية : ان يقصر الدخل عن الخرج : وذلك هو الملك المختل والتدبير المعتل ، فتدعوه الحاجـــة الى العدول عن لوازم الشرع ويؤول [٨] الى العطب .

الحالة الثالثة : ان يتكافأ الدخـــل والخرج حتى يعتدل ، وذلك يكون في زمن السلامة مستقلاً ، وعند الحوادث معتزلاً [٩] . فان تحركت بـــه

---

١ ـ ق : (ذلك) ساقطة .
٢ ـ (فقد) من إضافة المحقق.
٣ ـ ق : (اليه) ساقطه .
٤ ـ س ، ق : ثلثة .
٥ ـ ق : (هو) ساقطة .
٦ ـ ق : السليم .
٧ ـ س : معرض لوجوه التأهب معه .
٨ ـ س : وتول ، ق : يؤل .
٩ ـ ق : معتلا .

النوائب كدّه الاجتهاد وتلمه الأعوان [1] .

[٣٤ ب] ويجب على من انشأ مدينة أو اتخذ مصراً ثمانية شروط :

احدها : أن يسوق اليها الماء العذب ليشرب ، حتى يسهل تناوله من غير عسف .

الثاني : ان يقدر طرقها وشوارعها ، حتى تتناسب ولا تضيق.

الثالث : ان يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها ، ليقرب على جميع أهلها .

الرابع : ان يقدر أسواقها بحسب كفايتها ، لينال سكانها حوائجهم من قرب .

الخامس : ان يميز قبائل ساكنيها ، بأن لا يجمع اضداداً مختلفة متباينة .

السادس : ان أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها، وان يجعل خواصه[2] كنفاً له [3] من سائر جهاته .

السابع : ان يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء ، لأنها بجملتها دار واحدة.

الثامن : ان ينقل اليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها [4] ، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج الى غيرها . فاذا أحكم ذلك لم يبعد عليه لهم إلا ان يسير فيهم بالسيرة الحسنى ويأخذهم بالطريقة المثلى .

فأما ما يخص الملك من الاتباع والأنواع ولا يستغني عنهم

[٣٥ أ] فهم [5] :

١ ـ وزير عالم . ٢ ـ كاتب عارف .

---

١ ـ ق : وتلمه الاخوان .

٢ ـ س : خواصها .

٣ ـ ق : كفاله .

٤ ـ س : العلوم (والصنائع بقدر الحاجة لسكانها)ساقطة.

٥ ـ س : (فهو احد عشر) زائدة ، كما ان الترتيب فيه اختلاف بسيط بين النسختين .

٣ ـ حاجب عاقل . ٨ ـ رب شرطة .
٤ ـ قاض ورع [١] . ٩ ـ جند اقوياء .
٥ ـ حاكم عادل . ١٠ ـ حكيم مجرب .
٦ ـ عامل جلد . ١١ ـ جليس صالح .
٧ ـ مال متوفر . ١٢ ـ صاحب الطعام والشراب .

اعلم انه لا بد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير على نظم الامور ، ومعين على حوادث الدهور ، يكشف له صواب التدبير . الا ترى الى نبينا صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله تعالى به من الاكرام ، وآتاه من الآيات العظام ، ووعده باظهار الدين ، وايده بالملائكة المقربين ، وهو مع ذلك موفق للصواب ، مؤيد بالرشاد ، اتخذ علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وزيراً ، فقال انت مني بمنزلة هارون من موسى. قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيراً ». فلو استغنى احد ممن ذكرنا عن المؤازرة والمعاضدة برأيه وتدبيره ، لاستغنى [٢] نبينا محمد وموسى صلوات الله عليهما وسلامه . فالوزير هو الشريك في الملك ، المشير [٣] فيه بحفظ اركانه ، المدبر بالقول والفعل اركانه .

ومن صفاته :

١ ـ ان يكون حسن العلم بالامور الدينية ، لأن الدين عماد الملك.
٢ ـ وان يكون حسن العقل لان العقل ملاك كل شيء وبه تتدبر الامور .
٣ ـ وان يكون شديد الحلم جميل الصفح ، ما لم يضر بالسياسة .
٤ ـ وان يكون حلو اللسان بليغ القلم ، ليخاطب الملوك .
٥ ـ وان يكون حميد الأخلاق تام القبول اديب النفس .
٦ ـ وان يكون سهل الحجاب ، مبذول الانصاف ، ظاهر البشر .

---

١ ـ س :(قاض ورع) ساقطة .
٢ ـ س : لاستغنا .
٣ ـ ق :المدبر.

٧ ـ وان يكون معمور القلب بالنصيحة معتقد الخير والصلاح .
٨ ـ وان يكون قليل اللهو ، بطيء الغضب ، كريم الطبع .
٩ ـ وان يكون كتوم السر ، صبوراً محتملا .
١٠ ـ وان يكون صحيح الجسم والرأي ، جيد الفكر .

[٣٥ ب] ومن جميل العناية بأهل عصرنا أن القائم بتشييد[١] ما ذكرنا، والمتولي تدبير ما قدمنا، من هو معدن الفضائل الموصوفة ورب الصنائع المألوفة ، والمحاسن المعروفة . الذي نشأ وهمته تأخذ بأعنان السماء ، ومكانة من العلم نشأ في مناط الجوزاء ، بدأ بالأدب فبرز في ميادينه ، وحمل لواء منثوره وموزونه ، فكأن العرب استخلفته على لسانها ، والأيام ولته زمام حدثانها ، فقد ملئت ساحات همته حكماً وعلماً ، وأوعية اخلاقه كرماً وحلماً ، لم يأل للدين الحنيفي [٢] إلا نصيحاً، ولم يدخر للدولة الإمامية الا نصراً فليحاً . فاستقرت من رأيه [٣] الميمون أمور الدولة مطانها ، واطمأنت متمكنة في مكانها، وانقادت له الأمور بأزمتها ، واطاعته المقادير بأعنتها ، وتحلت بمحاسن افعاله النواحي والأطراف ، واشرقت بنور رأيه الضواحي والاكتاف ، وشفع بديع جماله بكريم سجاياه [٤] ، وعنوان [٥] صحيفة جوده بطلاقة محياه . وقل من ضمنت خيراً طويته الا وفي وجهه للخير عنوان ، أطال الله في السعادة بقاءه ، وحرس من عيون الحوادث حوباءه [٦]، واسبغ عليه الظل الظليل الأمامي ، ونصر بيمن هيبته وسداد رأيه الجيش الاسلامي . ولا زالت دولته مترادفة الازدياد ، ومتصلة الدوام [٧] ليوم المعاد ، بمحمد وآله وصحبه آمين ، والحمد لله رب العالمين [٨] .

---

١ ـ س : تشديد .
٢ ـ ابن منظور: لسان العرب جـ ٩ ص ٥٨، مادة: حنف؛
«الدين الحنيف: الإسلام، والحنفية: ملة الإسلام، وفي الحديث: أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة، ويوصف به فيقال: ملة حنيفية، وفي الحديث: بعثت بالحنيفية السمحة السهلة».
٣ ـ س : ذابه . ٤ ـ س : شجاياه . ٥ ـ ق : رعيون .
٦ ـ الحوْباء: النفْس، ممدودة ساكنة الواو، ابن منظور: لسان العرب جـ ١ ص ٣٤٠، مادة: حوب.
٧ ـ د : (الدوام) ساقطة . ٨ ـ س: بمحمد وآله حب العباد .

ومما يجب للوزير :

١ ـ ان يبسطه الملك غاية البسط ويدنيه ويقربه .

٢ ـ وان لا يشاور احداً دونه ، ولا يقدم احداً عليه .

٣ ـ وان لا يكاتمه شيئاً مما يستعان به في مثله .

٤ ـ ولا يخالف له مشورة ولا ينشط احداً للسعاية به .

٥ ـ وان سمعها فليجتنب عنها ، فان تيقن صحتها صرفها الى حسن وجهها.

٦ ـ وان زل [١] زلة غفرها ، أو كانت له هفوة صفح عنها .

٧ ـ وان يتعهده [٢] بانعامه واكرامه ولطفه ولا يقطع عنها .

٨ ـ وليظهر في الخاصة والعامة صواب تدبيره وحسن قبوله أمره .

٩ ـ ليشرح صدره وينشط أمره [٣] ، ويتمكن مما يريد تدبيره .

[٣٦ أ]

ومما يجب على الوزير [٤] :

١ ـ يجب ان يكون خبيراً بأدب التدبير والسنن والفرائض والأحكام .

٢ ـ وان يكون ذا نصح للملك وأمانة وصدق وقول وفعل ليعتمد عليه .

٣ ـ وان ينهي الى الملك كل كلام يخاف عاقبته على المملكة .

٤ ـ ليجمع بذلك صدق الملك ونصحه والخروج من اللائمة عند الحوادث.

٥ ـ ويدمن النظر في سير الملوك وتدابيرهم وتجاربهم .

٦ ـ وان يجعل نهاره للنظر فى أمور العامة ، وليله للنظر في أمور الخاصة.

٧ ـ وينبغي ان يوكل بنفسه من يرفع أخباره اليه ، فيتصفحها في خلوته .

٨ ـ وليمض في الغد ما وافق الصواب ، ويتلافى ما يمكن تلافيه .

٩ ـ وليكثر عيونه على الخاصة والعامة حتى يعرف اخلاقهم واحوالهم .

١ ـ ق : ادرك . ٢ ـ س : يتعاهد . ٣ ـ ق : (امره) ساقطة .

٤ ـ « : عليه (الوزير) ساقطة .

وأرى من المناسب أن أشير إلى مقتطفات يذكرها الطرطوشي في أهمية الوزير للملك فهو يقول: «يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير» و «أسعد الملوك من له وزير صدق، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه». و «إن أول ما يستفيد الملك من الوزراء ، أمران، علم ما كان يجهله، ويقوي عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه». انظر: سراج الملوك ص ١٣١ .

١٠ ـ وان تكون شفقته على الملك كشفقته على نفسه وعلى الخاصة كحواسه، وعلى العامة كاعضائه [١] .

١١ ـ وان يحسن اختبار من يستعمله في اعمال الملك ، ولا يسـامح احداً فى جنايته .

١٢ ـ وليتفقد أقوال السعاة ، ويميز بين المحرج منهم والمتبرع.

وأما الكاتب : فهو لسان الملك عند الخاص والعام ، وله حالتان :

١ ـ حال الرضى :

أ ـ الاحماد والاجتباء .

ب ـ ثم المدح والتقريظ .

جـ ـ ثم الثناء والدعاء .

د ـ ثم المكافأة والجزاء .

٢ ـ حال السخط :

أ ـ مكاتبة السلطان :

١ ـ يبتدىء بالاستبطاء .

٢ ـ ثم التبكيت والتقريع .

٣ ـ ثم العذل والتوبيخ .

٤ ـ ثم الانذار والوعيد .

ب ـ مكاتبة الاخوان :

١ ـ يبتدىء بالمعاتبة .

٢ ـ ثم الاستزادة .

٣ ـ ثم الشكاية .

[٣٦ ب] والكتاب اربعة :

١ ـ كاتب حضرة ٢ ـ كاتب جيش ٣ ـ كاتب احكام ٤ ـ كاتب خراج .

١ ـ اما كاتب الحضرة :

---

١ ـ ق : هكذا وردت الجملة : وعلى الخاصة كحواسه كأعضائه العامة .

أ – فيجب ان يكون ذكياً فطناً بارعاً لسناً .
ب – وان يكون قادراً على تصوير الحق بصورة الباطل وبالضد .
جـ – وان يكون متأدباً حسن الخط جيد العبارة بليغاً .
د – وان يكون ذا علم بالنحو واللغة والفصاحة ، عذب الكلام .
هـ – وينبغي ان يعرف مواقع الجنايات على أيدي المتصرفين .
و – ويجب ان يختار اجلّ الألفاظ لأجل المخاطبين .
ز – وان يجعل أفخم الألفاظ لأفخم المعاني وبالضد .
ح – وان يعرف مراتب الملوك والكاتبين ، فيعطي كلاً منهم حقه .

٢ – وأما كاتب الجيش :
أ – فيجب ان يكون ذكياً [١] عالماً بالحلي وثياب [٢] الدواب .
ب – وان يكون خبيراً بالسلاح عارفاً بلغات جنده .
جـ – وينبغي ان يلزمهم احضار بركهم وخيلهم وعرضهم عليه في كل شهر .
د – وينبغي ان ينهي للوزير ما يحتاج اليه من النفقات والجرايات .
هـ – وان لا يؤخرهم على اوقاتهم وعاداتهم لئلا يشتغلوا بالكسب .
و – وينبغي ان يكون له دربة بترتيب العساكر ليقدم من يجب تقديمه .
ز – وان يكون ذا علم بجيد الدواب والسلاح ورديئهما .

٣ – واما كاتب الاحكام :
أ – فيجب ان يكون عارفاً بعلوم الشريعة وحدودها .
ب – وان يعرف ما يجب فيه الجلد والقتل والقطع .
جـ – وان يكون خبيراً بالجنايات واقدارها .
د – وان يعرف احكام الدعاوى والبينات.

---

١ – ق : (ذكياً) ساقطة .
٢ – س : وسياسات . نحبذ وضع كلمة ثياب لعلاقتها بالحلي .

هـ – وان يكون له خبرة بالاقرار والانكار وما يجب فيهما .
و – وان يكون عالماً بما يجوز للحر والعبد والمكاتب .
ز – وان يكون بصيراً بالشهود وطبقاتهم وشهاداتهم .
ح– وان يكون له دربة باحكام الوكالات ومن تجوز وكالته ومن لا تجوز .

٤ – واما كاتب الخراج :

أ – ينبغي ان يكون خبيراً بحفر الانهار ومجاري المياه .
ب – وان يكون عارفاً بالمساحات وتخمين الغلاّت .
ج – وان يكون عالماً بفصول السنة ومجاري الشمس .
د – وان يكون بصيراً بالحساب وكسوره وترتيبه .
هـ – وان يكون له دربة بعقد الجسور والقناطر والمصالح .
و – وان يكون له خبرة بما يدفع من الزرع في الاراضي
ز – وان يكون بصيراً بأوقات الزرع واحوال الاسعار .
ح – وان يكون عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له .

[٣٧ أ] واما الحاجب : فهو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقاءه، ليرتب الناس بين يدي الملك، كما يليق بمجلسه وصفته :

١ – يجب ان يكون فهماً ذا خلق واسع ومنطق بارع .
٢ – وان يكون طويلاً جسيماً وسيماً ، لتروع العيون هيأته [١] وهيبته .
٣ – وان يكون ذا عقل وحكمة يدلانه على صواب ما يأتي ويذر .
٤ – وينبغي ان يكون لا مكفهراً ولا سهلاً ليّن الانقياد .
٥ – ويجب عليه ان يعرف مراتب الداخلين على الملك فينزلهم منازلهم .
٦ – ولا ينبغي الاذن عند جلوس الملك ، ولا يطلقه عند خلوته .
٧ – ويجب عليه ان يعرف سير الملوك وقواعدهم وخاصة الملك وعامته.

---

١ – ق : هيئته ، س : ساقطة .

٨ ـ وليعرف عذر من تأخر منهم ليجيب السلطان اذا [١] سأل عنه .
٩ ـ وليأمر من يسير بين يدي الملك ببعدهم عن ركابه .
١٠ ـ وليمنع العوام من التعرض لركابه بالقصص وليأمر بأخذها منهم .
١١ ـ ويجب عليه مراعاة الوزير والامتثال لأمره لأنه المشار اليه دونه.
١٢ ـ وينبغي ان يعرف اخبار الملك في كل وقت ويوصل اليه الاخبار .
١٣ ـ وليأمر البوابين بانهاء ما يرد عليهم لئلا يخفى عنه من دار الملك شيء .
١٤ ـ وليعرف الاوقات التي يجلس فيها الملك والاوقات التي يكون في خلوته .
١٥ ـ وينبغي له ان يراعي خواص الملك ويكرمهم ويعرف مواضعهم.
١٦ ـ ولا يفسح لأحد منهم في الدخول عليه إلا باذنه ولو كان ولداً .

واما القاضي : فهو ميزان الملك من رعيته وصفته :

١ ـ يجب ان يكون ذا وقار وورع واناة [٢] وزهد .
٢ ـ وان يكون ذكياً فطناً عالماً عاقلاً عارفاً بأدب القضاء .
٣ ـ وان لا يجعل في الحكم قبل ثبوته ، ولا يتوقف عند التبيين .
٤ ـ وان يكون فقيهاً نزهاً عفيفاً خبيراً بمذاهب الناس .
٥ ـ وان يكون ممارساً للامور ، مستمراً في النوبة بين الخصوم .
٦ ـ وان يكون صادعاً بالحق على من وجب عليه غير مراقب .
٧ ـ وان لا يقبل هدية ولا يسمع قول شفيع في شيء من أمور الحكم .
٨ ـ وان لا يأذن لأحد الخصمين دون الآخر بل يخصهما سواء .
٩ ـ وان يكون قليل التبسم ، طويل الصمت ، شديد الاحتمال .
١٠ ـ وان لا يكلف أحد الخصوم حاجة ، ويصفح عن سقطاتهم وزلاتهم .

---

١ ـ ق : ان .
٢ ـ س : واثارة .

١١ — ويجب عليه ان يجعل على اموال الايتام والوقوف والمصالح حافظاً[١].
١٢ — وان يبالغ في التفتيش على الشهود والوكلاء [٢] ويعرف احوالهم .
١٣ — ويجب ان يكون راهب الأمة ، وناشد البرية ، وعالم الناس في ذلك الوقت . [٣٧ ب]

واما صاحب الشرطة :

١ — فينبغي ان يكون حليماً مهيباً ، دائم الصمت ، طويل الفكر ، بعيد الغور .
٢ — وان يكون غليظاً على أهل الريب في تصاريف الحيل ، شديد اليقظة[٣].
٣ — وان يكون حفيظاً ، ظاهر النزاهة ، عارفاً بمنازل العقوبة ، غير عجول .
٤ — وينبغي ان يكون نظره شزراً ، قليل التبسم ، غير ملتفت الى الشفاعات .
٥ — وان يأمر أصحابه بملازمة المحابيس ، وتفتيش الأطعمة وما يدخل السجون .
٦ — وليأمر الحراس من أول الليل الى آخره بتفقد الدروب والشوارع ويحكم أمرها .
٧ — ولينظر ها آخر وقت ، ومن يخرج منها عند فتحها ، فهو وقت الريبة .
٨ — ويجب عليه عمارة سور المدينة وابوابها ، ولمّ شعثها ، ومعرفة من يدخلها .
٩ — ويجب عليه اقامة الحدود ، كما وردت في الكتاب العزيز ، والعمل بها .
١٠ — وليعلم ان الله تعالى أعلم بصلاح عباده ، فلا يهمل من حدوده شيئاً .
١١ — واذا افرج عن أحد من السجن ، ثم عاد بجرم ، فليجعل الحبس قبره .
١٢ — وليمنع المظلوم من الانتصار لنفسه بيده ، بل ينهي حاله ليقابل بما يستحق .
١٣ — ويأمر العامة ان لا يجيروا احداً ، ولا ينبهوه للهرب [٤] بل يدلون

---

١ — س : (حافظاً) مطموسة .
٢ — س : والوكلاء (والاتباع) زائدة .
٣ — س :(شديد اليقظة) ساقطة.
٤ — ق : اللهرب .

عليه [1] فإن الضرر يعود اليهم [2] .

١٤ – وينبغي ان تكون عقوبته الخاص والعام واحدة ،كما أمرت الشريعة

وأما الجند : وهم حملة السلاح ، بهم تدفع الأعداء وتؤخذ المدن [3] :

١ – يجب ان يكون له صاحب من التقاة والكفاة والهداة ، العارفين بمكايد الحروب .

٢ – ويجب ان يكون ايضاً مطيعاً قابلاً لما يشار اليه ، باذلاً جهده في نصح الملك .

٣ – وينبغي ان لا يتخذ من الجند من كان معتاداً للرقة والراحة والتنعم .

٤ – ويمنعون من اتخاذ الصنائع ويؤخذون دائماً بالرياضة والفروسية .

٥ – ويتفقد أحوالهم في كل وقت ، ويوفون ارزاقهم ليشتغلوا [4] بما يؤمرون به .

٦ – ويجب ان يكونوا متيقظين ، سريعي الغضب ، قليلي [5] النوم ، كثيري [6] الحركة .

٧ – وان يكونوا ذوي بأس ونجدة ، مؤتلفي القلوب على طاعة ملكهم .

٨ – وليؤمر رؤوسهم [7] وقوادهم ، بعرضهم في كل شهر مرة ، ويعتبر عددهم [8] .

---

١ – س : (للهرب بل يدلون عليه) ساقطة .
٢ – ق : (فان الضرر يعود اليهم) ساقطة .
٣ – س : (وتؤخذ المدن) ساقطة .
٤ – س : ليشتغلون .
٥ – ق : قليلين .
٦ – ق : كثيرين .
٧ – « : رؤسهم ، س : روسهم .
٨ – « : عدهم .

٩ – ولتكن قوادهم من اكابرهم (١) قدرا ، واعرفهم بالوقائع والحروب.
١٠ – وان يجعل على كل عشرة قائد وعلى كل عشرة من القـــواد رئيساً ، حتى ينتهي الى رب الجيش .
١١ – وان يقوم بكفايتهم ، حتى لا يحتاجـــوا (٢) فتدعوهم الحاجة الى أمور ثلاثة (٣) :

أ – اما ان يتسلطوا على الرعية .
ب – واما ان يعدلوا الى من يقوم لهم بالكفاية .
جـ – واما ان يشتغلوا بالكسب ، فلا ينتفع بهم عند الحاجة .

كتب ارسطو الى الاسكندر : تفقـد جندك فانهم اعداء ، تنتقم بهم من اعداء .

[٣٨ أ] واما العامل : فهو جامع الاموال وعامر الاعمال يجب :
١ – ان يكون عاقلاً عارفاً (٤) عالماً بأمور السواد .
٢ – وان يكون ناصحاً في جمع الاموال (٥) ، عاملاً بالعدل .
٣ – وان يكون فيه انصاف وانتصاف وعمارة ونزاهة .
٤ – وان يكون (٦) قصده ادرار اموال الرعية وتوفير مال السلطان.

واما المال فهو قوة الملك ، وعليه الاعتماد ، ويحتاج الى اربعة أمور (٧).
١ – الحث على جمعه ونموه :
أ – يجب ان يأمر الرعية بالاستكثار من العمارة.

---

١ – ق : من ابرهم .
٢ – « : لا يتراجوا .
٣ – « ، س : ثلثة .
٤ – ق : (عاقلا عارفاً) ساقطة .
٥ – س ، ق : جميع ، والاصح (جمع) حتى يستقيم المعنى
٦ – ق : وليكن .
٧ – « : امور أربعة .

ب ـ لان الحماية بالحروب ، والحروب بخيل ، ولا تقـــوم الخيل الا بمال .
جـ ـ وان يؤاخذ الرعية على التقصير في الاكتساب .
٢ ـ اختيار من يتولى حراسته :
أ ـ ينبغي ان يكون الخازن أميناً على ما يتولاه .
ب ـ وان يكون عفيفاً ، غني النفس ، ذا [١] مال .
جـ ـ وان يكون بعيداً من الخيانة ، غير متشاغل باللهو .
٣ ـ اختيار مكان حرز يحفظه :
أ ـ يجب ان يكون في أحرز مكان .
ب ـ واصون موضع وأبعده عن النظر .
جـ ـ وان يباشره بنفسه عند خزنه ويراعيه .
٤ ـ وجه الحاجة اليه :
أ ـ يراد لسد ثغر ، وقمع عدو .
ب ـ ويراد لدفع مكروه وقوة عاجز .
جـ ـ ويراد لفك عان وقضاء دين .
د ـ ويراد ليتم به أمور الناس على الاطلاق .
وأما الحكيم : [٣٨ ب]
١ ـ ينبغي ان يكون حاذقاً لطيفاً رقيقاً طويل الفكرة .
٢ ـ وان يكون صحيح الروية ، كثير الدرس في الكتب القديمة .
٣ ـ ويجب ان يكون عالماً بمجرى علم الطب وعمله .
٤ ـ وان يكون كثير العلاج والتجارب ، عالماً بالمجازات .
٥ ـ وينبغي ان يكون ديّناً خيّراً [٢] مأمون السيرة .
٦ ـ ويجب ان يكون ثوبه نظيفاً ، ورائحته طيبة .
٧ ـ وينبغي ان يكون عارفاً بالعقاقير والادوية والاغذية .

---
١ ـ س : ذو .
٢ ـ ق : خيراً ديناً .

٨ ـ وان يكون [١] عالماً بمفردها ومركبها ، وجيدها ورديئها .
٩ ـ وان يكون بصيراً بفصول السنة وأوقات الاعتدال .
١٠ ـ وليعرف المياه والأهوية والبلدان وما يستعمل فيها .
١١ ـ وينبغي ان يكون عارفاً بأحكام النجوم وتسييراتها .
١٢ ـ وان يعتني بعلم الاختيارات ، لكثرة حاجة الملوك اليها .

وأما الجليس :

١ ـ فان الملك يحتاج اليه كحاجته الى الوزير والحاكم وغيرهما .
٢ ـ وينبغي ان يكون رجلاً من العظماء ، عاقلاً ديناً حراً عفيفاً .
٣ ـ وان يكون متأدباً ، حسن الاخلاق ، مسفر الوجه ، مقبول الصورة.
٤ ـ وان يكون معتدل الشكل ، لا ضخم ولا نحيف ، بل يكون صحيح الأعضاء .
٥ ـ وان يكون نقي الثوب ، طيب الرائحة ، بعيداً من المعايب .
٦ ـ وينبغي ان يكون ذا معرفة بالنحو واللغة والبلاغة والفصاحة .
٧ ـ وان يكون حافظاً لصواب الشعر وملحه ومجونه ونوادره .
٨ ـ وان لا يخلو من الحكايات والمفاكهة وضروب الأمثال في اوقاتها .
٩ ـ وان يكون كتوماً للاسرار ، بعيداً من النميمة ، حسن المحضر للناس.
١٠ ـ وليكن خبيراً بخصائص الملوك مبجلاً لخواصه ، مكرماً لهم .
١١ ـ واذا عرضت للملك حاجة ونظر اليه ، فليقم ، فان عاد فليقف ، حتى يأذن له ثانية .

[٣٩ أ] وأما صاحب الطعام والشراب :

١ ـ ينبغي ان يكون ثقة مؤتمناً ، عاقلاً حراً ، مجلاً للملك ، مجتهداً في رضاه.
٢ ـ وان يتلطف في منع الملك عن بعض المطاعم التي لا توافقه ، ويعرّفه وجه المصلحة في تركها .

---

١ ـ س : (وان يكون) ساقطة .

٣ – وان لا يعرض عليه طعاماً عرضه مرة قبلها ، بل يصرفه في الوجوه الجميلة .
٤ – ولا يكون بخيلا ولا مضيعاً ، وينبغي ان يتصفح المطبخ أول الأوقات وآخرها لأجل الغداء والعشاء .
٥ – وليتفقد الطعام والشراب في كل ساعة ، حتى الملح والخل واشباههما .
٦ – وليكثر مراعاة الآلات ، فإن رائحة الطعام وجودة عرفه ، وحسن تنضيجه يفتق الشهوة .
٧ – ويجب ان يكون خبيراً بتنصيص الألوان وترتيبها وأوقاتها ، ليختار لكل فصل ما يليق به .
٨ – وان [1] يكون عارفاً بما يجلب من البلاد ، من المطاعم والمشارب ، والجيد منها والمغشوش .
٩ – وان يكون ذا علم بأدب المجلس ، بصيراً بتعبيته وبحسن اوانيه .
١٠ – ويجب ان يكون عالماً بما يهوى الملك من الاطعمة والاشربة ، فيبالغ في اتخاذه وتجويده .

---

١ – ق : وينبغي ان .

[خاتمة][1]

[حكم ووصايا][2]

ونحن ذاكرون من أقاويل القدماء وأهل الفضل ما نجعله خاتمة كتابنا هذا . فإن للنوادر [3] والوصايا ، والحكايات والأمثال في مثل هذا الفن غنــاء عظيم وفوائد جليلة .

فمن ذلك : كتب بعض الملوك [4] إلى حكيم لهم : ما الذي يحيي الفتن، وما الذي يميتها ؟ فكتب اليه :

اما ما يحييها :

١ ــ غفلة ملتذ ويقظة محروم .

٢ ــ وضغائن حبها اثرة .

٣ ــ واطماع من لم يقنعها ذعر .

٤ ــ وجراءة ولدها الاستخفاف .

٥ ــ وأكدها انبساط الألسن بضمائر القلوب .

٦ ــ واشفاق موسر من ألم معسر .

وأما ما يميتها :

---

١ ـ ٢ ـ بين قوسين [ ] من اضافة المحقق .

٣ ـ ق : النوادر .

٤ ـ « : ملوك (الفرس) زائدة .

١ – ذل مسلوب عن سالب .
٢ – ودرك بغية .
٣ – وموت أمل .
٤ – وذهاب ذعر .
٥ – وتمكن رعب .
٦ – وهيبة في قلوب الأعداء .

فأما اختلاف الناس في آرائهم ومذاهبهم وعاداتهم، فهم مختلفو[1] الطباع في أغراضهم وشهواتهم. فمنهم من يكون قوياً في المعاني التي نذكرها كلها[2]، ومنهم من يكون ضعيفاً فيها كلها، ومنهم من يكون قوياً في البعض، ضعيفاً في البعض. وهذه المعاني التي ينقسمون إليها: [٣٩ ب]

القسم الأول : هم المؤثرون الزهد في الدنيا ، وهم نوعان :

النوع الأول[3]: هم الذين مالوا إلى العلوم الدينية، كالفقه والتفسير والحديث[4] .

النوع الثاني[5]: هم الذين يختارون[6] التجرد والانقطاع والسياحة في الجبال.

القسم الثاني : هم المؤثرون للآداب الدنيوية ، وهم أنواع :

الأول : هم الذين ارادتهم إشاعة الخير عنهم بالعلم من غير اشتغال .

الثاني : هم الذين شهوتهم جمع الكتب فقط دون الاشتغال بها .

الثالث : هم مختارو[7] أدب الروم ، كالطب والنجوم والفلسفة .

---

١ ـ س : يختلفون ، ق : مختلفوا .
٢ ـ س : (كلها) ساقطة .
٣ ـ س : النوع الاول (النوع) ساقطة.
٤ ـ س : الاحاديث.
٥ ـ س: النوع الثاني (النوع) ساقطة.
٦ ـ « : هم مختاروا .
٧ ـ ق : مختاروا .

الرابع : هم مؤدبو [١] أثر الفرس في السير وتدبير الممالك.

الخامس : هم الذين يؤثرون علم الانساب [٢] والأيام والوقائع .

السادس : هم الذين يميلون الى آداب العرب ، كالشعر والنحو والكتابة.

[٤٠ أ] واما القسم الثالث: فهم [٣] على أنواع :

النوع الاول : هم الذين ميلهم الى المطاعم والتأنق فيها ، والمبالغة في اتخاذها [٤] :

أ ـ كمن يميل الى الطعوم الدسمة [٥] .

ب ـ كمن يمتنع مما تقدم ، ويستعمل اللبن [٦] والبقول .

جـ ـ كمن يختار أكل الطير [٧] والاشنان وشبهه .

النوع [٨] الثاني : هم الذين ميلهم الى المشارب واتخاذها ، وبغية مجالسها [٩]:

أ ـ كمن يهوى الأشربة الحلوة [١٠] .

ب ـ كمن يختار شرب الأنبذة واشباهها .

جـ ـ كمن غرضه ما يفسد العقل ويغيره .

النوع [١١] الثالث : هم الذين غرضهم السماع وما يتعلق به وتفضيله على غيره [١٢] :

---

١ ـ ق ، س : مؤدبوا .
٢ ـ س : الانسان .
٣ ـ ق : وهم .
٤ ـ « : (وينقسمون اقساما) زائدة .
٥ ـ «: الدسمة (وشبهها) زائدة .
٦ ـ س : (اللبن) ساقطة .
٧ ـ ق : الطين .
٨ ـ س : (النوع) ساقطة .
٩ ـ ق : مجالسها (وينقسمون اقساما) زائدة .
١٠ ـ ق : الحلوة (واشباهها) زائدة .
١١ ـ س : (النوع) ساقطة .
١٢ ـ ق : على غيره (وينقسمون قسمين) زائدة .

أ ــ كمن يؤثر حسن الصوت فقط .

ب ــ كمن غرضه آلة مخصوصة من الآلات .

النوع [١] الرابع : هم الذين مرادهم الباه، وجعل كدحهم لأجله لا غير [٢]:

أ ــ كمن يميل الى النساء ومعاشرتهن [٣].

ب ــ كمن يفضّل الغلمان على غيرهم .

جـ ــ كمن يختار النظر دون [٤] غيره.

د ــ كمن يهوى ان يكون مفعولاً به لا فاعلا .

النوع [٥] الخامس : هم الذين يفعلون اموراً قبيحة، يألفونها فتصير عادة [٦]:

أ ــ كمن يعتاد تقريض لحيته .

ب ــ كمن يقلم أظفاره بفيه ، واشباه ذلك .

القسم الرابع : وهم على أنواع :

النوع الأول [٧] : هم الذين يختارون معاشرة الاصدقاء واتخاذ الأخوان .

النوع [٨] الثاني : هم الذين يقتنون المـــال ، ويفتخرون بجمعه وحفظه ومراعاته .

النوع الثالث : هم الذين ميلهم الى اقتناء الأملاك والعقارات دون غيرها .

النوع الرابع : هم الذين ايثارهم اقتناء الآلات الجميلة والأدوات الحسنة .

النوع الخامس : هم الذين اختيارهم علوّ المنزلة عند السلطان والقرب منه .

---

١ ــ س : (النوع) ساقطة .

٢ ــ ق : لا غير (وينقسمون اقساماً) زائدة .

٣ ــ س ، ق : ومعاشرتهم .

٤ ــ س: على.

٥ ــ س : (النوع) ساقطة .

٦ ــ ق : عادة (وينقسمون اقساماً) زائدة .

٧ ــ س : تذكر في التسلسل الثاني بدلا من الاول .

٨ ــ س : (النوع) ساقطة ، وكذلك في بداية كل من الاسطر الثلاثة التالية .

[٤٠ ب] وينقسمون بعد ذلك الى اقسام ثمانية هي [١] :

١ ــ صنف يفعلون الخير طبعاً ، وهذه صفة الأحرار .

٢ ــ صنف يقترفون الشر طبعاً ، وهذه صفة الهوام السّمية .

٣ ــ صنف يشكرون المحسن ، وهذه صفة الشاكرين .

٤ ــ صنف يسيئون [٢] الى من اساء اليهم ، وهذه صفة الحاقدين .

٥ ــ صنف ينكرون الاحسان ، وهذه صفة كافري النعمة .

٦ ــ صنف يصبرون على الأذى ، وهذه صفة ذوي العقول والاحتمال .

٧ ــ صنف يكافئون الاحسان بالاساءة ، وهذه صفة الأنذال .

٨ ــ صنف يحسنون إن أسيء اليهم ، وهذه صفة الملائكة من الأنس .

وافعال المرء واقواله لا تخلو من أربعة أحوال :

الحالة الأولى : جائزة في العلم غير جائزة في الأدب ، كالأكل في الاسواق والبول على شوارع الطرق وأشباه ذلك .

الحالة الثانية : جائزة في الأدب غير جائزة في العلم ، كالشرب في أواني الذهب والفضة ولبس الحرير والتختم بالذهب واشباهه .

الحالة الثالثة : جائزة في العلم والأدب معاً ، كخدمة الرجل ضيفه وبرّ الوالدين ومجازاة المحسن وبذل المال.

الحالة الرابعة : غير جائزة في العلم ولا في الأدب ، كالزنا والسكر والشره والكذب وما أشبه ذلك .

[٤١ أ] ومما يجب على المعتني بإصلاح أخلاقه، والمحب لكمال ذاته، مراعاة[٣] هذه الأمور:

---

١ ــ ق : ثمانية يأتي ذكرها ،

٢ ــ س : يسون .

٣ ــ س : ومرعاة .

أ [1] – ان يغتنم الحياة التي بها فارق الأموات والجماد ، فيصرف زمانه في المهم دون غيره .

ب – وان يحذر من قول بعضهم ، ان امرءاً [2] ذهبت من عمره ساعة لحري ان تطول حيرته عليها .

جـ – وان يكون متفقداً لجميع أحواله [3] وأخلاقه ، متيقظاً لسائر أحواله ، منتقصاً لمذموم العادات .

د – وان يحترز من دخول النقص عليه ، وليجتهد في بلوغه غاية الكمال .

هـ – وان يكون ابداً عاشقاً لصورة الكمال ، مستلذاً محاسن الأخلاق ومحمودها .

و – وان يعتني بتهذيب نفسه ، فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة .

ز – وان يكون مستصغراً للرتبة العليا ، طالباً غايتها بجهده ، جاعلا غرضه الاحاطة بها .

ح – وان لا يقف عند غاية من العلم الا ويومىء بطرفه الى ما فوقها ليزداد بصيرة .

ط – وان يأخذ نفسه بأوامر الله ورسوله وأولي الأمر من بعده ، ليؤدبها بآدابهم [4] .

ي – وان يسدد [5] طرفاً من علم اللسان ، ويعتني بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس .

---

١ – ق : أ ب جـ د ... الخ ساقطة .
٢ – « : امروء .
٣ – « : (احواله) ساقطة .
٤ – س : بادبهم .
٥ – س : يشدوا .

يا – وان يجعل لشهواته قانوناً راتباً، يقصد فيه الاعتدال ويجتنب الاسراف.
يب – وان يقمع ابداً سورة القوتين الغضبية والشهوانية ، واستعمال [1] قوة العقل عليها .
يج – وان يجتنب مخاطبة النساء والصبيان والعامة والسفهاء ، ويلازم الصمت عما لا ينبغي .
يد – وان يجتنب ايضاً محاكاة الغير بالكلام ، واستعمال السفه بالالفاظ القبيحة ، ويترك [2] الحلف .
يه – وان يكون سهل اللقاء والبشر والتسليم ، سابقاً به [3] ، بعيداً من الاشرار ، مستعمل القصد [4] في كل اموره .
يو – فإنه اذا فعل ذلك ، كان [5] جديراً [6] أن يملك نفسه ، ويألف حسن السيرة.

فإن الإنسان اذا راعى [7] هذه الأحوال [8] وسلك سبيلها :

١ – صار محبباً الى الناس .
٢ – مقبول القول ، معظماً عندهم .
٣ – موقراً عند الرؤساء والأدباء [9] .
٤ – قوي النفس على الفعل الجميل .
٥ – قادراً على اطراح الفعل المرذول .
٦ – وغلب عليه الصلاح .

---

١ – ق : ويستعمل .
٢ – س : وترك .
٣ – س : (سابقاً به) ساقطة .
٤ – س : مستعمل الخير (في كل اموره) ساقطة .
٥ – س : (كان) ساقطة .
٦ – ق : خليقا .
٧ – » : راعا .
٨ – » : الاشياء .
٩ – » : (الادباء) ساقطة .

٧ – ولحق برتبة أهل العلم [١] .
٨ – وصارت الفضائل لديه ديدناً .
٩ – وأصبح مكرماً عند الله تعالى .

وصية لبعض الحكماء ، تحتها معان نذكرها :

أ – جوّد عطرك ؛ معناه : وسّع معروفك .
ب – وطيّب رائحتك ؛ معناه : نظّف جسمك من المعصية .
جـ – وقلّم أظفارك ؛ معناه : كف لسانك عن المعايب .
د – وقصّر خطوتك ؛ معناه : تمهّل في الأمور .
هـ – ونظف ثوبك ؛ معناه : حسّن خلقك .
و – ولا تحتقر عدوّك ؛ معناه : لا تستصغر اليسير من الهوى .

وقال بعض الملوك لوزرائه : ميّزوا لي كلمات اذا سمعها عاقل حفظها ، فقالوا :

١ – لا تحمل على بدنك ما لا تطيق .
٢ – ولا تعمل عملا ليس[٢] لك فيه منفعة .
٣ – ولا تغتن بامرأة ، وان حسنت [٣].
٤ – ولا تغترّن بمال ، وان كثر .

وقال بعض العلماء : ثماني خصال قبيحة ، وهي بمن نذكرهم أقبح :

١ – الضيق ؛ من الملوك .
٢ – سرعة البطش ؛ من السلطان .
٣ – العظمة ؛ من السفهاء .
٤ – البذل ؛ من النساء .
٥ – الجهل ؛ من الاشراف .
٦ – البخل ؛ من الأغنياء .

---

١ – ق : الفضل .
٢ – « : ليست .
٣ – س : (وان حسنت) ساقطة .

٧ – الصبا ؛ من العقلاء .
٨ – الكذب ؛ من الحكماء .
[٤ أ] ومن وصايا العلماء والحكماء ما نحن ذاكرونه هنا [١] :
قال حكيم : لا [٢] تحث غيرك على فضيلة ما لم تكن كاملة فيك ، فان فعلك يخبر عن قبول كلامك .
وقال آخر : ليكن فرحكم في الدنيا بقدر ما تدخرونه لانفسكم ، لا بما تقتنونه لغيركم .
وقال آخر : لا تغر أخاً على أخ ، فيوشك ان يصطلحا عن قليل وتكسب المذمة [٣] بما فعلت .
وقال آخر : اختر ان تكون مغلوباً وانت منصف ، ولا تكن غالباً وانت ظالم .
وقال آخر : من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسألة [٤] ، ليكون أكمل التذاذاً واهنأ موقعاً .
وقال آخر : الشيء الذي لا ينبغي ان تفعله فلا تقربه [٥] ، ولا تحكم قبل [٦] سماع الخصمين .
وقال آخر : يجب على من اصطنع معروفاً يتناساه ، وينبغي على من أسدى اليه ان يكون ذكره بين عينيه .
وقال آخر : الأدب يزين الغني ويستر الفقير ، ومن تشاغل به فأقل ما يربح منه ان لا يتفرغ للخطأ .

---

١ ـ ق : (هنا) ساقطة ، س، ق: ذكروه.
٢ ـ ق : لا (يجب ان) زائدة .
٣ ـ « : تكسب (الواو) ساقطة .
٤ ـ س : المسلة ، ق : المسئلة .
٥ ـ ق : تهوه .
٦ ـ « : من قبل (من) زائدة .

وقال آخر : لا تضاد شيئاً من الخير ، ولا تستقن شيئاً [1] من السيئات ، واعددن اذاً [2] فلا تدري متى الرحلة [3] .

وقال آخر : لا ينبغي ان تترك ما هو افضل من اجل السرور الزائل ، فتترك السرور الدائم والنعيم السرمدي [4] .

وقال آخر : اجب الحكمة وانصت للحكماء ، واطّرح سلطان الدنيا ولا [5] تفعل شيئاً في غير وقته وأوانه .

وقال آخر : لتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع ، ولا تستحقر احداً لتواضعه ولا تسفه على احد .

وقال آخر : لا تفرح بالبطالة ، ولا تتكل على البخت ، ولا تندم على فعل الخير ، والزم العدل في كل امورك .

وقال آخر : إذا لم تطعكَ نفسك فيما تحملها عليه مما تكره فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى .

وقال آخر [6] : لا تحضر منازعة فانك لا تخلو [7] من قسط من أذاها، ولو بالمطالبة باقامة الشهادة .

وقال آخر : احفظ لسانك من الزلل ، ولا تضحك اذا عثر ، والجم غضبك لئلا يخرجك من [8] عقلك .

وقال آخر : احذر ان ترتكب قبيحاً في خلوة أو مع غيرك ، وليكن

---

١ ـ س : تستغني ش .
٢ ـ ق : اذى .
٣ ـ « : الدعة .
٤ ـ س : السرمد .
٥ ـ ق : فلا .
٦ ـ ق : هذه الوصية متقدمة في التسلسل .
٧ ـ س : تخلوا .
٨ ـ س : عن .

استخبارك من نفسك اكثر .

وقال آخر : [1] اذا سمعت كلاماً جيداً أو رديئاً فلا تمتعض من سماعه وان كان لازماً فهوّن على نفسك .

وقال آخر : كلما عذرت نفسك عليه فلا تلم أخاك على فعـــله [2] ، وإذا فعلت فعلا وظهر لك رداءته فلا تعاوده .

وقال آخر : من التمس الرخص في المشورة من الأخوان ، ومن الاطبـــاء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه فقد اخطأ الرأي .

[٤٢ ب] وينبغي ان يتحرز من هذه الآفات :

الأولى : آفة الملك ؛ سوء السيرة .

الثانية : آفة الوزراء ؛ خبث السريرة .

الثالثة : آفة الجند ؛ مخالفة القادة .

الرابعة : آفة الامراء ؛ مفارقة الطاعة .

الخامسة : آفة الرعية ؛ ضعف السياسة .

السادسة : آفة العلماء ؛ حب الرياسة .

السابعة : آفة القضاة ؛ شره الطمع .

الثامنة : آفة العدل ؛ قلة الورع .

التاسعة : آفة الملك ؛ تضاد الحماة .

العاشرة : آفة العدل ؛ ميل الولاة .

الحادية عشرة : آفة الرأي ؛ إضاعة الحزم .

الثانية عشر : آفة القوى ؛ استضعاف الخصم .

الثالثة عشر : آفة الجد ؛ عوائق القضاء .

---

١ — س : الوصية مكرورة مرتين .

٢ ق — : عليه (فعله) ساقطة .

الرابعة عشر : آفة الحق ؛ [1] انتقاص [2] الآراء.
الخامسة عشر : آفة المنعم ؛ قبح المن .
السادسة عشر : آفة المذنب ؛ سوء الظن [3] .
وصية أوصى بها ارسطو للاسكندر ، فقال :
أ - اذا صفت [4] بك السلامة ، فجدد ذكر العطب .
ب - واذا هنتك العافية ، فحدث نفسك بالبلاء .
ج - واذا اطمأن بك الأمن ، فاستشعر الخوف .
د - وإذا بلغت غاية الأمل ، فاذكر الموت .
هـ - وإذا أحببت نفسك ، فلا تجعل لها في الاساة نصيباً .
و - ولن لأبناء السبيل ، والطف بهم في سياستك .
وصية : أوصى بها الملك [5] ولده ، فقال :
أ - لا تستشعر الحقد ، فيدهمك العدو .
ب - لا تحب الاحتكار ، فيشملك القحط .
ج - تزوج في الأقارب ، فهو أوصل [6] للرحم وأثبت للنسب .
د - لا تهتم بالدنيا ، فإنه لا يكون إلا ما قدّر الله.
هـ - ولا تعدّها شيئاً ، لأنها لم تبق لأحد قبلك .
و - ولا ترفضها مع ذلك ، فإن الآخرة لا تنال إلا بها .
واذ قد وفينا بما أردنا تلخيصه وتشجيره في هذا الكتاب ، [٤٣ أ]

---

١ - ق : السعر .
٢ - س : انتقاض .
٣ - س : كتب الناسخ اولا : قلة الورع سوء الظن، ثم شطب على قلة الورع هكذا : وابقى : سوء الظن .
٤ - ق : استولت .
٥ - « : بهمن الملك (بهمن) زائدة .
٦ - ق : امس .

وذكرنا في آخر كل فصل من وصايا العلماء والحكماء، ما جعلناه خاتمة له، فلنجعل آخر كلامنا هاهنا . ولئن كان سبق المملوك فيما هو الغرض في هذا الكتاب، عالم من الناس، وبينوه بضروب من البيان، فانه يرجو ان يكون ما أودعه إياه نافعاً وزائداً في بيان ذلك، مسهلا لمأخذه، مؤكداً له [1]، ملخصاً لمبسوطه، جامعاً لمتفرقه، وهو يسأل من الكريم بسط عذره فيما قصّر فيه، وحمله على باطن الضمير دون ظاهر التقصير، فما زال استفراغ الوسع مقيلة للعذر، والاعتراف بوجوب الحق مانعاً من تطرق العتب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه [2] .

---

١ ـ س : لها .

٢ ـ ق : يضيف الناسخ : مؤلفه العلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع، تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه، وغفر له ولكاتبه ومستكتبه، ومن كتب من اجله، ولوالدي كل والمسلمين اجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين . راقمه محمد علي الخراساني بتأريخ شهر شعبان المعظم سنة ١٢٨٦ .

ق : (بحمد الله وعونه وحسن توفيقه) ساقطة .

٤

الملاحق
بالدّراسة والتحقيق

ملحـــق (١)

النصوص العربية في المصادر والمراجع التي تشير إلى ابن أبي الربيـــع

نود أن نثبت في هذا الملحق النصوص العربية التي تشير إلى ابن أبي الربيع وكتابه سلوك المالك، وفضلنا أن يكون التسلسل زمنياً.

نبدأ بذكر ما كتبه حاجي خليفة إذ يقول[١] : «سلوك المالك في تدبير الممالك - في مجلد . «تأليف العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع المتوفى سنة . . . . ألّفه للخليفة المعتصم بالله العباسي» .

وبعده نذكر ما كتبه اسماعيل البغدادي[٢] : «سلوك المالك في تدبير الممالك - لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع البغدادي المتوفى سنة . . . . . صنفه للخليفة المعتصم بالله العباسي ، أوله الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم . . الخ في مجلد مطبوع» .

أما جرجي زيدان فيفصل بعض التفصيل[٣] : واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف «شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع» وقد جاء في أوله أنه ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧) ، فإذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على أنه وضع بعد ذلك التاريخ لأنه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الأفكار في ذهن مؤلفه . . . مما لا يتأتى إلا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك أن اسم شهاب الدين من الأسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم ، وإنما هو مما طرأ على الإسلام بعد

١ - حاجي خليفة : كشف الظنون جـ٢ ص ١٠٠٠
٢ - إسماعيل البغدادي : إيضاح المكنون جـ٢ ص ٢٦
٣ - جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥

رسوخ الأتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ، ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ ، أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف قرن . وهذا تاريخ ابن الأثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن ينفرد رجل بهذا الإسم في أول القرن الثالث ، ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لأحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان «المستعصم» توفي سنة ٦٥٦ هـ فقرىء «المعتصم» وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم أن الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه ، وإنما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف .

أما الكتاب ، فإنه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسم إلى أربعة فصول : [1] مقدمة الكتاب[2] ، أحكام الأخلاق وأقسامها[3] ، أصناف السيرة العقلية وانتظامها[4] ، أقسام السياسات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسم إلى أبواب ، ترتبت فيها الأفكار أو الأحكام بشكل جداول ومشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليمكن تصوير تلك المشجرات .

ويذكر يوسف اليان سركيس[1] : شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع - سلوك المالك في تدبير الممالك - ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسي (كذا في أول الكتاب) وهو مقسوم إلى أربعة فصول[1] ، في مقدمة الكتاب[2] ، في أحكام الأخلاق[3] ، في أصناف السيرة العقلية وانتظامها[4] ، في أقسام السياسات وأحكامها - طبع حجر بشكل جداول أو شجرات بالمطبعة الخاصة بجمعية المعارف ١٢٨٦ - بمطبعة فرج الله الكردي ١٣٠٩ ص ١١٢[2] .

ويبدأ أسعد طلس ، في مقالته «نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي المطهر» هكذا[3] :

سلوان[4] المالك في تدبير الممالك للشهاب أحمد بن محمد بن أبي الربيع الأديب العالم وكان من رجال الخليفة المعتصم بالله العباسي وله آثار (٢١٨ - ٢٧٢) .

---

١ - يوسف اليان سركيس : معجم المطبوعات ص ٣٠ - ٣١ .
٢ - لم أستطع العثور على نسخة من هذه الطبعة التي يذكر تاريخها ١٣٠٩ ولم يشر لها أحد غيره .
٣ - مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ١ كانون الثاني سنة ١٩٤٩ ، المجلد الرابع والعشرون ص ٢٧٤
٤ - الصحيح : سلوك

وهو كتاب لطيف ألفه على طريقة التشجير على نمط تقويم الأبدان وتقويم البلدان، وأوله «الحمد لله الذي خلق الإنسان فصول جمع فيه ضروب الأخلاق والسياسات الخاصة والعامة وقدمه للخليفة المعتصم وآخر النسخة مخروم وهي في (٤٣) ورقة مكتوبة بقلم نسخي وقفها ابن خاتون ورقمها (١) أخلاق. وفي مكتبتي نسخة جد نفيسة من هذا الكتاب حسنة التذهيب والخط.

أما عمر رضا كحالة فيشير إليه[١]:

أحمد بن أبي الربيع (٢١٨ - ٢٢٧هـ)[٢] / (٧٣٣ - ٨٤٢م).

أحمد بن محمد بن أبي الربيع (شهاب الدين) من أرباب الحكمة والسياسة من تصانيفه سلوك المالك في تدبير الممالك ألفه للمعتصم العباسي.

والزركلي يذكره[٣]:

ابن أبي الربيع (٢١٨ - ٢٧٢هـ) / (٨٣٣ - ٨٨٥م).

أحمد بن محمد بن أبي الربيع، شهاب الدين: أديب، كان من رجال المعتصم العباسي له تصانيف منها (سلوك المالك في تدبير الممالك).

---

١ ـ معجم المؤلفين جـ ٢ ص ١٠١

٢ ـ الرقم الصحيح الذي يريده ٢٧٢هـ، ٨٨٥م

ملحـــق (٢)

نماذج من مخطوطة باريس ٨٤٤م

ونشرة القاهرة ١٢٨٦هـ .

لكتاب سلوك المالك في تدبير الممالك

مخطوطة باريس - ورقة ١ أ

كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك

تاليف الشيخ الامام العالم العلامة

ابي العباس احمد بن محمد

ابن ابي الربيع الحكيم

رحمه الله تعالى

امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق والاعانة

الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وعدله ورفعه على كثير ممن خلق بالتكريم وفضله
وامره بمكارم الاخلاق تزكية لنفسه التي خلقها فسواها حيث قال قد افلح من زكاها وقد
خاب من دساها وشرفه بمزية العقل ووهب له حلية الفضل وعرضه لبلوغ السعادة
بادراك الحق احمده حمدا لا يعادل معروفا ولا استوفاه ولا يجاوز نحوها الانتهاء
واصلي على رسوله محمد الذي ارسله بدين الحق القويم ودعا الناس اجمعين الى صراط مستقيم وجاهد
في الله حق جهاده وقام بطاعته حتى وصفه في كتابه القديم فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه والتابعين له في مكارم اخلاقه وشيمه وادابه والحمد لله
الذي جعل بعد رتبة النبوة اشرف الرتب واعلاها واكرمها لديه وابهاها وازلفها عنده
ولحظا ما رتبه للخلافة اذ كانت عن الله عز وجل ورسوله صادرة وباوامرهما
واردة فنظم الحق منير ساطع الاشراق وشمل العدل وارى الرشاد في الآفاق والاسلام
في ظل ممتد الافياء والظلال مشرق سنور بهائها في الغدو والآصال ولعمري
فان الذي بعث المملوك على تاليف هذا الكتاب امران اما الاول فانه وكفى
على كتاب مشتمل في حفظ صحة البدن مختصر ولا خفاء على كل ذي فطانة ومن له ادنى نظر في العلوم
الحقيقية ان النفس اشرف من البدن وان اعتناءها اولى واصلاح اخلاقها الصادرة عنها وتزكيتها
بالعلم والعمل من اهم الاسباب واحرى بالتقديم عند ذوي الالباب والثاني ان بعض من اوامره
مطاعة مما به وعوارض العوائق عن علمنا به منحسر منها به من اصطفاه الجناب المقدس وقدمه
ورفعه على امثاله وكرمه فحاز بذلك المقام المحمود شرفا باقيا وحسبا ولوى من كل شيء تابع
من مناهج الشيم المرضية سببا واختص بخصائص تهتز لها اعطاف القلوب فرحا وطربا
تجمعت لعلاه كل منقبة وهو البليغ اذا ما قال او كتبا وكم له من معان رق
مسمعها المؤمن فنون حظوظ ابدعت عجبا امر ان ينفي ذلك الرأي في انشاء
الكتاب المقدم ذكره وان يولي به طرفا من العناية والانصاف فجمع بين ما يعتقد من وجوب
الاولى في انشائه الى امتثال طاعة امره بذلك وظاهر ان المصنفات الموجودة في هذا الفن
اعني علم الاخلاق والسيرة وما يتعلق بها تجاوز حد الكثرة وتتشعب انحاؤها وتختلف طرقها
حتى يكاد يتعذر احصاؤها واستقصاؤها فتامل المملوك ما وجد من الكتب في هذا العلم تاملا
تاما وانتزع منها ما كان قابلا للتنقيح والتقسيم على ان فوق كل ذي علم عليم وتحرى فيه الايجاز



فان تفرد ببعض هذه الخصال من هذا العالم احد انتشرت محاسنه في اطراف مهاد الارض
وشاع جميل ذكره في اكناف البسيط الممتد في الطول والعرض فمتى اقتضت العناية الازلية ابداع نسمة ليجوا
قدرها وتعذر وصفها انتظم هذه الجواهر في سلك جواهرها الزاهية وحلا بها الكريمة واحاط هذه الدرر
في عقد عنايتها الصحيحة وخواطرها السليمة تدلعت اسباب الاقبال لاجتماعها وتعاطت السعادة
عند القبول لاتباعها ... وتفسحت خواطر الحماية بحوزة سلكه تدا الاقدار واذا اهتدى فما زاده بان تتاع
دها الا تعتريه الاكدار ومن سعادة اهل الزمان ان امامهم ومتقلد سياستهم ومدبر ملكهم من هو
مجمع المحاسن المذكوره ومعدن الفضائل المشهوره ومن جمع هذه المحامد المشكوره من جياد الزمان
بقا جده على الدين وذويه ومن الآثار جوده على الاسلام واهليه وهو سيدنا ومولانا ... كما
خليفة الله في العباد والسالك سبل الرشاد والمستعصم بالله امير المومنين خاتم الخلفاء الراشدين والائمة المهديين
الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون الذي اجتمعت فيه الخصال الموجبة للخلافة والامامة
من موليات الطبع ليتولى الفضائل واستعمالها في مواضعها واظهارها في نفسه اولا في سائر اهل
مملكته شريفها ودنيها عالمها وجاهلها كل واحد منهم على حسب ما توجبه طبقته فعمر الدنيا حسنا ونشر
عدله ... ونبع الجود ...

مخطوطة باريس - ورقة ٤٣ أ.



نشرة القاهرة ـ ص ١ عنوان الكتاب.

كتاب سلوك المالك
فى تدبير الممالك على التمام
والكمال والحمد لله على كل حال
تأليف العلامة شهاب الدين
احمد بن محمد بن ابى الربيع الفه للخليفة
المعتصم بالله العباسى كما ذكره
فى الفصل الاول من الكتاب
وقد ذكره صاحب كشف الظنون



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وعدله ورفعه على كثير من خلق
بالتكريم وفضله وامره بمكارم الاخلاق تزكية لنفسه التي خلقها فسواها
حيث قال قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وشرفه بمزية العقل
ووهب له حلية الفضل وعرضه لبلوغ السعادة بادراك الحق
احمده حمدا لا يغادر معنى وفاء الا استوفاه ولا يجاوز مخوفا الا
نفاه واصلي على رسوله محمد الذي ارسله بدين الحق القويم فدعا الناس
اجمعين الى صراط مستقيم وجاهد في الله حق جهاده وقام بطاعته
حتى وصفه في كتابه القديم فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم

فإن تفرد بعض بهذه الخصال من هذا العالم انتشرت محاسنه في
أطراف مهاد الأرض ۞ وشاع جميل ذكره في أكناف السبع الشداد
في الطول والعرض فمتى اقتضت العناية الأزلية ايداع نسمة يسمو
قدرها ويعتز وصفها نظم هذه الجواهر في سلك حواسها الشريفة
ومحالها الكريمة وانخراط هذه الدرر في عقد عقائدها الصحيحة وخواطرها
السليمة تداعت أسباب الإقبال لاجتماعها وتعاطت السعادة عند
القبول لاتباعها ۞ ومتى وفقت خواطره لحماية حوزة ساعدته الأقدار
وإذا همت أفكاره بارتفاع دثار لا تعتريه الأخطار ۞ ومن
السعادة لأهل هذا الزمان أن إمامهم ومتقلد سياستهم ومدبر ملكهم
من هو مجمع المحاسن المذكورة ۞ ومعدن الفضائل المشهورة ومن جمع هذه
المحامد المشكورة من جاد الزمان ببقائه على الدين وذويه ۞ ومنّ الدهر
بوجوده على الإسلام وبنيه ۞ وهو سيدنا ومولانا ومالكنا خليفة
الله في البلاد ۞ والسالك سبيل الرشاد ۞ المعتصم بالله

مسهلاً لمأخذه مؤكداً له ملخصاً لمبسوطه جامعاً لمتفرقه ۞ وهو
يسأل من الكريم بسط عذره فيما قصر فيه ۞ وحمله على باطن الضمير
دون ظاهر التقصير ۞ فما زال استفراغ الوسع مقبلة للعذر
والاعتراف بوجوب الحق ما نجا من تطرق العتب ۞ مؤلفه
العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع ۞ تغمده الله تعالى
برحمته ورضوانه ۞ وغفر له ولكاتبه
ولمستكتبه ومن كتب من أجله ولوالدي كل والمسلمين أجمعين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ۞
والحمد لله رب العالمين ۞
راقمه محمد علي الخراساني بتاريخ شهر
شعبان المعظم سنة ١٢٨٦

المصادر والمراجع

المصـــادر العربية:

١ ـ أحمد صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، القاهرة ـ بدون تاريخ ـ

٢ ـ البغدادي، اسماعيل: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، الطبعة الثالثة، طهران ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٧م.

٣ ـ أبو بكر ذكري: تأريخ النظريات الأخلاقية، القاهرة ١٩٦٥.

٤ ـ أبو البركات البغدادي: كتاب المعتبر، حيد آباد الدكن ١٣٥٨ هـ.

٥ ـ أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تحقيق السندوبي، القاهرة ١٩٢٩.

٦ ـ ابن حزم: أ ـ فلسفة الأخلاق، القاهرة، ـ بدون تاريخ ـ

ب ـ كتاب الأخلاق، تحقيق ندى تومش، بيروت ١٩٦١.

٧ ـ ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، القاهرة ١٢٨٦هـ.

٨ ـ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة ١٨٨٢.

٩ ابن عربي: فصوص الحكم، القاهرة ١٩٤٦.

١٠ ـ ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، بغداد ١٩٧٧.

١١ ـ ابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت ١٩٦٦.

١٢ ـ ابن سينا:

أ ـ أحوال النفس، تحقيق فؤاد الأهواني، القاهرة ١٩٥٢.

ب ـ الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة ـ بدون تأريخ ـ

جـ ـ رسائل في الحكمة، القاهرة ١٩٠٨

د ـ كتاب السياسة، تحقيق لويس معلوف، بيروت ١٩١١.

١٣ ـ ابن المقفع:
أ ـ الأدب الكبير والأدب الصغير، بيروت ١٩٦٠.
ب ـ رسالة الصحابة، تحقيق محمد كردعلي (رسائل البلغاء) القاهرة ١٩٤٥.
جـ ـ يتيمة السلطان، تحقيق كردعلي (رسائل البلغاء) القاهرة ١٩٤٥.
١٤ ـ ابن النديم: الفهرست، لايبزك ١٨٧١.
١٥ ـ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، دار بيروت،
١٦ ـ الجاحظ:
أ ـ آثار الجاحظ، تقديم عمر أبو النصر بيروت ١٩٦٩
ب ـ التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، القاهرة ١٩١٤.
١٧ ـ جالينوس: كتاب الأخلاق، تحقيق بول كراوس، مجلة كلية آداب جامعة القاهرة ١٩٣٧م.
١٨ ـ جرجي زيدان: تأريخ آداب اللغة العربية، القاهرة ١٩١١م.
تأريخ آداب اللغة العربية، بيروت ـ بدون تأريخ ـ
١٩ ـ الجر وفاخوري: تأريخ الفلسفة العربية، جزآن، بيروت ١٩٥٧.
٢٠ ـ حاجي خليفة: كشف الظنون، استانبول ١٩٤٢م
٢١ ـ أخوان الصفا: رسائل أخوان الصفا، القاهرة ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م
٢٢ ـ خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق معن زيادة، بيروت ١٩٧٨.
٢٣ ـ الرازي، فخر الدين: أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، القاهرة ١٣٢٣هـ.
٢٤ ـ الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، دمشق ١٩٥٤.
٣٥ ـ زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، القاهرة ـ بدون تأريخ ـ
٢٦ ـ الزركلي: الأعلام، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩.
٢٧ ـ سركيس، يوسف اليان: معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة، ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.
٢٨ ـ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٢م.

٢٩ ـ الطرطوشي: سراج الملوك، القاهرة ١٩٣٩م.
٣٠ ـ عمر فروخ: تأريخ الفكر العربي ، بيروت ١٩٦٦م.
٣١ ـ عمر كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧ ـ ١٩٦١
٣٢ ـ الغزالي:
أ ـ إحياء علوم الدين، القاهرة ١٢٨٢هـ.
ب ـ المنقذ من الضلال، القاهرة.
جـ ـ ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة ـ بدون تأريخ ـ
د ـ كتاب الأربعين في أصول الدين، القاهرة ـ بدون تأريخ ـ
هـ ـ أيها الولد، بيروت ١٩٦٩.
٣٣ ـ الفارابي:
أ ـ آراء أهل المدينة الفاضلة، القاهرة ـ بدون تأريخ ـ
ب ـ تحصيل السعادة، حيدر آباد الدكن ١٩٤٥م.
جـ ـ رسالة في السياسة، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١١.
د ـ الفصول المدني، تحقيق دنلوب، كمبرج ١٩٦١.
هـ ـ كتاب الملة، تحقيق محسن مهدي، بيروت ١٩٦٨.
و ـ السياسة المدنية، تحقيق فوزي نجار، بيروت ١٩٦٤.
٣٤ ـ فرانز روزنتال: علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة حسام أحمد العلي
٣٥ ـ القفطي: تأريخ الحكماء، لايبزك ١٩٠٣.
٣٦ ـ الكندي: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق أبي ريدة، القاهرة ١٩٥٠.
٣٧ ـ الماوردي:
أ ـ الأحكام السلطانية، القاهرة ـ بدون تأريخ ـ
ب ـ أدب الوزير، القاهرة ١٩٢٩.
أدب الوزير، الإسكندرية ١٩٧٦.
٣٨ ـ ماجد فخري: تأريخ الفلسفة الإسلامية، الترجمة العربية لكمال اليازجي، بيروت ١٩١.
٣٩ ـ محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق في الإسلام، القاهرة ٩٦٣.
٤٠ ـ مقداد يالجن: الإتجاه الأخلاقي في الإسلام، القاهرة ١٩٧٣.

٤١ ـ محمد جلال شرف وعلي عبد المعطي : الفكر السياسي في الإسلام ، الإسكندرية ١٩٧٨ .

٤٢ ـ مسكويه : تهذيب الأخلاق ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٦٦ .

٤٣ ـ مسكويه والتوحيدي : الهوامل والشوامل .

٤٤ ـ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ط ٢ ، القاهرة ١٩٢٤ .

٤٥ ـ دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية ١٩٣٣ .

٤٦ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

المخطوطات :

ابن أبي الربيع : سلوك المالك في تدبير الممالك باريس (المكتبة الوطنية) رقم ٢٤٤٨

المصـــادر الاجنبيـــة :

1. Brockelmann, Geschiete Der Arabischen Literatur (2nd. ed. and Supplements), Leiden 1937-1949.
2. H. K. Shermani, Islamic Culture, Hyderabad Deccan, 1941 April.
3. Al-Farabi, The Fusul al-Madani, edited by D.M. Dunlop, Cambridge 1961.
4. N.A. Al-Tikriti, Yahya Ibn Adi, A critical edition and study of his Tahdhib al-Akhlaq, Ph. D. Thesis, Cambridge. 1970.
5. Plato, Phedo, (English Translation) by B. Jowett, New York, 1937.
6. Plato, Temaeus (English Translation) by H. Lee, Penguin 1965.
7. Plato, Ten Republic, (English Translation) by B. Gowett, Oxford, 1888.
8. Nasir al-Din Tusi, the Nasiran Ethics, (English Translation), by G. M. Wickens, London, 1964.
9. Jalal Al-Dawmani, Akhlak, -i- Julaly, (English Translation), by W. F. Thomson, London, 1839.
10. Aristotle, Ethica Micomachea, (English Translation), by D. Ross, Oxford, 1925.
11. Aristotle, De Anima, (English Translation), by G. Smith, Oxford, 1931.

فهرس الأعلام

فهرس المواضع

فهرس المحتويات

THE POLITICAL PHILOSOPHY of IBN ABÎ AL-RABÎ'

With an Edition of His SULÛK AL-MÂLIK FÎ TADBÎR AL-MAMÂLIK

by
DR. NAJI AL-TAKRITI
(Ph. D. Cantab)

Assist. Professor at Baghdad University

AL- ANDALOSS EDITEURS,
Beyrouth-Liban



دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

الثمن ٢٠ ل.ل